عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

العنوان في شعر يوسف العظم ؛ دراسة سيميائيّة

مصطفى حسن أحمد راضي

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين

1433هـ / 2012 م

العنوان في شعر يوسف العظم ؛ دراسة سيميائيّة

إعداد الطالب : مصطفى حسن أحمد راضي
بكالوريوس في اللغة العربيّة وآدابها
جامعة القدس المفتوحة – فلسطين

إشراف الدكتور : مشهور موسى مشاهرة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها من دائرة اللغة العربيّة

القدس – فلسطين
1433هـ / 2012 م

جامعـــــة القـــدس

عمـــادة الدراســـات العليا

برنامج الماجستير / دائرة اللغة العربيّة

إجازة الرّسالة

" العنوان في شعر يوسف العظم ؛ دراسة سيميائيّة "

إعداد الطالب : مصطفى حسن أحمد راضي

الرقم الجامعي : 20714264

إشراف الدكتور : مشهور موسى مشاهرة

نوقشت هذه الرّسالة، وأجيزت بتاريخ 7 / 7 /2012م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم، وتواقيعهم :

1-د. مشهور مشاهرة رئيس لجنة المناقشة التوقيع:.....

2-أ.د. خليل عودة ممتحناً خارجيًا التوقيع:.....

3-د. حسين الصيّاد ممتحناً داخليًا التوقيع:.....

القدس - فلسطين

1433هـ / 2012 م

الإهداء

إلى الله ذي الآلاء والفضائل والمنن .

إلى رسول الله محمد صلّى الله عليه وسلم، جد كلّ تقي.

إلى من تجرع المر كي يذيقني العسل.

إلى من علمني شرف الدين والعلم، وكيف يكون التعامل والتواضع والأدب.

إلى من شق صخر الأرض؛ ليوفر لقمتي ولقمة إخوتي.

إلى أبي الحبيب ... يرحمه الله.

إلى من أحبتني وعانقتني عند كل لقاء، وسالت دموعها على عتبات كل فراق.

إلى أمّي العابدة الطاهرة التقية ... يرحمها الله.

إلى سندي وعضدي، وإرثي من أبي وأمّي.

إلى ستري ودثاري؛ إلى من أرفع بهم هامتي...

إلى إخوتي :إسماعيل وأحمد وخالد وهاشم ومحمد وحجازي.

إلى الغاليات العابدات الطاهرات الرائعات ...

إلى حاملات المسك، ونافحات الطيب.

إلى أخواتي: فاطمة وعزيزة وعائشة وهدى وليلى.

إلى رفيقة الدرب، ومهجة الفؤاد، والمتوّجة على عرش عشنا الزوجيّ.

إلى ريحانتي ودوحتي ... إلى زوجي أمّ الحسن.

إلى أولادي وبناتي: حسن وحسين وحسام الدين وتقيّ الدين وملاك ودانية.

إلى كل من رباني وعلمني ودرسني.

إلى كلّ أولئك ذوب روحي، وخالص حبّي، وأهديهم عصارة فكري، وأجدد لهم عهد المحبّة.

الإقرار

أُقر أنا مقدم هذه الرسالة، أنها قُدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

الاسم: مصطفى حسن أحمد راضي .

التوقيع :.....

التاريخ :2012/7/7م

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذه الدراسة، وأتم لي الأمر بفضل وخير، لله شكري وامتناني، عدد ما كان وعدد ما سيكون، وعدد الحركة والسكون، عدد خلقه ومداد كلماته وزنة عرشه.

وأتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير للدكتور مشهور مشاهرة الذي أشرف على هذه الرسالة، ووجهني إلى اختيار الموضوع، وكان بحق نعم المعين والناصح الأمين، أغناني بعلمه الجم، وقدم لي ملاحظاته وإرشاداته القيمة، حتى خرجت هذه الدراسة إلى النور، فله منّي جزيل الشكر والعرفان. وجزاه الله عنّي خير الجزاء.

وأتقدم بشكر خاص لأخي الأكبر إسماعيل راضي، الذي شملني بعطفه، وتكبد عني مؤونة السفر، وصعوبة البحث، فأرهق جسده باحثا بين المكتبات الأردنية ودور النشر؛ ليوفّر لي كثيرا من المصادر والمراجع. فله شكري وعرفاني. وأطال الله في عمره بالصالحات، وسدد خطاه لكل خير.

وشكر خالص لزوجي أم الحسن، التي أعانتني في طباعة هذا البحث وإعداده، وتحملت معي سهر الليالي؛ وآزرتني في أمور حياتي، فجزاها الله عنّي خير الجزاء .

ولا أنسى فضل أساتذتي الكرام في جامعة القدس، وهم بحق أهل للتقدير والاحترام؛ لأنّهم لم يبخلوا علي بالنصح والإرشاد والمساعدة، وشملوني بجميل أخلاقهم، وأخص بالشكر طيب الذكر المرحوم الدكتور إبراهيم الخواجا (يرحمه الله). فلهم جميعا الشكر والاحترام .

ملخص الدراسة

استطاعت البحوث النقدية الحديثة بلباسها الغربي إحداث هزة عنيفة في الممارسات النقدية التقليدية السائدة، وقدمت بدائل منهجية جديدة، اخترنا من هذه المناهج السيميائية بوصفها خيارا منهجيا مغايرا للمناهج النقدية التقليدية، وبما يساعد على تطوير سيميائية عربية ليست نسخة حرفية أو مطابقة للسيميائية في الغرب .

إن مدار البحث هو :" العنوان في شعر يوسف العظم ؛ دراسة سيميائية "، والسيميائية منهج يشتغل بالعلامات، ويرتكز على الدلائلية الناتجة عن الدال والمدلول. يشكل العنوان رسالة بين المرسل المبدع، والمستقبل، حيث يقف العنوان متسيدا للنصوص الشعرية في أعلى اقتصاد لغوي.

تناولت في هذه الدراسة عناوين تسعة دواوين شعرية، وتناولت ثلاثمئة وعنوانين؛ وهي مجموع قصائد يوسف العظم. واختيار الدارس لعناوين يوسف العظم لم يأت جزافا وإنّما لكثرة عناوين الشاعر، وتنوع أساليبه التركيبية، وتنوع أنماط الجمل عنده، وتنوع أغراضه وموضوعاته، والتجلّي الواضح لوظائف العنوان المختلفة، قصدا إلى التأكيد على مدى صلاحية المقاربة السيميائية لعناوين الشاعر المتمسك بالتقاليد القديمة. كما أن قصائد يوسف العظم تحمل قيما دينية ووطنية وإنسانية، ويعد مركز جاذبية تلك القصائد القدس والمسجد الأقصى المبارك، وتتّجه بوصلة الشاعر نحو فلسطين المكبلّة بقيود الاحتلال، ولا تحيد عنها.

جمعت الدراسة بين التنظير والتطبيق، تناولت في الجانب التطبيقي العناوين الشعرية كلها بالدرس والتحليل، وبسطت في الخطاب النقدي رغبة في تحقيق الوصلة العلمية بالقارئ العربي، وحاولت تنويع زوايا النظر في النص باستغلال القضايا النظرية السيميائية، والوقوف على التجليات الدلالية المختلفة، وتأكّدت من سلامة الفرضيات التي وضعتها وتحققت منها أثناء التحليل والمعالجة. أما المنهج المتبع في الدراسة،فهو المنهج السيميائي .

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن للسيميائية جذورا وأصولا في التراث العربي وإن اختلفت المسميات، وهو منهج جديد يصلح لمعالجة النصوص الأدبية، وارتبط المنهج السيميائي بصميم الدرس النقدي العربي؛ من خلال الكشف عن أسرار العلامات المنعكسة عن العنوان، وجاءت السيميائية لتعلن طاعتها وولاءها للبلاغة العربية، وانضوت تحت رايتها .

كشفت الدراسة عن أمور كثيرة انعكست عن العنوان، حيث كشفت عن الأغراض والموضوعات وكشفت عن التعالق الفنّي لبعض الظواهر السياقية من تقديم وتأخير وحذف وتعريف

وتنكير وتكرار، وكشفت الدراسة عن وظائف العنوان المختلفة، كل ذلك يؤكد أهمية العنوان في المنجز الشعري الحديث، ويؤكد أهمية السيميائية في النقد الحديث، فلا بد من الإفادة من السيميائية باعتبارها منهجا نقديا حديثا له أدواته في التعامل مع النصوص الأدبية المختلفة.

Titles in Yousif Al Athm; a Semiotic Study

Student: Mustafa Hassan Radi
Supervisor: D. Mashhoor Mashahrah

Abstract

Using methodologies, modern critical researches have been able to strike the foundation of traditional critical approaches and practices. It has been also able to give alternative new methodologies therefore the student has chosen "semiotics" as an alternate methodology for the traditional ones, which helps in developing semiotics as a modern Arabic approach that differs from the one being used in the West .

The title of the study is"Titles in Yousif Al Athm; a Semiotic Study". Semiotics is a critical approach that studies signs, symbols and sign and signified.The title indicates to the brilliancy of correspondent and the recipient as it shows high lingual efficiency.

The study includes nine Divans of poetry , three hundred and two titles all taken from Yousif Al Athm poetry. The choice of his poetry is not random one, on the contrary, it is based on several aspects as: the variety of his titles , structures and style of sentences used on them . The multiple meanings of one of the titles is another reason as well. I also wanted to exhibit the validity of semiotic approach for the titles of a poet who usually stick with the traditional methods. Al Athm poetry hold immense religious , national and humanitarian value; What makes it more attractive for the reader is Jerusalem and Al Aqsa mosque as he indicates to their imprisoned homeland, Palestine .

The study has both theoretical and applied dimensions. In the second one , we have all the titles with comprehensive study and analysis. We have also simplified the critical discourse in order to fit the Arabic reader. The study also tries to vary the point of views by using a semiotic approach by standing on different manifestation of the results as well as making sure of hypothesis we have put in the revision and analysis process.

The approach which used in this study is the semiotic approach in the three chapters .

One of the most important results this study has attained that semiotics can be traced back in old Arabic scripts. Even though the name of approaches might differ; semiotics is extremely connected to the rhetoric of Arabic language.

The study reveals major aspects related to the title, Firstly, it has revealed the purposes and technical correlation of contextual phenomena such as proffer, delay, omitting , confirmation , negation and repetition. It also reveals the various themes of one title, which shows it as a modern literary accomplishment, as well as the importance of semiotics modern criticism .

However , it should be noted that semiotic is a modern approach that has its distinctive features and schemas in dealing with literary texts .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وناصر الصابرين ، ومرشد التائهين ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الأمين، معلّم البشرية طرق السداد واليقين، وبعد :

يعد تحليل سيميائية العنوان في الدرس النقدي الحديث من أبرز المناهج التي أفرزتها المناهج النقدية الحديثة، لما تتمتع به التسمية العنوانية من حضور سـ ـيميائي مهم، يمكن بواسـ ـطته تسـهيل مهمة القراءة في ولوج المتن الأدبي، وربما يكون الفن الشـ ـعري من أكثر العناوين الأدبية اسـ ـتجابة لتوظيف السـ ـيميائية في عتبة العناوين .

لقد دشّن القرآن الكريم ظاهرة العنونة في الثقافة العربية الإسلامية للمرة الأولى في تاريخها؛ أعني على نحو من القصدية، ومع سـ ـيادة الثقافة القرآنية في شبه الجزيرة العربية خطت هذه القضية خطوة نوعية في مستوى التعاطي مع العنوان وصلته بالمحتوى؛ إشـ ـارة إلى تماسـ ـك المنطق الداخلي الذي يحكمها، والخيط المنهجي الذي يربطها؛ فشكّلت أسـماء السـور القرآنية دلالات رمزية على فكرة محورية في السـ ـورة، وإشـ ـارات خفية إلى حدث مركزي فيها. ومن قبل عناوين القصائد التي طبقت شهرتها الآفاق مثل لامية امرئ القيس (المعلّقة)، دالية طرفة بن العبد(المعلّقة)، لامية الشنفرى....

لذلك يعد العنوان مفتاحا أوليا وأساسيا في أي متن(شعري أو نثري)؛ مما يجعل القارئ يقف أمام عتبة مهمة في النص ومكونا مهما من مكونات هذا النص وهويته. ومن أفضل الحقول لدراسته هو حقل المقاربات السيميائية، وهذا التفضيل متأتّ من ملاءمة هذا الحقل لطبيعة عمل العنونة الإجرائية باعتبارها عملية تأشير للنص أو تسويمه. إن العنوان هو الذي يفكر للنص؛ لذا لا بد أن نجد النص مختزلا في عنوانه؛هذا في حال إتمام العنونة وفق آلية اشتغال عالية تتفجر منها القصيدة والانتباه.

وتعكس الأعمال الشعرية ليوسـ ـ ـ ـف العظم التي ضمت دواوينه التسعة :(في رحاب الأقصى 1970م)،(عرائس الضياء 1984م)،(قناديل في عتمة الضحى 1987م)،(الفتية الأبابيل 1988م)، (على خطا حسـ ـ ـان 1990م)،(لو أسـ ـ ـ ـ ـلمت المعلقات 2001م)،(قبل الرحيل 2002م)، (قطوف دانية 2007م)، (أناشـ ـ ـ ـ ـيد وأغاريد للجيل المسلم) اهتماما واضحا بقضية العنونة. وسنعمد في هذه الدراسة إلى تحليل المنظومات العنوانية لهذه الدواوين لقياس طبيعة العلاقات السيميائية بين عتبات العناوين وفضاءات المتون الشعرية.

وقد وسمت هذه الدراسة بـ(العنوان في شعر يوسف العظم؛دراسة سيميائية)وسألتزم في هذه

الدراسة بما طبع للشاعر من دواوين متوافرة على مدار حياته،التي جمعت في الأعمال الشعرية الكاملة.

وأسباب اختيار الدارس لهذه الدراسة كثيرة، أهمها:

أولا: بيان منزلة يوسف العظم الشعرية، ومدى أحقيته بلقب شاعر الأقصى من بين شعراء حقبته الزمنية، ورغبة في إبراز دور الشاعر في الذود عن المسجد الأقصى والقضية الفلسطينية.

ثانيا: توجيه من أساتذتي المحترمين للكتابة في هذا الموضوع الذي يتّسم بالجدة والحداثة.

ثالثا : قلّة الدراسات في هذا الموضوع، وخاصة في المجال التطبيقي.

رابعا: بيان أهميـة العنوان للمنجز الشـعري، على اعتبار أن العنوان سـمة للنـص ورسـم له وعلامة عليه وله.

خامسا : تمثّل السيميائية درسا تراثيا عربيا يعتمد على علم اللغة، ويمثّل عنصرا من عناصر البلاغة العربية، ولذلك لا بد من الإفادة منها باعتبارها منهجا حديثا في التعامل مع النصوص الأدبية.

أما أهمية هذه الدراسة فتنبع من عوامل كثيرة ومتنوعة، أبرزها :

أولا : تقديم نموذج لدراسة سيميائية تجمع بين التنظير والتطبيق .

ثانيا: دراسة مدى انسجام عناوين القصائد، ومن قبل، الانسجام بين عناوين الدواوين والنصوص الإبداعية التي يقدمها يوسف العظم.

ثالثا: دراسة فنية العنوان عند يوسف العظم، باعتباره جزءا من الإبداع الأدبي .

رابعا: تقديم منهج نقدي يتعامل مباشرة مع النص، ويكشف عن أسراره ومكنوناته.

الدراسات السابقة:

دراسة للدكتور عبد الله الخباص وهي بعنوان:(شاعر الأقصى يوسف العظم؛ مسيرة حياة) وهي دراسـة تمثّل ترجمة للشاعر ومحطّاته الفكرية والاجتماعية والسياسـية؛ والكتاب قيم جدا ومن مرتكزات دراسـتي فيما يتعلق بحياة الشـاعر وأهم محطّاته الفكرية والثقافية .

ودراسة بعنوان (يوسف العظم شاعر القدس) لزكي الشيخ كتّانة؛ وهي دراسة تترجم لحياة الأديب وسيرته، وتوضح أهم محطّات الشاعر، مع تمثيل لبعض شعر الشاعر في مناسبات متعددة، والكتاب يحتوي معلومات قيمة عن حياة الشاعر، وعن مناسبات عديدة قدم فيها الشاعر قصائده للجمهور. كما أنّه يتحدث عن موقع يوسف العظم بين الشعراء المحدثين؛ وفائدة هذه الدراسة فيما تحتويه من معلومات عن حياة الشاعر، وإسهاماته الشعرية عن المسجد الأقصى المبارك، وتحليله لبعض تلك القصائد.

دراسات ترتبط بالمنهج السيميائي :

هناك دراسة بعنوان (سيمياء العنوان) لبسام موسى قطّوس؛ ويتعرض الباحث في دراسته إلى موضوع عنونة الكتاب وأبعاده الدلالية والرمزية ضمن منظور سيميائي، وهذه الدراسة تعد مفتاحا للدراسة التي أنا بصددها وبخاصة في الجانب التطبيقي والتحليلي.

ودراسة بعنوان: (مملكة النص؛ التحليل السيميائي للنقد البلاغي) لمحمد سالم سعد الله، وهذه دراسة قيمة تتحدث عن السيميائية منهجا حديثا له مكانته الرفيعة في الدراسات الحديثة ويربطها الكاتب بالنقد البلاغي، ويجعل من الجرجاني نموذجا تطبيقيا، وتتمثّل قيمة هذه الدراسة في التأصيل لموضوع السيمياء بجانب النواحي التطبيقية.

ودراسة بعنوان(درس السيميولوجيا) لرولان بارت، ترجمة عبد السلام بن عبد العال. ودراسة (العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الأدبي) لمحمد فكري الجزار 1990 م. ودراسة (العنوان في الأدب العربي؛ النشأة والتطور) لمحمد عويس 1993م. وهذه الدراسات وغيرها تفيد في فصول الدراسة التطبيقية والتأصيلية؛ وهي تشكّل نقاط ارتكاز لإخراج دراستي كما هو مرسوم لها .

ودراسة بعنوان(السيميوطيقا والعنونة) لجميل حمداوي، تفيد هذه الدراسة في التأسيس للعنوان وللسيميائية، وهي دراسة قيمة وتضيء جوانب عدة في حقل السيميائية والعنوان، والدراسة تقدم معلومات لا يستغني عنها الدارس؛ وهي من أعمدة دراستي التنظيرية.

وكذلك دراسة بعنوان:(عتبات المحكي القصير) للهاشم أسمهر، وهي دراسة شاملة لجميع العتبات المحيطة بالنص ، وتعرض لعتبة العنوان بتفصيل مفيد. وتعد هذه الدراسة رائدة في مجالها، ومهمة في تنظيرها وتطبيقها .

ودراسة بعنوان : (براعة الاستهلال أو في صناعة العنوان) لمحمود الهميسي،مجلّة الموقف الأدبي ،جامعة اليرموك ،العدد 313، سنة 997 م. وهذا المقال يحدد أهمية العنوان للعمل الأدبي

ويعده عتبة مهمة للنص الأدبي ويعده من أقسام البلاغة وسمة إبداعية تزيد من جمال العمل الأدبي. ويحوي هذا المقال فوائد كثيرة تخدم دراستي التطبيقية والتحليلية للعنوان وربطه بالمتن الشعري. ستكون مصادري ومراجعي جامعة بين القديم والحديث على تنوع في مصادر المعرفة.

أما المنهج الذي سأعتمده في دراستي،فهو المنهج السيميائي في الفصول الثلاثة .

أما عن محتويات الدراسة فهي كالآتي : (تمهيد وثلاثة فصـول وخـاتمـة) .

التمهيد : التأسيس للسيميائية، والتأسيس لسيمياء العنوان .

الفصل الأول: العنوان والموضوعات والأغراض الشعرية لقصائد يوسف العظم.

المبحث الأول: السيميائية والعنوان .

المبحث الثاني: سيمياء العناوين الخارجية من حيث الموضوع .

المبحث الثالث: سيمياء العناوين الداخلية من حيث الموضوع .

الفصل الثاني: العنوان وبعض الظواهر السياقية والبلاغية.

المبحث الأول: العنوان وصور تأليف الجملة.

المبحث الثاني: العنوان وظاهرة الحذف والذكر.

المبحث الثالث: العنوان وظاهرة التقديم والتأخير.

المبحث الرابع: العنوان وظاهرة التعريف والتنكير.

المبحث الخامس: العنوان وظاهرة التكرار.

الفصل الثالث : وظائف العنوان في شعر يوسف العظم.

المبحث الأول : وظائف العنوان.

المبحث الثاني : وظائف العناوين الخارجية عند يوسف العظم.

المبحث الثالث : وظائف العناوين الداخلية عند يوسف العظم.

المبحث الرابع : الوظيفة التعيينية في العناوين الداخلية.

المبحث الخامس : الوظيفة الإغرائية في العناوين الداخلية.

المبحث السادس: الوظيفة الوصفية الإشارية في العناوين الداخلية.

المبحث السابع : الوظيفة الدلالية في العناوين الداخلية.

الخاتمـــــة : وتتضمن نتائـــج الدراســـــــــــــة وتوصيـــاتها.

أرجو في الختام أن أوفّق في إخراج هذه الدراسة إلى النور، فإن وفّقت في ذلك فلله الفضل والمنّة، وإن قصرت فحسبي أنّني أخلصت في النية والمحاولة والاجتهاد، والشكر موصول لكلّ من سيؤازرني لإتمام هذه الدراسة، وأخص بالذكر أساتذتي في جامعة القدس.

التمهيد

أ- تأسيس السيمياء

ب- العنوان

التمهيد

أ ـ تأسيس السيمياء

لم يكن علم السيمياء وليد العصر الحديث كما يظنُّ بعضهم، بل قديم النشأة؛ فقد اهتمَّ القدامى من عرب وعجم بهذا الجانب من علوم اللسانيّات منذ أكثر من ألفي سنة، واعتبرت الكلمة أداة للتوصيل، وبذلك تتكون علاقة بين الكلمة ومعناها، أي بين الدال والمدلول، ضمن تلاؤم طبيعيّ، فلهذا كان اللفظ يعبّر عن حقيقة الشيء. وكذلك كانت الأصوات أدوات تعبير عن ظواهر عديدة تلتقي فيها لغات البشر باعتبارها ظاهرة إنسانيّة.

وقد ربط علماء العرب قديما بين هذه المعطيات وبين ما أسموه بعلم أسرار الحروف، أي علم السيمياء. وقد تعدّدت في ذلك دراسات الفارابيّ، والحاتميّ، ، وابن سينا، والبونيّ، والجرجانيّ، والغزاليّ، والقرطاجنّيّ، وابن خلدون، وغيرهم. ولهذا يمكن القول: إنّ دراسات النظام الإشاريّ في التراث العربيّ هي دراسة قديمة قدم الدرس اللسانيّ، إلا أنَّ الأفكار والتأمّلات السيميائيّة التي وصلت ظلّت في إطار التجربة الذاتيّة، ولم تتجسّد في إطار التجربة العلميّة الموضوعيّة. ومن ثَمَّ فالمنطلقات السيميائيّة للدراسة العربيّة تنقصها الإجراءات التطبيقيّة الموسّعة. [1]

" تفطّن علماء العرب القدامى في وقت مبكر إلى قيمة العلامة، من حيث هي حقيقة حسيّة تعيد وتحيل إلى حقيقة مجرّدة غائبة، وكانت دراساتهم التطبيقيّة تتمركز حول الدراسات القرآنيّة، وقد أرشد القرآن الكريم في مواضع عدّة إلى تدبّر العلامات من أجل اكتشاف بنيتها الدلاليّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] . وقوله: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [3]؛ فالقرآن هو الموجّه والباعث للدراسة السيميائيّة " [4]

أمّا الدراسات السيميائيّة الحديثة فقد تشعبت في مجالات عدَّة وحضارات مختلفة، بحيث لم تبق حكرا على أمّة دون أمّة، وثقافة دون أخرى. وأخذ العلماء يفحصون نصوص الحضارات القديمة بحثا عن تأمّلات وخواطر سيميائيّة؛ لعلّهم يعثرون على بدايات معمّقة وجادّة لهذا العلم، فالرغبة

([1]) ينظر : بلقاسم دقّة ، علم السيمياء في التراث العربي ، 68 -70 .
([2]) سورة الرعد ، 13 / 4 .
([3]) سورة النحل ، 16 / 16 .
([4]) بلقاسم دقّة ، م . س . ، 75 .

الكامنة في السيمياء التي لا تزال توجّه مسيرة البحث فيها هي الرغبة في الإحاطة الشاملة، ولو أنّ الإحاطة تبدو صعبة التحقيق، إلا أنّه لا بدَّ من إجهاد العقول لتحقيق ذلك الطموح . [1]

لا ينقص قدر الأمّة العربيّة ولا يضيرها أن تأخذ من الثقافات الأخرى في مجالات مختلفة كالأدب والنقد وعلم اللسان وعلم الأصوات وغيرها من العلوم، فالأمم الناجحة تستفيد من الإنتاج الفكريّ للآخرين، وتبني عليه وتطوّره، مع ضرورة الحفاظ على تراثها وحضارتها وخصوصيّتها المميّزة لها كأمّة لها كيان، واليوم انفتحت الاتّجاهات والقنوات العالميّة بعضها على بعض، والتأثير أمر حاصل وارد، وعوامل التأثّر قويّة وكثيرة، والأمة العربيّة أمّة حيّة ولديها إمكانات هائلة، وهي قادرة على الاستفادة من الآخر وتطويع ما لديه بما يتواءم مع هُويّته العربيّة الخاصّة، ومن هنا تظهر الحاجة إلى بلورة سيميائيّة عربيّة لها خصوصيّتها، تتبع النظام اللغوي، ويمكن تحقيق ذلك إذا تضافرت الجهود المختلفة.

تعريف السيمياء

السيمياء والسَّوْمة والسيمة لغة : العلامة أو الأثر أو الإشارة أو الآية، مشتقّة من الفعل(سام) المقلوب عن(وسم) ومن مشتقاتها سِمة التي أصلها وسمة، ويقولون سما بالقصر، وسيميا بالمد، وسيمياء بزيادة الياء وبالمدِّ. ويقولون سوم إذا جعل سمة وسوم فرسه أي جعل عليه السيمة ، وقيل الخيل المسوّمة وهي التي عليها السيما والسومة وهي العلامة. قال المتلمّس الضبعيّ[2] :

ولَوْ غيرَ أخْوالي أرادوا نَقيصَتي جَعلْتُ لَهُمْ فوْقَ العرانينِ مَيْسَما [الطويل]

والميسم اسم آلة الأثر والعلامة . [3]

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في عدّة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسيماهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً ﴾ [4]. وقوله :﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفونَ كُلًّا بِسيماهُمْ ﴾[5] . وقوله

(1) ينظر:بلقاسم دقّة ، علم السيمياء في التراث العربي، 68 .
(2) المتلمّس الضبعي، ديوان شعر، 29.
(3) ابن منظور ، لسان العرب ، مادّتي : سام ووسم .
(4) سورة البقرة ، 2 / 273 .
(5) سورة الأعراف ، 7 / 48 .

:﴿ سيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ ﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطومِ ﴾ [2]. وقوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ ﴾ [3]

ويفرد ابن خلدون فصلا كاملا تحت عنوان (علم أسرار الحروف) وهو المسمّى بالسيمياء . يقول ابن خلدون: " وإنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان... تنتقل في أطواره وتعرب عن أسراره؛ فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع السيمياء، لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائلة. تعدّدت فيه تآليف البوني وابن عربيّ وغيرهما ممّن اتّبع آثارهما " [4]

إنّ كلمة سيمياء مشتقّة وهي بمعنى العلامة أو الأثر أو الآية أو الإشارة؛ والأوْلى بدارس اللغة العربيّة أن يستخدم هذا المصطلح (سيمياء) دون غيره؛ لأنّه ضارب في الأصل العربيّ، ويقابله في اللغات الأجنبيّة السيمولوجيا بالفرنسيّة، وسيموطيقيا بالانجليزيّة، وهذان المصطلحان يأتيان بمعنى الإشارة أو العلامة .

السيمياء اصطلاحا

السيمياء علم يهتمُّ بدراسة أنظمة العلامات : اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات... إلخ " [5]

إنّ مصطلح سيمياء " يعني في أبسط تعريفاته وأكثرها استخداما: نظام السمة أو الشبكة من العلاقات النظميّة المتسلسلة، وفق قواعد لغويّة متّفق عليها في بيئة معيَّنة ." [6]

والسيمياء" لعبة التفكيك والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحيّة المتمظهرة فونولوجيّا ودلاليّا . وهي بأسلوب آخر " دراسة شكلانيّةٌ للمضمون، وتمرّ عبر الشكل لمساءلة الدوالّ من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى" [7] وهناك شبه اتفاق بين العلماء يعطي مكانة مستقلّة للغة،

([1]) سورة الفتح ، 48 / 29 .
([2]) سورة القلم ، 68 / 16 .
([3]) سورة الرحمن ، 55 / 41 .
([4]) ابن خلدون ، المقدمة ، 621 .
([5]) بيار غيرو ، السيمياء ، 5 .
([6]) بلقاسم دقّة ، علم السيمياء في التراث العربيّ ، 69 .
([7]) جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، 79 .

يسمح بتعريف السيمياء على أنّها: دراسة الأنماط والأنساق العلاماتيّة غير اللسانية [1] . إلا أنَّ العلامة في أصلها قد تكون لسانيّة(لفظيّة)، وغير لسانيّة (غير لفظيّة) .

والسيمياء كما ينقلها مازن الوعر في مقدمة " علم الإشارة السيميولوجيا " (لبيار غيرو) : " هي علم الإشارة الدالّة مهما كان نوعها وأصلها. وهذا يعني أنّ النظام الكونيّ بكلِّ ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة . وهكذا فإنّ السيمولوجيّة هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون، ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخليّة والخارجيّة " [2]

أمّا السيمولوجيا كما عرّفها (سوسيير) فهي:"عبارة عن علم يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية. وغالبا ما يُستشهد بهذا النَّصِّ: اللغة نظام علامات، يعبّر عن أفكار، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجديّة الصمّ والبكم، بالإشارات العسكريّة...؛على أنّ اللغة هي أهمّ هذه النظم على الإطلاق؛ وصار بإمكاننا بالتالي أن نرتئي علما يعنى بدراسة حياة العلامات داخل البيئة الاجتماعيّة " [3]

السيمولوجيا : تبدو اللغة من حيث نظامها الداخليّ، تنظيما مستقلا من الإشارات، وهي تندرج مع تنظيمات أخرى تقوم أيضا على إشارات معيّنة، ضمن ما سمّي بالدراسات السيمولوجيّة؛ فالألسنيّة كما يراها(سوسيير) هي جزء من علم السيمولوجيا الذي يتناول بالبحث دراسة التنظيمات القائمة على الإشارات" [4]. وعرّفها (رولان بارت) بأنّها: "علم الدلائل، وأنّها استمدّت مفاهيمها من اللسانيّات" [5] ونجده هنا مخالفا (لسوسيير)، وأجد نفسي متّفقا مع (رولان بارت) في أنّ السيميائيّة فرع من اللسانيّات وتابعة لعلم البلاغة.

أمّا السيميائيّة من وجهة نظري: فهي منهج نقديّ مشتغل بالعلامات الموجودة في النصوص، يحكم هذا المنهج ثلاثة أركان، وهي الدالّ والمدلول والدلائليّة، تعدُّ السيميائيّة النّصّ رسالة يتجاذبها مرسل ومستقبل، يقوم المستقبل بفكّ رموز تلك الرسالة ومعرفة حمولاتها ودلالاتها، فالسيميائيّة نظام ثلاثيّ الأبعاد.

([1]) بيار غيرو ، السيمياء ، 5 .
([2]) بيار غيرو ، علم الإشارة - السيميولوجيا- ، 9 .
([3]) بيار غيرو ، السيمياء ، 5 .
([4]) ميشال زكريّا ، الألسنيّة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ، 230 .
([5]) رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، 21 .

تعالج التعريفات السابقة مصطلح السيمياء ضمن مستويات مختلفة، وما يهمّنا في الأمر هو الاستفادة من السيميائيّة باعتبارها منهجا يدرس العلامات الموجودة في النصوص اللغويّة، وما تعكسه تلك العلامات، والأهمُّ من ذلك الوقوف على الدلالات المختلفة لتلك العلامات بعد تحديدها ورصدها.

نشأة السيميائيّة وتطوّرها

" بدأ تيّار سيميائيّ يظهر في نهاية القرن الثامن عشر داخل أدبيّات الثقافة الألمانيّة، بعدما عرف القرن التاسع عشر نزوعا نحو نقد النسقيّة الأرسطيّة،....وكانت السيميائيّات مطالبة بالعودة إلى منطق الحساسيّة والتمثيل الواضح للعلامة؛خدمة للنزوع التجريبي الذي بدأ يطبع فلسفة القرن السابع عشر في توجّهاتها العامّة " [1]

ظهر مصطلح السيميائيّة أو السيميولوجيا أو السيميوطيقيا في مجال اللسانيّات الحديثة على يد العالم السويسريّ (فرديناند دي سوسيير) سنة (1910 م)، وشاع المصطلح سيميولوجيا عند الأوروبيّين وعند سيميائيّي مدرسة باريس تقديرا لصياغة(سوسيير). وأمّا مصطلح سيميوطيقيا فيفضّله الناطقون بالإنجليزيّة، وشاع في أوروبا الشرقيّة وإيطاليا والولايات المتحدة؛ تقديرا للعالم الأمريكي (شارل ساندرس بيرس) . [2]

لقد شغلت السيميائيّة في السنوات الأخيرة مساحة كبيرة، وخطت خطوات مهمّة في الأبحاث النظريّة والتطبيقيّة حول تحليل الخطابات السرديّة، وكسّرت تلك الدراسات ما بقي من قيود المناهج النقديّة السابقة، وتكوّنت مدارس مختلفة ، وفي دول عدّة مثل فرنسا وروسيا والولايات المتحدة وألمانيا، واجتهد السيميائيّون في تعميق الآليات الداخلة لدراسة النصوص لكلّ دولة، وبذلك نشأت مدارس سيميائيّة مختلفة. [3]

" لقد خطت الدراسات النقديّة ما بعد البنيويّة خطوات واسعة نحو توسيع إطارها التحليليّ، وتأسيس بنيانها النقديّ، وهيكلها المعرفيّ على صعيد الناصّ والنصّ، مبتدئة في ذلك من بقايا

([1]) أحمد يوسف ، السيميائيّات الواصفة ؛ المنطق السيميائيّ وجبر العلامات ، 91 .
([2]) ينظر : بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 12 .
([3]) ينظر: جوزيف كورتيس ، مدخل إلى السيميائيّات السرديّة والخطابيّة ، 15 .

المناهج النقديّة القديمة، منطلقة من ميادين الفكر والفلسفة، منتهية بخصوصيّة منهجيّة في الأخذ والتناول،وطرق التحليل في اللغة والأدب، وكسرت تلك الدراسات ما بقي من القيود التي طالما قيّدت المناهج بمعايير ساكنة، فاتّجهت نحو حقول اشتغاليّة أخرى لغرض تشكيل خطابها الشامل الذي سيحاكي الماضي، ويلفُّ الحاضر، وينطلق إلى المستقبل.وقد كانت السيميائيّة واحدة من تلك المناهج التي رسمت لها حدود اشتغالها،وكوّنت ميدانها المفهوميّ الذي تعمل من خلاله " [1]

طوّرت السيميائيّة طرائق منفتحة للقراءة، ورفضت بعض ما جاء في المناهج النقديّة الأخرى، مع عدم إنكار استفادتها من تلك المناهج. وخالفت السيميائيّة البنيويّة التي رأت في الأدب ثقافة، ولكنّ السيميائيّة وجدت أنّ الأدب شفرة أو مجموعة سنن متفق عليها ضمن مستوى ما، دون أن يكون ثَمَّة اتفاق على أبعادها العميقة، وبذلك حصرت السيميائيّة مساحة البحث في العلامات وما تحمله تلك العلامات من دلالات، وتظلُّ القدرة على احتواء الموضوع حاضرة وممكنة، وإن اختلفت المدارس في تحديد دلالة تلك العلامات. [2]

وهكذا تقف وراء التطوّرات الراهنة للنظريّة السيميائيّة مجموعة من الانشغالات العلميّة؛ التي تقضي بضرورة فهم النشاط اللغويّ في علاقته بالموضوعات السيميائيّة التي يعبّئها المتكلّم لإقامة التواصل مع المتلقّي، تصف التداوليّة استعمال المتكلّمين للأدلّة اللغويّة بهدف التأثير في الآخرين، وتحقيق مقاصدهم التواصليّة، وكلّ ذلك في إطار اللغة العام، وضمن المستويات المختلفة المكونة لنظام اللغة(الصوتي والدلالي والنحوي والصرفي والكتابي) .

الاتجاهات السيميائيّة :

ظهرت اتجاهات سيميائيّة عديدة؛ نظرا للثورة المعلوماتيّة التي أحدثتها السيميائيّة، وقد تشعّبت تلك الاتجاهات نظرا لاختلاف مسالك باحثيها؛ والاختلاف بين هذه الاتجاهات هو اختلاف يعزى إلى وظيفة الدليل. ويمكن حصر الاتجاهات التي انبثقت منها المعطيات السيميائيّة، بثلاثة اتّجاهات :[3]

([1]) محمد سالم سعد الله ، مملكة النّصّ ؛ التحليل السيميائي للنقد البلاغي، 1 .
([2]) ينظر: بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 23 +24 .
([3]) ينظر : محمد سالم سعد الله ، م . س .، 21 + 22 .

1–سيمياء التواصل : تقسم سيمياء التواصل العلامة إلى(دال ومدلول وقصد)، والعلامة عندهم أداة تواصليّة قصديّة؛ لذلك انحصرت عندهم موضوعات السيميائيّة في الدلائل على مبدأ الاعتباطيّة، وهي تختصّ بالرسالة اللسانيّة وتتعدّاها إلى حقول غير لسانيّة .

2–سيمياء الدلالة : يمثّل هذا الاتجاه بشكل خاصّ(رولان بارت)؛ حيث يشير إلى إمكانيّة التواصل سواء بقصديّة أم بغير قصديّة، وبكلّ الأشياء الطبيعيّة والثقافيّة، سواء كانت اعتباطيّة أم غير اعتباطيّة؛ ومن هنا جاء رأيه في أنّ اللسانيّات أصل والسيميائيّات فرع منها، على خلاف ما ذهب إليه(سوسيير)، والعلامة عند (بارت) ثنائيّة المبنى تتكوّن من دال ومدلول فقط .

3–سيمياء الثقافة : انبثق هذا الاتّجاه من الماركسيّة، وتتكوّن العلامة عند أصحاب هذا الاتّجاه من بناء ثلاثيّ (الدال والمدلول والمرجع) .

رفض بعض السيميائيّين فكرة وجود ارتباط ثابت بين الدالّ والمدلول، "وقدّموا تصوُّرهم على أنّ الإشارات(تعوم) سابحة لتعزي المدلولات إليها لتنبثق معها وتصبح جميعا(دوالا) أخرى ثانويّة متضاعفة لتجلب إليها مدلولات مركّبة. وبذلك حرّروا الكلمة وأطلقوا عتاقها لتكون(إشارة حرة) . وهي تمثّل حالة(حضور)، في حين يمثّل المدلول(حالة غياب) معتمدا على ذهن المتلقّي لإحضاره إلى دنيا الإشارة . وهذه العلاقة لا تتأسّس إلا بفعل المتلقّي العارف الذي يؤسّس هذه العلاقة ويقيمها بين الدالّ والمدلول، وهي ما يسمّى بالدلالة " [1]

ولا يحصر الحقل السيميائيّ في التواصل فقط، فدخلت السيميائيّة دائرة النقد الأدبيّ وأصّلت لقراءة الخطابات الدينيّة والفكريّة والفلسفيّة، وأولت الأدب مكانة خاصّة ، وحرصت على فهم العلاقة الأدبيّة في مستوى العلاقة الملتبسة والجدليّة بين الخطاب الأدبيّ(النّصّ) والمجالات الثقافيّة والعقديّة ضمن أطرها الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ووضعت السيميائيّة هدفا يتمثّل في استكشاف المعنى وإبراز الدلالة المنعكسة عن النصّ الأدبيّ نفسه. ولقد شكّلت كل هذه الاتّجاهات السيميائيّة روافد أصيلة لبناء قراءات سيميائيّة ليس للأدب فحسب، بل لقراءة أنظمة علاميّة وإشاريّة أخرى. إضافة إلى قراءة الأدب : شعرا ورواية...، والفنّ: رسما وموسيقا...[2]

([1]) ينظر:عبد الله الغذاميّ ، الخطيئة والتكفير ، 46 .

([2]) ينظر:جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابيّة، 5.وينظر: بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان، 23 .

إنَّ التأويل السيميائيّ للخطاب الفلسفيّ ذو طبيعة أكثر خصوصية وأكثر تعقيدا؛ ذلك لأنّ التفكير بالعلامات وحول العلامة في آنٍ واحد ظلَّ يشغل بال الفلاسفة منذ العصور القديمة ومرورا بالعصور الوسطى والحديثة إلى أيامنا هذه؛ لذلك دعت السيميائيّة إلى الاستكشاف عن طريق الوقائع الخارجيّة التي تصبح موضوعات يسعى الذهن البشريّ إلى تمثّلها، ودعت إلى احترام التفكير وربطه بالعلامات، ونظرت إلى التفكير على أنّه علامة، وأنّه لا يمكن فصله عن اللغة؛ لأنّ المنطق الصوريّ هو معرفة سيميائيّة تشمل اللغات المنطقيّة والطبيعيّة؛ وإن كانت اللسانيّات تسلِّم بأفضليّة اللغة الطبيعيّة على بقيّة الأنساق السيميائيّة الأخرى التي يحتذي أغلبها بالأنموذج اللسانيّ؛ لأنّ اللغات الطبيعيّة هي مكان ميلاد المعنى. [1]

أعلت السيميائيّة من قيمة العقل والتفكير، وركّزت مجال اهتمامها على اللغة، وحرصت على فهم العلاقات المختلفة للمستويات اللغويّة، وكلّ ذلك ينعكس عن العلامات العائمة في اللغة؛ فأدّى ذلك كلّه إلى الاهتمام بالمنهج السيميائيّ، وبروز نجمه بين المناهج النقديّة الحديثة التي تتعامل مع النّصوص مباشرة.

موقع السيميائيّة من اللسانيّات

اللسانيات هي التعبير المقابل عربيّا لكلمة(linguistics)بالانجليزيّة، وقد ترجمها بعضهم بكلمة أخرى هي علم اللسان، وبأخرى هي علم اللغة العام، وبأخرى الألسنيّة واللسانيّة واللغويّات. واللسانيّات هي: الدراسة العلميّة للغة من حيث هي لغة دراسة مستقلّة عن العلوم الأخرى...واللسانيّات وصفيّة لا معياريّة، وتزامنيّة لا تاريخيّة، وتعتمد المنطوق والمحكيّ ولا تقتصر على المكتوب، وتعنى باللغات جلّها ولا تقتصر على رقعة لغويّة محدودة، وقد ارتبطت نشأتها بهذا المفهوم (بفردناند سوسيير) مصنف كتاب(**دروس في الألسنيّة العامّة**) [2] . ولقد انقسم العلماء بالنسبة لموقع السيميائيّة من اللسانيّات إلى فريقين :

الفريق الأوّل : فريق يرى في السيميائيّة أصلا والألسنيّة فرعا عليه، يمثّل هذا الفريق أصحاب المعادلة السويسريّة؛ التي يرأسها (سوسيير) .

([1]) أحمد يوسف السيميائيّات الواصفة ؛ المنطق السيميائي وجبر العلامات ، 9 .
([2]) إبراهيم خليل ، في اللسانيّات ونحو النصّ ، 13 .

الفريق الثاني : يرى هذا الفريق برئاسة(رولان بارت)" أنّ اللسانيّات ليست فرعا، ولو كان مميّزا، من علم الدلائل، بل السيميولوجيا هي التي تشكّل فرعا من اللسانيّات "[1]

يتّفق الدارس مع وجهة نظر الفريق الثاني، ويقتنع بأنّ السيميائيّة فرع من علم اللسان .

الســيميائيّــة علــم

تعرّف السيميائيّة بأنّها :علم الإشارة، أو علم العلامات، أو علم الأدلّة، أو علم الإشارات الدالّة. والسؤال الذي يطرح نفسه : هل السيمياء علم ؟

" إنّ العلم هو تحويل الظواهر إلى مفاهيم والتعبير عن نتائجه عن طريق العلامات التي تغدو دلائل عندما يستخدم الاستدلال في استنباط الأحكام والبحث عن حلول للمشكلات التي تتّصل بطرائق التعبير العلميّ وأشكاله؛ مخالفا المنطق التقليديّ...؛وعليه فإنّ السيميائيّات بوصفها مذهبا وعلما للعلامات التي تستكشفها بعض العلوم التجريبيّة يمكنها أن تحوز عن جدارة صفة العلم لهذه العلامات. وتدعو السيميائيّة إلى الوقوف على حقائق المعقولات" [2]

ينقل (جوزيف كورتيس) الآراء المختلفة بين من يرى في السيميائيّة علما، ومن لا يرى فيها علما، على اعتبار أنّ الإدراك الشامل لا يمكن أن يعدّ من البحث العلمي والتحليليّ، ويدعو إلى احترام وجهات النظر المختلفة، والتمييز بينها، ويطالب بتحرّي الدقّة. ويخلص الباحث إلى أنّ السيميائيّة تسير ضمن ترتيب علميّ في التعامل مع النّصّ تبعا لمستويات لها طابعها العلميّ، مثل دراسة المستوى الصرفيّ والنحويّ والبلاغيّ والدلاليّ، ثمّ يجتهد الباحث السيميائيّ في تحليل النصّ ضمن تلك المستويات المختلفة التي تتبع البحث العلميّ، ومن هنا تُكتَسب صفة العلميّة. مع غياب إمكانيّة الوصول إلى مستوى متجانس للتحليل.[3]

(1) حنون مبارك ، دروس في السيميائيّات ، 76 .
(2) أحمد يوسف ، السيميائيّات الواصفة ؛ المنطق السيميائيّ وجبر العلامات ، 11 .
(3) ينظر: جوزيف كورتيس ، مدخل إلى السيميائيّات السرديّة والخطابيّة ، 59 .

يجد الدارس أنّ السيميائيّة ليست علما له قوامه الكامل وطريقه الواضح، حتّى وإن كانت السيميائيّة تلتمس طريقا علميّا في البحث والتحليل، إلا أنّها تمثّل منهجا مشتغلا بالعلامات المنعكسة عن النصّ ضمن علاقاته المختلفة. وتأتي هذه النتيجة لأسباب منها:

-كثرة العلامات المنعكسة عن النصّ الأدبي.

-الاختلاف في تحديد الدلالات المختلفة للعلامات.

-اختلاف المدارس الأدبيّة في وجهات النّظر حول التعامل مع العلامات.

-وضع العلامات في قوالب ثابتة يقلّل من روعة التحليل الأدبيّ والفنّيّ، ويحصره في قضايا محدّدة، وهذا مناقض لأدبيات السيميائيّة وأصولها وأهدافها ومجال اشتغالها.

-النظر إلى النّصّ من زوايا مختلفة، ومع تعدّد القراءة ينتج عنها اختلاف في تحديد الدلالة، قد يُتّفق عليها أو لا يُتّفق.

ويخلص الدارس بعد هذه الجولة في أدبيّات السيميائيّة منهجا نقديّا حديثا، إلا أنَّ القراءة السيميائيّة لا تلغي القراءات السابقة عليها، وإن كانت تفيد منها وتحتويها، فهي بتركيزها على قراءة أعماق الدالّ، بحثا عن الأنظمة الدلاليّة للشفرات والعلامات وطرق إنتاج المعنى؛ لتفتح المجال واسعا لفاعليّة القراءة، وتحفّز الطاقة الدفينة لدى المتلقي؛ ليشارك بفكره وثقافته في إبداع النصِّ من خلال كشف أسراره وتحليل بنياته، ومعرفة دلالاته وتفتيقها، وتحليل محتوياته المتنوعة.ومن يشتغل بهذا المنهج يستشعر لذة البحث، وروعة التحليل، وجمال السيميائيّة.

تبدو الصورة المستقبليّة للسيميائيّات في العالم العربي ضبابيّة، والأمر مرهون بقدرة الباحث في أثناء تقويمه للحركة السيميائيّة على صياغة ملاحظات موضوعيّة، واستطاعت البحوث السيميائيّة بالرغم من وجود بعض الاضطرابات المنهجيّة أن ترقى بالنقد العربيّ من الرؤية المعياريّة

إلى الرؤية العلميّة.[1] وأنا شخصيّا أرى مستقبلا للسيميائيّة، وأنّها ستأخذ مكانا مميّزا في الدراسات الحديثة.

ب- العنوان

يعدُّ العنوان من أهمِّ العتبات النصيّة الموازية المحيطة بالنصِّ الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النصّ ، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفيّة إنْ فهما وإنْ تفسيرا، وإنْ تفكيكا وإنْ تركيبا. فالعنوان هو المفتاح الضروريُّ لسبر أغوار النصِّ، والتعمُّق في شعابه، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنّه الأداة التي بها يتحقّق اتّساق النصِّ وانسجامه، وبها تبرز مقروئيّة النصِّ، وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي، فالنصّ هو العنوان، والعنوان هو النصّ، وبينهما علاقات جدليّة وانعكاسيّة، أو علاقات تعيينيّة أو إيحائيّة، أو علاقات كليّة أو جزئيّة...

ولا يمكن مقاربة العنوان مقاربة علميّة موضوعيّة إلا بتمثّل المقاربة السيميائيّة التي تتعامل مع العناوين، وذلك باعتبارها علامات وإشارات ورموزا وأيقونات واستعارات. ومن ثمَّ، فلا بدَّ من دراسة هذه العناوين تحليلا وتأويلا، وذلك من خلال ثلاثة مستويات منهجيّة سيميائيّة، ويمكن حصرها في : البنية، والدلالة، والوظيفة . [2]

تنبَّه القدماء إلى أهميّة العنوان وسلطته على النصوص، وكان العرب يلتمسون التسمية لكلِّ شيء، من أجل إبانته وإظهاره وتحديده؛ ولذلك لمّا جمع القرآن في عهد أبي بكر قال : التمسوا له اسما فاجتمع الرأي على تسميته بالمصحف. ولأهمّيَّة التسمية يعقد جلال الدين السيوطي فصلا في معرفة أسماء القرآن وأسماء السور.[3] . وفي التسمية يقول صاحب البرهان: " وينبغي النظر في اختصاص كلِّ السور بما سمِّيت به، ولا شكَّ أنَّ العرب تراعي في كثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصُّه، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق، لإدراك الرأي للمسمّى" [4]

([1]) ينظر:رشيد بن مالك ، السيميائيّات السرديّة ، 42 .
([2]) ينظر: جميل حمداوي ، السيميوطيقيا والعنونة ، 79 .
([3]) ينظر : جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، 1 / 147 – 163 .
([4]) بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1 / 270 + 271 .

تيمّن القدماء بالقرآن وسلكوا درب العنونة، فوصلتنا تآليفهم معنونة: **(العين)** للفراهيدي، **(البيان والتبيين)** للجاحظ،**(الكامل)** للمبرد، ولم يتح لسيبويه أن يسم كتابه بعنوان، ووصلتنا عناوين لاختيارات شعرية **كالمعلّقات والأصمعيّات وجمهرة أشعار العرب والعقد الفريد.** وغيرها .

وغابت العنونة عن القصائد الشعريّة إلا ما كان يذكر في عنونة القصائد صوتيّا حسب القافية أو الرويِّ، وسدَّ الموضوع أو المناسبة أو المطلع مسدَّ العنوان. [1]

واعتبر محمد عويس " أنَّ الاعتماد على المشافهة والإنشاد، السبب المباشر في ظهور عدم الحاجة إلى عنونة القصيدة. فالشاعر ينشد قصيدته إنشادا؛ وفي هذا الإنشاد إعلام وعنونة ذاتية غير مباشرة. ويضيف إلى عامل المشافهة والإنشاد عامل المضامين الشعريّة للقصيدة المفردة وهو ما يصعب اقتراح عنوان جامع، بالإضافة إلى عاملي المناسبة والغرض[2] . ويخلص محمد عويس إلى أنَّ أدب العنونة: "لم يتولّد إلا مع عصر التدوين، وبداية نقل الآثار الأجنبيّة " [3]
وانعطف الوعي بالمكوّن العنواني في الخطاب العربي المعاصر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر؛ متجاوزا النزعة التأريخيّة إلى البعد التنظيريّ النقديّ والمعياريّ، وأصبح بالإمكان الحديث عن شعريّة العنوان حديثنا عن شعريّة النصوص المعروضة بعد العنوان، واستحقّ بذلك دراسات مستقلة ومهمّة تخدم العنوان، وتركز على رأس العمل الأدبيّ، وعتبته الأولى. [4]

تعريف العنوان

لغة: يرجع أصل لفظة عنوان إلى الجذرين(عنا وعنن) ومن معانيها: الظهور والاعتراض والقصد والاستدلال والأثر والتعريض والسمة. وينقل صاحب لسان العرب قول ابن سيده:أنّ العنوان بمعنى الوسم أو السمة أو العلامة قال ابن سيده: وفي جبهته عنوان من كثرة السجود أي أثر، قال حسّان ابن ثابت يرثي عثمان بن عفّان رضي الله عنه [5] :

ضحّوا بأَشْمَطَ عُنوانُ السُجودِ بهِ يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا [البسيط]

([1]) ينظر : بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 34 .
([2]) ينظر:محمد عويس ، العنوان في الأدب العربي ؛ النشأة والتطوّر ، 49 + 51 .
([3]) محمد عويس ، م . ن . ، 168 .
([4])ينظر: رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث ؛ دراسة في المنجز النصّيّ ، 110 .
([5]) حسّان بن ثابت، ديوان شعر، 244.

وقال ابن بري والعنوان الأثر، قال أبو الأسود الدؤلي[1] :

نـظـرْتُ إلى عُـنْوانــهِ فنَبَذتُـــهُ كنَبْذِكَ نَعْلاً أخْلَقَت مِنْ نِعالِكا [الطويل]

وعنونت الكتاب، وعنْنْتُه، وأعننْتُه أي عرّضته له وصرفته إليه، وهو مشتقٌّ من المعنى .[2]

العنوان اصطلاحا : يتّكئ المعنى الاصطلاحي على المعنى اللغوي ويعتمد عليه ويفسّره، ولا يبتعد عنه كثيرا، وتعريفات الباحثين تؤكّد ذلك :

العنوان: " سمة الكتاب أو النصّ، ووسم له وعلامة عليه وله " [3]

العنوان: " نظام سيميائيّ ذو أبعاد دلاليّة أو أخرى رمزيّة، تغري الباحث بتتبُّع دلالاته، ومحاولة فكّ شيفرته الرامزة." [4]

والعنوان:"علامة لها مقوّماتها الذاتيّة مثله مثل غيره من العلامات المنتجة للمسار الدلاليّ الذي تكوّنه، ونحن نؤوِّل النصَّ والعنوان معا، وغدا العنوان جزءا من استراتيجيّة النصّ، وله وظيفة في تشكيل اللغة الشعريّة"[5] والعنوان:"مجموعة علامات لسانيّة تصوِّر وتعيِّن أو تشير إلى المحتوى العام للنصِّ" [6]

" ويعدّ العنوان الشعري نصّا موازيّا له مبادئه التكوينيّة، ومميّزاته التجنيسيّة ونظرا لطبيعته الإيحائيّة والمرجعيّة، فهو إذن يتضمن أبعادا تناصيّة استنساخا واستلهاما أو تحاورا " [7]

يعرّف الباحث العنوان بأنّه: تركيب لغويّ مختزل يضعه المبدع سمة لنصّه وعلامة شخصيّة تشير إلى المحتوى، أو إلى جزء منه، ويرتبط به ارتباطا وثيقا، ويشكّل نظاما سيميائيّا له أبعاده، ويمثّل عتبة مهمّة للعمل الأدبي.

أهميــة العنــوان

([1]) أبو الأسود الدؤلي، ديوان شعر، 106.
([2]) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادتي : عنا وعنن .
([3]) بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 31 .
([4]) جميل حمداوي ، السيميوطيقيا والعنونة ، 97 .
([5]) رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث ؛ دراسة في المنجز النصّيّ ، 110 .
([6]) شعيب حليفي ، النصّ الموازي للرواية (استراتيجيّة العنوان)، 84 .
([7]) بسّام قطّوس ، م . س . ، 45 .

يمتلك العنوان أهمية كبيرة للمبدع ، يتكئ عليه ليعلن عن عمله الإبداعي، وهو مهمّ للعمل ذاته، عندما يعطيه شهادة الميلاد، وتصريح المرور ويوصله إلى جمهور المتلقّين، ويتميّز عن غيره من اللافتات الإشهاريّة، ومهمّ أيضا للمتلقّي، حين يميّز عملا عن آخر، ويخزّنه في ذاكرته حسب مكانه الملائم. و" تنبع أهميّة العنوان وسيميائيّته من كونه يجسّد أعلى اقتصاد لغويّ ممكن؛ ليعرض أعلى فعاليّة تلقٍّ ممكنة؛ ممّا يدفع إلى استثمار منجزات التأويل، كما يشكّل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقّي " [1]

يشكّل العنوان مفتاحا تقنيّا يجسُّ به السيميائيّ نبض النصّ، ويستكشف ترسُّباته البنيويّة وتضاريسه التركيبيّة، وذلك على المستويين: الدلاليّ والرمزيّ. تكمن أهمية العنوان في كونه أوّل عتبة يستنطقها الباحث السيميائيّ ثمّ يستقرؤها. [2]

لقد أظهر البحث السيميائيّ بشكل من الأشكال، أهميَّة العنوان في دراسة النصِّ الأدبيِّ، وذلك نظرا للوظائف الأساسيّة المرجعيّة والإفهاميّة والتناصيّة التي تربطه بالنصِّ وبالقارئ، ولن نبالغ إذا قلنا: إنّ العنوان يعتبر مفتاحا إجرائيّا في التعامل مع النصِّ في بعديه : الدلاليّ والرمزيِّ . وهكذا، فانّ أوّل عتبة يطؤها الباحث السيميائيّ هو استنطاق العنوان، واستقراؤه بصريّا ولسانيّا، أفقيّا وعموديّا، ولعلّ القارئ يدرك مقدار الأهميّة التي يوليها الباحثون المعاصرون لدراسة العناوين، خاصّة وأنّه: " قد ظهرت بحوث ودراسات لسانيّة وسيميائيّة عديدة في الآونة الأخيرة؛ وذلك بغية دراسة العنوان، وتحليله من نواحيه التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة " [3]

وعلى أيِّ حال ، فالعنوان هو الذي يفرض أهميّته ومكانته، حين يسم النصّ، ويعيّنه، ويصفه، ويثبته، ويؤكّده، ويعلن مشروعيّته القرائيّة، وهو الذي يحقّق للنصّ كذلك التواؤم والانسجام، ويزيل عنه كلّ غموض وإبهام، ويؤيّد ذلك ما آلت إليه الدراسات العنوانيّة.

وظائف العنوان

([1]) محمد فكري الجزّار ، العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الأدبي ، 8 .
([2]) ينظر:جميل حمداوي ، السيميوطيقيا والعنونة ، 92 .
([3]) جميل حمداوي ، م . ن . ، 92 .

يشكّل العنوان نقطة مركزيّة أو لحظة تأسيس بِكْر (إشارة سيميائيّة تأسيسيّة)؛ حين يسمّي النصوص والخطابات الإبداعيّة، ويعيّنها، ويعطي القارئ تصريحا للعبور إلى النصّ، وكيف لا؟ وهو سمة العمل الفنّيّ الأوّل؛ وهو يضمُّ النصّ الواسع في حالة اختزال وكمون كبيرين، ويختزن فيه بنيته أو دلالته أو كليهما في آن واحد، إنّ العنوان يصوّر ويختزل العمل الإبداعيّ. وللعنوان وظائف تجلّ عن الحصر، وتحديدها يساهم في فهم النصّ وتفسيرها، خصوصا في الأعمال الإبداعيّة، مع خصوصيّة العنوان الشعريّ. [1]

إنّ العنونة هي أولى المراحل التي يقف لديها الباحث السيميائيّ لتأمّلها واستنطاقها، قصد اكتشاف بنيتها وتراكيبها ومنطوقاتها الدلاليّة ومقاصدها التداوليّة. إنّ العناوين عبارة عن علامات سيميوطيقيّة تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النصّ ، كما تؤدّي وظيفة تناصيّة ، ولا سيّما إذا كان العنوان يحيل على نصٍّ خارجيّ ، يتناسل معه ويتلاقح شكلا وفكرا . وهكذا. [2]

للعنوان عدّة وظائف سيميائيّة، يمكن حصرها في وظيفة التعيين والوظيفة الوصفيّة والوظيفة الإغرائيّة، كما أنّ العنوان يؤدّي وظيفة التلميح والإيحاء، والتناصّ، والمدلوليّة، والتشاكل، والشرح، والاختزال، والتكثيف، وخلق المفارقة والانزياح عن طريق إرباك المتلقّي، والوظيفة الإشهاريّة. ويحدّد(جيرار جنيت) للعنونة أربع وظائف أساسيّة ألا وهي: الإغراء والإيحاء والوصف والتعيين. [3]

إنّ العنوان كما هو معلوم عبارة عن رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، فيسهمان في التواصل المعرفيّ والجماليّ، وهذه الرسالة مسنَّنة بشفرة لغويّة، يفكّكها المستقبل، ويؤوِّلها بلغته الواصفة، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعريّة أو الجماليّة ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال. ويمكن في هذا الصدد الاستفادة من وظائف اللغة.

يجتهد الأدباء والمبدعون في أحيان كثيرة إلى وضع عناوين معقّدة وغامضة، كأنّها ألغاز بحاجة إلى حلّ، مستفيدين من سعة اللغة وما فيها من أساليب تركيبيّة مجازيّة، كاستخدام الرموز والتورية والكنايات والاستعارات، فيلجأ المتلقّي إلى بذل الجهد في فكّ شفرة ذلك العنوان وحلّ لغزه، وتتكون علاقة ملتبسة بين العنوان والنّصّ، ويغدو تحديد وظيفة ذلك العنوان صعبا، وقد يتوه الباحث

([1]) ينظر: بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 58 .
([2]) جميل حمداوي ، السيميوطيقيا والعنونة ، 93 .
([3]) ينظر: جميل حمداوي ، م . س . ،98 -100 .

بين الوظائف المختلفة، حتى يصل إلى نتيجة يرتضيها البعض ويرفضها الآخرون، حسب سيرورة القراءة؛ لذلك قد لا تحكم وظائف العنوان دائما العلاقة بين العنوان والنّصّ.

يحتكم الباحث إلى القيمة المهيمنة لتحديد الوظيفة العنوانيّة؛ لأنّ العنوان في نصٍّ ما، قد تغلب عليه وظيفة معينّة دون أخرى، فكلُّ الوظائف التي حدَّدناها سالفا متمازجة، إذ قد نعاينها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبة على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال .

كيـف نقـارب العنـوان سيميائيّا؟

يقول جميل حمداوي :" حينما نريد مقاربة العنوان، لا بد من الانطلاق من أربع خطوات أساسية، وهي: البنية، والدلالة، والوظيفة، والقراءة السياقيّة الأفقيّة والعموديّة. ويعني هذا أن البنية تستوجب قراءة العنوان صوتيّا وإيقاعيّا وتنغيميّا وصرفيّا وتركيبيّا وبلاغيّا وأيقونيّا. في حين، تستلزم الدلالة دراسة العنوان على ضوء علاقة العنوان بالدلالة، متسائلين عن طبيعة العلاقة: هل هي علاقة كلية أو جزئية؟ وهل هي علاقة مباشرة أو غير مباشرة؟ وهل هي علاقة تعيين أو علاقة تضمن؟ وهل هي علاقة حرفيّة أو علاقة إيحائيّة؟.." [1]

ويرى محمد مفتاح"أنّ أول الحيل التكتيكية هي الظفر بمغزى العنوان، والمفهوم المحلي الذي نستخدمه لهذا الغرض هو: من القاعدة إلى القمّة، ومن القمّة إلى القاعدة، ومعنى هذا، أنه يجب فهم معاني الكلمات المعجميّة وبنية الجملة، ومعناها المركب أي: من القاعدة إلى القمّة، وعلى أساس هذه الجملة نتوقّع ما يحتمل أن يتلوها من جمل أي: من القمَّة إلى القاعدة(القمعدة).[2] ولا بدَّ من مراعاة السياق المحليِّ أثناء مقاربة العنوان وتأويله، وإلا تعسَّف المحلِّل السيميولوجي مثلا في التفسير والتحليل. وإذا" كانت المشابهة وما تدعوه من توقُّع وانتظار بناء على معرفتنا المتراكمة للعالم، تجعلنا نقتحم عالم القصيدة الرحب، اعتمادا على ما أوصى به العنوان، فإنّنا مع ذلك، سنقيّد أنفسنا بمبدأ التأويل المحليّ، لكيلا نسقط على القصيدة كلّ ما تراكم لدينا من تجارب، ونقوّلها ما لم تقل." [3]

([1]) جميل حمداوي ، السيميوطيقيا والعنونة ، 101 .
([2]) ينظر:محمد مفتاح ، ديناميّة النصّ ، 60 .
([3]) محمد مفتاح ، ديناميّة النصّ ، 60 .

أمّا فيما يخصّ الوظيفة ، فلا بدّ من تحديد مجمل الوظائف السياقيّة التي يؤدّيها العنوان داخل النصّ؛ وذلك على ضوء قراءة فعّالة مرنة تنطلق من القمّة إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى القمّة، ومن الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل.

إذا أردتُ أن أُقارب عنوانا فإنّني أتّفق مع ما ذهب إليه محمّد مفتاح وجميل حمداوي، ولكنّني أُحلّله وأُقاربه ضمن مستويات ثلاثة:

أولا: **المستوى الأوّلي**(معاملة العنوان باعتباره نصّا مستقلاّ)، وذلك على النحو الأتي:

1- قراءة العنوان مجرّدا عن نصّه، ومحاولة استكشافه بعيدا عن بيئته .
2- البحث عن علامات معيّنة قد تؤدّي إلى هدفي من دراستي للعنوان .
3- تحليل التركيب اللغويّ والبنائيّ للعنوان، إضافة إلى معرفة المعنى المعجميّ للعنوان .

ثانيا: **المستوى التكوينيّ الوسطيّ**(ربط العنوان بالنص)، ويقوم على ما يأتي:

1- ربط العنوان بالنصّ وتحليله من القمة إلى القاعدة أو العكس .
2- معرفة السياق العام للنصّ الأدبيّ وعلاقته بالعنوان .
3- تحديد علاقة العنوان بالأمور الثقافيّة والدينيّة والفلسفيّة .
4- ربط العنوان بالإطار الاجتماعيّ والاقتصاديّ، وذلك ضمن بيئته الطبيعيّة وسياقه المحليّ .
5- ربط العنوان بمؤلّفه ومبدعه؛ لأنّه قد يكون مرآة لثقافة المؤلّف وانعكاسا لها .

ثالثا:**المستوى الختاميّ**(الكشف عن دلائليّة العنوان)، يبلور الباحث نتيجة ختاميّة، محتكما إلى:

1- احترام العنوان باعتباره بطاقة تعريف للنصّ الأدبيّ، وهو اسمه الذي سيعرف به.
2- رصد أهم العلامات الموجودة في العنوان، وتحليله تبعا لها.
3- تحديد وظيفة العنوان تحديدا صحيحا، بعد تلك الجولة في تحليله وفكّ شيفراته.
4- الابتعاد عن الذاتيّة والأحكام المسبقة والقطعيّة مع ضرورة قراءة وجهات النظر كلها وتمحيصها والاستفادة منها.
5- تحديد المنهج المعمول به وعدم الحيد عنه، حتّى لا يحدث تخبّط ما.

" إنّ العنوان في الحقيقة بمثابة رأس للجسد، والنصُّ تمطيط له وتحوير، إمّا بالزيادة والاستبدال تارة، وإمّا بالنقصان والتحويل تارة أخرى. إنّ العنونة بالنسبة للسيميولوجي بمثابة بؤرة ونواة للقصيدة

الشعريّة يمدُّها بالحياة والروح والمعنى النابض: " إنَّ العنوان يمدُّنا بزاد ثمين لتفكيك النصِّ ودراسته، ونقول هنا: إنّه يقدِّم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النصِّ، وفهم ما غمض منه؛ إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامي ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدِّد هُويّة القصيدة، غير أنَّه إمّا أن يكون طويلا؛ فيساعد على توقُّع المضمون الذي يتلوه. وإمّا أن يكون قصيرا، وحينئذ، فإنّه لا بدَّ من قرائن فوق لغويّة توحي بما يتبعه " [1]

يمتلك العنوان نظاما سيميائيّا غنيّا بالعلامات المشفّرة، علامات من الإحالات الغنيّة والثريّة، تظهر قيمتها عند تحليلها، ويشكل العنوان في هذا النظام السيميائيّ بؤرة ونواة للنصِّ الأدبيّ يمدُّه بالروح والمعنى النابض، ويمدُّ الدارس بزاد غنيٍّ لتفكيك النصِّ ودراسته، ويقدّم لنا معرفة كبرى باعتباره محورا مهما لضبط ومعرفة مدى انسجام النصِّ وتحديد هويّته.

إنَّ العنوان ليس عنصرا زائدا كما يعتقد الكثير من الباحثين والدارسين. وينطبق هذا الحكم أيضا على كلِّ العتبات المجاورة للنصِّ، من إهداء، واستهلال، وتقديم، واقتباس، وهوامش...فالنصُّ الموازي هو عنصر ضروريٌّ في تشكيل الدلالة، وإثراء المعنى، ومن هنا، فمن الضروريّ دراسة العتبات، وتفكيك المصاحبات النّصّيّة، واستكشاف الدوالِّ الرمزيَّة، وإيضاح الخارج، قصد إضاءة الداخل.[2]

يزخر العنوان بحمولات دلاليّة كثيرة، وعلامات سيميائيّة متنوّعة، حتّى إنّه يشكّل علامة بحدّ ذاته، تستفزُّ تلك العلامة النّاقد وتتحدّاه وتراوغه وتشاكسه، والنّاقد الجيّد يقبل التحدّي، ويتسلّح بكلّ الأدوات ليفكَّ أسرار تلك العلامة، وهنا تظهر سيميائيّة العنوان في أبهى صورة فنّيّة، ويبدأ النّاقد رحلته، التي لا تخلو من المغامرة، في الكشف عن بقيّة العلامات السابحة في العمل الكبير، يستشعر بعد تلك الجولة السيميائيّة لذّة خاصّة، وشعورا بالانتصار.

ولقد استعرضت مجمل التصوّرات السيميائيّة حول ظاهرة العنونة، ومدى أهميّتها الوظيفيّة في مقاربة النصوص والخطابات، وذلك على مستوى البنية، والدلالة، والوظيفة. وسأحاول الاستفادة من تلك التصوّرات في الجانب التطبيقيّ، لدراسة العنوان وتجلّياته.

([1]) محمد مفتاح ، ديناميّة النصّ ، 72 .

([2]) جميل حمداوي ، السيميوطيقيا والعنونة ، 112 .

الفصل الأوّل

العنوان والموضوعات والأغراض الشعريّة لقصائد يوسف العظم

توطئة: ترجمة حياة يوسف العظم

المبحث الأوّل : السيميائيّة والعنوان

المبحث الثاني : العناوين الخارجيّة من حيث الموضوع

المبحث الثالث : العناوين الداخليّة من حيث الموضوع

توطئة: ترجمة حياة يوسف العظم (1931–2007م)

هو يوسف بن هويمل بن محمد بن شحادة آغا بن محمّد حسن العظم، وكنيته أبو جهاد، وأمّه حفيظة إبراهيم بن سليمان الجعامين، ولد شاعرنا في مدينة معان جنوب الأردن عام(1931 م) [1]

الأصول والمنابت

يعود نسبه إلى آل العظم تلك العائلة من عائلات الشام، سجّله أهله في كُتّاب المرحوم عبد الكريم الروّاد في معان، وتعلّم القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب، ثم انتسب إلى مدرسة معان الابتدائيّة حتى أنهى الصف السابع، ثم انتقل إلى عمّان لإكمال تعليمه الثانويّ .

وبعد ذلك تمّ إيفاده في بعثة إلى العراق مع عدد من الطلاب الأردنيين للدراسة في كلّيّة الشريعة، ولكنّه بعد عامين أُجبر على الرحيل إثْر مشاركته في مظاهرات ضدّ رئيس وزراء العراق، فكانت محطّته القادمة هي مصر، والتحق هناك بكليّة اللغة العربيّة بالجامعة الأزهريّة، وحصل على الشهادة الجامعيّة، وأتمّ دراسته في جامعة عين شمس بالقاهرة حتّى حصل على دبلوم التربية . [2]

كان يوسف العظم على موعد مع الدعوة الإسلاميّة عندما ذهب للدراسة في مصر وتعرّف هناك إلى أعلام الدعوة ، وعلى رأسهم المفكّر الإسلاميّ الكبير سيِّد قطب، وعندما عاد إلى الأردن انخرط في العمل الإسلاميّ ... فرأس تحرير جريدة الكفاح الإسلاميّ الناطق بلسان الإخوان المسلمين في الأردن، ثمّ رأس مدارس الأقصى فوجّه الحركة التربويّة الإسلاميّة، ثمّ خاض المعترك السياسيّ نائبا في مجلس الأمّة ووزيرا، ولم تخل مسيرته الدعويّة من معاناة وتشرّد وسجون؛ ولكنّه بقي على وفائه للإسلام ومبادئه. [3]

وقد تحدّث يوسف العظم في قصائده عن فلسطين من شمالها إلى جنوبها، وخصّ بعض مناطقها ومدنها بقصائد. وكان للقدس الشريف وحجارتها وساحات مسجدها حضور واضح .

([1]) ينظر : زكي الشيخ كتّانة ، يوسف العظم شاعر القدس ، 19 . وينظر : يوسف العظم ، مذكّرات ثلاثة أرباع قرن ، 313+314 .

([2]) ينظر : يوسف العظم ، م . ن . ، 34-36 .

([3]) ينظر:يوسف العظم ، مذكّرات ثلاثة أرباع قرن ، 37 . وينظر : يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 7 .

عاش يوسف العظم حياة مديدة، وعاش محطّات كثيرة، وتبوّأ مراكز عدّة، خاض غمار السياسة والتربية والسياحة والعمل الاجتماعي. تسلّح بالقلم فأبدع في النثر والشعر والخطابة، وجادت قريحته تسعة دواوين شعريّة، وصدر له مؤلفات عدّة منها:**(نحو منهاج إسلاميّ أفضل)، (أين محاضن الجيل الجديد)، (ألوان من حضارة الإيمان)، (براعم الإسلام) (عمر رضي الله عنه)، (مجتمع الذوق الرفيع)، (في رحاب الفكر الإسلاميّ)، (مذكّرات ثلاثة أرباع قرن)، (المنهزمون؛ دراسة للفكر المتخلّف والحضارة المنهارة)، (شهد وعلقم)** وصدر هذا الكتاب بعد وفاته، وكتب مقدّمته اسحق الفرحات، كما كانت رغبة يوسف العظم رحمه الله.

أسهمت كلُّ محطّة ممّا سبق في بناء شخصيّة يوسف العظم الفكريّة، وساعدت في صقل مواهبه وإبداعاته، واستطاع العظم تحويل تجاربه المختلفة إلى طاقات متجدّدة، عبّر عنها شعرا ونثرا . وجاء تجربته الشعريّة انعكاسا لتلك المحطّات، وانعكست تلك التجارب والمحطّات على عناوين يوسف العظم، وأثّرت في بنائها وصياغتها، سواءً العناوين الخارجيّة أم الداخليّة. وسنكشف عن تلك العناوين في قادم الصفحات، ونبحث عن تجلّيات العنوان في منجزات يوسف العظم الشعريّة.

ويحين الوقت للفارس أن يترجّل عن صهوة جواده، وأن تنتهي رحلته على الدنيا الفانية ليلقى ربه في (2007/7/29م) . يذهب يوسف العظم جسدا؛ ولكن تظلّ أشعاره وكتبه ومقالاته وخطبه وأعماله حاضرة تحكي للأجيال المتلاحقة قصص الإبداع، وحكايات النضال لرجل أحبّ القدس والمسجد الأقصى ؛ فبقي اسمه مقترنا بهما: (شاعر القدس) و (شاعر الأقصى) .[1]

رحم الله تعالى يوسف العظم وأسكنه فسيح جنّاته، وجعل أعماله وأقواله في ميزان حسناته، وجمعه بمن أحبّهم يوم القيامة ...

([1]) ينظر: أحمد الجدع، يوسف العظم؛ شاعر القدس،26-30 .

المبحث الأوّل : السيميائيّة والعنوان

العنوان هو" الإشارة الأولى التي يرسلها الشاعر أو الكاتب، وهو يشكل الرابطة الأولى وقد تكون الأخيرة؛ لأنّه آخر ما يبنى من العمل الأدبي في معظم الأحيان بين الكاتب والقارئ .ويحتوي العنوان على دلالات مهمّة تحفّز الناقد على استكشاف ما وراءها بتأمّل العناصر اللغويّة التي نسجت منها القصيدة " [1]

إنّ مكونات النّصّ الإبداعيّ الحديث واضحة، تمثّل معادلة لا بدّ منها؛ أوّل هذه العناصر العنوان وآخرها النصّ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة العنوان وتحليله، ذاك العنصر الذي يحتلّ الصدارة في العمل الإبداعي، وننظر إلى النصّ من خلال العنوان؛ وذلك من منطلق أنَّ العنوان حمولة مكثّفة للمضامين الأساسيّة للنّصّ، وهو النّصُّ مُصغَّرا على صفحة الغلاف أو عنوانا داخليّا على رأس العمل الإبداعيّ (قصيدة أو رواية أو قصّة)؛ لذلك " يعدّ العنوان نظاما سيميائيّا ذا أبعاد دلاليّة، وأخرى رمزيّة، تغري الباحث بتتبّع دلالاته، ومحاولة فكِّ شيفرته الرامزة؛ ومن هنا فقد أولى البحث السيميائيّ جُلّ عنايته لدراسة العنوانات في النّصِّ الأدبيّ، وقد ظهرت بحوث ودراسات لسانيّة سيميائيّة كثيرة خصّصت جزءا كبيرا منها لدراسة العنوان وتحليله من عدَّة نواحٍ : تركيبيّة ودلاليّة وتداوليّة، وآية ذلك أنّ العنوان هو أوّل عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائيّ، قصد استنطاقها واستقرائها بصريّا ولسانيّا وأفقيّا وعموديّا " .[2]

ولم يكن اهتمام السيمياء بالعنوان اعتباطيّا ولا من قبيل الصُّدفة، وفي ذلك يقول بسام قطّوس :" لقد رأيت أنّ التسلح بالقراءة السيميائيّة، قصد جسِّ العنوان بوصفه أول مفتاح إجرائي نفتح به مغالق النّصِّ، وننطلق منه إلى النّصّ الأكبر، أمر في غاية الأهميّة، ومطلب علميٌّ يُقصد"[3] ؛ لذلك كله نستكشف أسباب الاهتمام بالسيميولوجيا أو علم السيمياء بالعناوين والعنونة باعتباره منهجا نصيّا مشتغلا على المفاتيح الأساسيّة للنصوص، والعنوان يمثّل واحدا من أهمِّ المفاتيح التي تخضع للتحليل والمساءلة .

(1) شفيع السيّد ، تجارب في نقد الشعر ، 98 .
(2) جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ،97 . بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 33 .
(3) بسام قطّوس ، م . ن . ، 26 .

كانت العناوين ولا تزال مصبّ اهتمام النقّاد والدارسين، وليس الأمر جديدا، فلقد استوقفت علماءنا الأقدمين وخصوصا في الإبداع الشعريّ، ورافقت جميع مراحل تطوّره إلى أن ظهر علم العلامات (السيمولوجيا) حيث ركزّت الدراسات على العناوين ممّا أدّى إلى ظهور مصطلح العتبة، وتعدّدت المفاهيم وارتكز فكر النقّاد وإيحاؤهم على تقصّي حيثيّات العناوين بوصفها مفاتيح إجرائيّة غير قابلة للتجاوز في منظور النّصّ المقروء؛ إنّه العنوان:"المفتاح الإجرائيّ الذي يمدّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فكَّ رموز النّص وتسهيل مأموريّة الدخول في أغواره وتشعّباته الوعرة"[1]

ويعدُّ العنوان مهمّا لتفكيك النصّ ودراسته وتفسيره، والظفر بمغزاه، لوجود عاملي التبعيّة والانسجام بينه وبين النّصّ، وتظهر التبعيّة من العنوان للنصّ ويطلق عليها مصطلح القمعدة، حيث ينطلق التأويل من القمّة إلى القاعدة أو العكس، وعليه فإنَّ العنوان هو أصل والنصّ فرع عليه. [2] على أنّ احتمال النقيض وارد وهو مذهب يميل إليه عبد الله الغذاميّ في كتابه " الخطيئة والتفكير"، إذ يقول :" ليست القصيدة هي التي تتولّد من عنوانها، إنّما العنوان هو الذي يتولّد منها، وما من شاعر حقّ، إلّا ويكون العنوان لديه آخر الحركات" [3]

ويحتلّ العنوان واجهة الكتاب أو النّصّ الإبداعيّ كإعلان إشهاريّ، يثير مجموعة من الأسئلة لا تلقى إجابة إلا مع نهاية العمل الإبداعي، يقوم العنوان بعمليّة التحفيز للقراءة استنادا إل الارتباط المفترض بين العنوان والنصّ، حيث تكون علاقتان بين النصّ والعنوان:

العلاقة الأولى:(عنوان/نص) يثير العنوان فضول القارئ ويحرّضه على قراءة النّصّ.

العلاقة الثانية:علاقة ممتدّة من النّصِّ إلى العنوان، ضمن علاقة تكامليّة ترابطيّة، العنوان يعلن والنصّ يفسّر. [4]

(1) جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، 90 .
(2) ينظر:محمد مفتاح ، ديناميّة النص ، 60-72 .وينظر: عبد النبي ذاكر، عتبات الكتابة: دراسة لميثاق المحكي الرحلي العربي، 60+61 .
(3) عبد الله الغذاميّ ، الخطيئة والتكفير ، 261 .
(4) ينظر:رشيد بن مالك ، السيميائيّات السرديّة ، 80 +81.

" وسيميائيّة العنوان تنبع من كونه يجسّد أعلى اقتصاد لغويّ ممكن ليفرض أعلى فعاليّة ممكنة، ممّا يدفع إلى استثمار منجزات التأويل، كما يشكّل العنوان أوّل اتّصال نوعيّ بين المرسل والمتلقّي، ومن هنا فإنّ على المتلقّي أن يقرأ العنوان على مستويين :

المستوى الأول: النظر إلى العنوان بوصفه بنية مستقلّة لها اشتغالها الدلاليّ الخاص .

المستوى الثاني: مستوى تتخطّى فيه الإنتاجيّة الدلاليّة بهذه البنية حدودها متّجهة إلى العمل، ومشتبكة مع دلائليّته؛ دافعة ومحفّزة إنتاجيّتها الخاصّة بها . " [1]

"إنّ المكون العنوانيّ من الثراء في أغلب الحالات، ما يجعله دليلا على النّص بكامله، أو على جزء منه مستدرجا إليه؛ كاشفا عن طاقاته وحمولاته القوليّة والخطابيّة، منعطفا بالمتلقّي في مسارات ودهاليز عليه اجتيازها، لكن عليه كذلك أن يسائلها، بعدما يكون استسلم لِلَحظةِ لهيبِها وتأثيرها"[2]

لذلك كلّه نستكشف أسباب اهتمام علم السيمياء بالعناوين والعنونة باعتباره منهجا نصّيا مشتغلا على المفاتيح الأساسيّة للنّصوص، والعنوان يمثّل واحدا من أهمِّ المفاتيح التي تخضع للتحليل والمساءلة. "ويظلُّ العنوان مفتاحا تأويليّا يرتبط بالمضمون ولكنّه يبتعد عنه في كثير من الأحيان فيبدو العنوان شكليّا، لا علاقة مباشرة له بالمضمون، وأيّة علاقة يمكن أن يقيمها المؤوّل هي علاقة من صنع القارئ المثقّف ذي الخلفيّة الفكريّة والذهنيّة المتفتّحة"[3]

ومهما كان الأمر، فإنّ الاختلافات في بيان العلاقة بين العنوان والنص لا تلغي أهميّة المكوّن العنوانيّ. ومن هذه المنطلقات فإنّنا نجد حرصا لدى المبدع أن يسم عمله الأدبيّ بعنوان مميّز له هويّته الخاصّة، يشكّل ذلك العنوان بصمة فريدة، ولا ينازع المبدع على ذلك العنوان أحد .

(1) بسام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 36 .
(2) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي ، 63 .
(3) بسام قطّوس ، م . س .، 119 .

يقدّم لنا بسّام قطّوس مجموعة من السمات الرفيعة للعنوان؛ جاءت هذه السمات كخلاصة واستنتاج لما توصّل إليه بعد رحلة معجميّة مع مادتي (عنا وعنن)، وبعد قراءات متعدّدة حول العنوان ودلالاته الناتجة عن المعنى الدلاليّ والمعنى الاصطلاحيّ، ومن أهمّها[1] :

أ- الإشارة إلى مقصديَّة العنوان، ففي العنوان مقصديَّة من نوع ما تقود إلى مرجعيّة ما: ذهنيّة أو فنيّة أو سياسيّة أو مذهبيّة أو أيدلوجيّة .

ب- الدلالة البصريّة أو الأيقونيّة: وهذه السمة تكشف خصائص العنوان في عصر الطباعة الحاسوبيّة .

ج- دلالة العنوان على المعنى واضحة كما يقال في المثل: " الكتاب يقرأ عن عنوانه ".

د- المساواة بين الأثر وعنوانه، فكأنَّ العنوان هو الكتاب أو الأثر .

هـ- العنوان إشارة أو علامة سيميائية .

و- العنوان لافتة دلالية ذات طاقات مكتنزة، ومدخل أوليٌّ لابدّ منه لقراءة النص .

"ويمثّل العنوان والتسمية سمة الكاتب أي علامته التي يعرف بها، وتميّزه عن غيره من الكتب لتدلَّ عليه، والسمة تكون في وجه المرء وهو مكان بارز وظاهر، كما قال الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ ﴾[2] وعلى غلاف الكتاب يمتلك العنوان الظهور الأوضح والمكان الأسمى. وفي العنوان استدلال، فهو يدل على النّصّ؛ والدلالة قد تكون مباشرة أو بالتعريض، لذلك يطلق على الرجل الذي يعرّض ولا يصرح: قد جعل كذا عنوانا لحاجته؛ وفي ذلك إشارة إلى مخاتلة العنوان، وإشغال الفكر في فهم مقصديّته. كما أنَّ العنوان معترض اعتراضا يستدعي التوقُّف، وفي الاعتراض مفاجأة، والعنوان لكي يدهش ويفاجئ عليه أن يتَّصف بتركيب فيه تشويق بشكل ما" [3]

(1) بسام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 31 +32 .
(2) سورة الفتح ، 48 / 29 .
(3) فرج عبد الحسيب مالكي ، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النصّ الموازي) ، 24 .

نلاحظ من هذه المنطلقات النظرية، أنّ العنوان يتقدّم في البداية بوصفه سناداً مستقلّا لا يملك من مضمون دلاليٍّ سوى ما يحدِّده له القاموس، ويبقى مع ذلك، خاضعا لاحتمالات دلاليّة مختلفة يصعب علينا إزاءها ترجيح هذا الاحتمال الدلاليّ أو ذاك، ولتفادي هذه الصعوبة؛ نسلّم في البداية بأنّ العنوان ليس ثابتا. ومن هنا وجب علينا أن نردّه إلى نظام النّص الذي ينتمي إليه . وعلى هذا الأساس، يستمدُّ العنوان قيمته الدلاليّة من العلاقة البنائيّة التي يقيمها مع عناصر هذا النظام . [1]

ويظهر على الساحة الأدبيّة والشعريّة شاعر يعشق المسجد الأقصى، ويلتزم بقضايا الأمّة وخصوصا قضية تحرير فلسطين، إنّه يوسف العظم الشاعر الأردنيّ المسلم، شاعر الأقصى والقدس، يخطّ بيراعه تسعة دواوين تتلوّن عناوينها، وتتعدّد موضوعاتها وأغراضها، ولم يترك مجالاً في حياة أمّته إلا وعبّر عنه شعرا . " تفتحت قريحته الشعرية مبكراً حتى باتت مسيرة يوسف العظم مقترنة بالشعر، يقول الشعر في كلِّ شأن من شؤون الأمّة الإسلاميّة، وفي كلِّ أمر من أمورها " [2]

وتجد نفسك في الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم أمام كمٍّ كبير من القصائد المتنوّعة في أغراضها وأوزانها، وتجد إصراراً لدى الشاعر في وسم قصائده بعنوان يغري فيه المتلقي ويجذبه إلى قراءة النّصّ. وليس الأمر مقصوراً على الشعر فقط فنجد تجليّات العنوان في مقالاته الصحفيّة والتي جمعت في كتابه **(شهد وعلقم)** .

وتتوزع وظائف العنوان في قصائد يوسف العظم وتتدرّج بين التعيين والوصف والتحويل والإغراء وغيرها من الوظائف. وفي الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم تجد نفسك أمام تسعة عناوين خارجيّة ضامّة تمثّل عناوين الدواوين، وثلاثمئة وعنوانين (302) تمثّل العناوين الداخليّة. وتلك العناوين لم تكن محض صدفة؛ وإنّما وضعها الشاعر بقصديّة تامّة، ولأهداف خاصّة، اكتست تلك العناوين بالحلل اللفظيّة، والتراكيب النحويّة والصرفيّة، وتدرّجت المعاني من الساذج البسيط إلى المعقّد والانزياحيّ .

(1) ينظر : رشيد بن مالك ، السيميائيّات السردية ، 82 .
(2) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 12 .

وباعتبار العنوان نصّاً موازيا للعمل الإبداعي الشعري سأتناول تلك العناوين باعتبارها عتبات مهمّة للمنجز الشعريّ بالتحليل والنقد؛ وليقف الباحث على حقيقة العنوان في التراث الأدبيّ؛ وخصوصاً فيما يتعلّق بالمنجز الشعريّ .

ويظلُّ السؤال عن قدرة العنوان على كشف موضوع القصيدة وغرضها حاضراً، وسأحاول الإجابة عن هذا السؤال في قادم الصفحات أثناء معالجة العناوين الخارجيّة والداخليّة للأعمال الشعريّة الكاملة ليوسف العظم .

المبحث الثاني : العناوين الخارجية من حيث الموضوع

الديوان الأوّل : في رحاب الأقصى

يمثّل ديوان(**في رحاب الأقصى)** باكورة أعمال يوسف العظم الشعريّة، ويحمل العنوان دلالات كثيرة، ويحرّك لدى المتلقّي عواطف جمّة، ويجعل القارئ يحلِّق في فضاء واسع للكشف عن الموضوع المطروق، ويظلّ القارئ متشوقاً لمعرفة ما يحمله العنوان، وتكثر الأسئلة عمّا يدور في ذلك الرحاب الطاهر، ولكن يأبى الشاعر أن يترك القارئ في حالة الصدمة فيكشف في خطة الديوان عن سبب التسمية وموضوع الديوان والهدف من ورائه. يقول يوسف العظم: " إنَّ رحاب الأقصى منطلق شعرنا يوم كنّا نلقى الأحبَّة بين يدي منبر صلاح الدين. واليوم وقد تحوّل المنبر رمادا. وفي غد بإذن الله في عود ظافر ونصر مؤزَّر. يوم يولد من يحمل الراية ويمضي قدما في تواضع المؤمن وصدق المجاهد لا يعرف النكوص, ولا التولِّي يوم الزحف, وهو يرجو الله إحدى الحسنيين" [1]

قطع الشاعر في مقدمة ديوانه أحبال الأفكار وليته لم يفعل, لأنَّه بفعله هذا مارس طقوس الخطابة التقليديّة التي تتنافى مع الغرض من وجود الغموض والانزياح والمشاكسة في العنوان, ويترك دلالة واحدة للعنوان, الدلالة الدينيّة البحتة؛ وكأنّنا نجد إعلانا من الشاعر عن قصائد دينيّة بمعايير خاصَّة، يدافع عنها الشاعر ويتشبَّث بها, ولكن هذا البوح بأسرار العنوان أفقده كثيرا من شاعريّته التي يحملها.والعنوان جميل بإيجازه المعتمد على الحذف، وجميل بإيحائه إلى المكان ومكوّناته من بشر وحجر وشجر، وجميل بإشاراته إلى تلك البقعة المطهّرة .

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 12 .

يستوقف هذا العنوان المتلقّي من حيث التركيب البلاغيّ؛ فالجملة الاسمية المكوِّنة للعنوان حُذف منها المبتدأ (المسند إليه) ودلالة حذف المبتدأ في هذا المقام تقود إلى التشويق إليه، وإبهامه يترك مساحة للقارئ لتقديره ممّا يكسبه سعة وخيالا وجمالا.وأُقدِّر المسند إليه المحذوف حيث يصبح العنوان: (في رحاب الأقصى اجتماع الأحبّة)، أو(في رحاب الأقصى صلاة وعبادة) أو(في رحاب الأقصى صادح بالقرآن) .....ولتقديم الجار والمجرور دلالات أهمها إفادة الحصر والقصر، أي في رحاب الأقصى، في هذا المكان الشريف لا في غيره من الأماكن، فهو المكان الذي يستحقّ أن يُتَعبَّد فيه، أو يقال فيه، وغيره من الأماكن غير مهمّة بالنسبة للشاعر.

(**في رحاب الأقصى)** ديوان شعريّ يتلمس طريقا من وحي الذكر الحكيم, وخصوصا في سورة الإسراء, وكأنَّه تفسير لقوله تعالى: ﴿ سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ إلى المسْجِدِ الأَقْصى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ منْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَالسميعُ البَصيرُ ﴾ [1]

تشكِّل القدس ومسجدها الأقصى وكلُّ إشارة من قريب أو بعيدٍ لتلك الأفياء المقدّسة المباركة سيميائية خاصّة، وعلامة تدلُّ على مكانته الرفيعة، وتشير إلى الخطر المحدق بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

الديوان الثاني : عرائس الضياء

يحمل الديوان الثاني للشاعر ضمن مجموعته الكاملة عنوان "**عرائس الضياء**"؛ عنوانا جميلا وغامضا تتعدّد معه القراءة، ولا تصل من خلاله إلى موضوع محدّد، ولكنّه يحمل معنى الفرح والنشوة، ويشجِّع القارئ على قراءة الديوان لاستيضاح ما حمله العنوان من سمات وإشارات . ولكن للمرة الثانية يحرم الشاعر القارئ فرصة البحث وعناء التخيُّل، فالديوان يحمل رسالة ثقافيّة شعريّة, حيث يعبّر الشاعر عن أهميّة الشعر ومكانته في عصر الذرة والفضاء, ونجد ذلك في قوله: " فهذا ديواني(**عرائس الضياء)** أرفع به لأصحاب الذوق من قُرَّاء الشعر؛ لعلّهم يجدون فيه واحة وارفة الظلّ في عصر التلوّث والضجيج." [2]

---

(1) سورة الإسراء ، 17 / 1 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 113 .

يقوم العنوان على تركيب إضافيّ، حيث أضافَ النكرة عرائس إلى المعرفة الضياء؛ ليدلَّ القارئ أنَّ العرائس من نوع خاصّ، نوع يحمل النور والإشراق، ويحذف الشاعر المبتدأ الذي قدره هو – وليته لم يفعل– ديواني عرائس الضياء[1]، فحَذْفُ المبتدأ يحمل تشويقا أكثر من الإثبات والذكر، وهذا ما فعله الشاعر ولكنّه آثَرَ الشرح والتفصيل فوقع في خطأ الإيضاح لما حقُّه أنْ يبقى خفيًّا وغامضا. ومع كلّ ذلك يبقى العنوان جميلا ويحمل شاعريّة خاصّة. وموضوع الديوان شيّق بما يحمله من قيم ثقافيّة وتاريخيّة ودينيّة .

استخدم الشاعر الجمع؛ ليظهر للجميع أنَّ بقع الضياء كثيرة، يزيّنها عرائس جميلات؛ وفي الأمر إشارات إلى التفاؤل والأمل، وإشاعة للفرح والبهجة، ويدلّ استخدام الجمع على التعظيم والفخر. آثر الشاعر اختيار لفظة الضياء ولم يستخدم لفظة النّور؛ لغاية العناية والاهتمام بإظهار الضياء وشيوع النّور الساطع، وما كان هذا الاختيار للفظة(الضياء) إلا للفت انتباه المخاطب والتأثير عليه.[2] وهنا ينعكس جمال العنوان من الاختيار والحذف والإيجاز.

الديوان الثالث : قناديل في عتمة الضحى

يُعَنْوِنُ يوسف العظم ديوانه الثالث بـ**(قناديل في عتمة الضحى)**، ومن يقرأ هذا العنوان يشعر بالصدمة والتيه، فالعنوان مجرّدٌ عن قصائده يحمل في طيّاته تشويقاً وتتعدّد معه التأويلات، ويغري هذا العنوان بحقِّ القارئ لمعرفة دلالاته وما يخفيه تحت عدد الكلمات القليلة، وتكثر الأسئلة حول ماهيّة العنوان، وتبقى الاحتمالات لتأويل العنوان كثيرة ومتعدّدة. ويزيد الأمر غموضاً حذف المبتدأ (المسند إليه) في جملة العنوان. يقوم العنوان على تلاعب لفظي واستعارة تنافريّة وصفيّة جميلة وبديعة، لقد جمع الشاعر بين متناقضين(العتمة والضحى) وثمّة تنافر كبير بين اللفظين، إنّ العنوان هنا يبرز دور التنافر الاستعاري في الكشف عن رؤية الشاعر، التي تسعى إلى خلخلة العلاقات المألوفة بين الأشياء، وإدخالها ضمن تركيب جديد غير مألوف، ينعكس عنه الغموض والالتباس.[3] فالعنوان هنا يعكس جمالا ومن نوع خاصّ لما فيه من تنافر.

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 113 .
([2]) ينظر: موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقّي، 180-182 .
([3]) ينظر: موسى ربابعة، م . ن .، 13-22

ونأتي إلى ترجيح الموضوع الذي أراده الشاعر من خلال ما تكشفه الألفاظ معجميّاً، وما هو النور الذي يضيء الكون ؟ ويقضي على العتمة ولو كانت في وضح النهار؛ إنّه نور واحدٌ وخالدٌ إنّه النور الوارد في الآية الكريمة :﴿ اللهُ نورُ السَّمواتِ والأَرْضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ ﴾[1] هذا النور الإلهيّ وحده القادر على مسح العتمة ونشر النور .

يرسم الشاعر في عنوانه لوحة تتضح معالمها من المكوّن اللفظيّ والتركيبيّ، يعكس العنوان صدى صوت حزين، وهدوء يلفُّ المكان، ومن وسط الألوان الكالحة المعتمة؛ تتلألأ القناديل لتزيل الظلام، ولتحضر نغما جديدا، نغما مفرحا ومبهجا .

ويأبى الشاعر لمرّة أخرى أن يتركنا في الحيرة حتى يعلن في مقدمة ديوانه : " وقد جاءت قصائدي هذه **(قناديل في عتمة الضحى)** لتسهم مع صُنّاعِ الكلمة المضيئة الهادفة، وحملة مشاعل الفكر النيّر في صنع فجر صادق في عصر أطبقت فيه الظلمات على إشراقة الضحى تخنقها، لعلّي أكون بذلك قد أوقدت شمعة أستمدّ ضياءها من قوله تعالى في سورة النور (الآية السابقة) "[2] فالموضوع الذي يطرقه الشاعر هو دينيّ وثقافيّ بامتياز. استخدم الشاعر صيغة الجمع في العناوين الثلاثة السابقة(رحاب، عرائس، قناديل)؛ لتدلّ على معنى الاستغراق والإحاطة.

الديوان الرابع : الفتية الأبابيل

حمل الديوان الرابع عنوانا ناضجاً وصارخاً ، محدّدا للزمان والمكان والأشخاص؛ عنوان الديوان**(الفتية الأبابيل)** من يقرأ العنوان يتفيّأ ظلال القرآن الكريم، ويحيله العنوان إلى سورة الفيل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابيل (3) تَرْميهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجّيلٍ ﴾[3] ولكن يوجد اختلاف في الزمان والمكان والحدث، وما أجمل هذا التشبيه لفتية فلسطين وهم يرمون بحجارتهم على قوات الاحتلال يسومونهم أصناف الذلّ والعذاب. ومن عايش الانتفاضة المباركة أواخر الثمانينات يعرف قصد الشاعر من عنوانه، فموضوع الديوان دينيٌّ وطنيٌّ؛

(1) سورة النور ، 24 / 35 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 155 .
(3) سورة الفيل ، 105 / 1- 4 .

لأنّ الانتفاضة مثّلت ثورة المساجد والشوارع فأطلق الشاعر على أطفال الحجارة اسم **(الفتية الأبابيل)** وأنشد بحقِّهم : [1]

حِـجـارةُ الـقـدسِ نيـرانٌ وسِـــجـيِّـلُ وفتيةُ القدسِ أطيارٌ أبابيلُ **[البسيط]**

تكلّمَ الحَجَـرُ القـدسـيُّ فانـتفضـت سواعد الصِّيد واندكّت أباطيلُ

والقدسُ أرضُ العُلى والمجدِ مذْ عُرِفتْ يبـاركُ القـدسَ قُـرآنٌ وإنْجيـلُ

الديوان الخامس : لو أسلمت المعلّقات

وأنتقل إلى ديوان الشاعر الخامس، والذي يحمل عنوان**(لو أسلمت المعلقات)**، عنوانٌ يحمل التمنّي لما هو مستحيل، وما ذلك إلا لإعجاب الشاعر بتلك القصائد التي تعلّقت بها النفوس، وكانت وما تزال إرثاً نفيساً وغالياً لكلِّ عربيّ .واستخدم الشاعر(لو) بدل ليت؛ لإظهار الشيء المستحيل في صورة الممكن، والأمر المستحيل لا يمكن وجوده ولا يمكن تصوّره، فكشفت (لو) عن غاية الاستحالة في إسلامها، مع أنّ العنوان حمل دعوة صريحة لأسلمة المعلقات.

يظهر العنوان واضحاً في موضوعه الثقافي المصبوغ بصبغة دينيّة، ويمثّل هذا الديوان مغامرة جريئة من الشاعر خاض فيه غمار المعارضات الشعريَّة؛ يظهر من خلاله قدرات الشاعر المُعجب بالمعلقات، ولكنّه يتمنّى لها الكمال من خلال كمال الشريعة الإسلاميّة؛ واستبدل الشاعر بالأطلال الدارسة ساحات فلسطينيّة،ساحات المسجد الأقصى التي تنتظر جموع الفاتحين.

إنّ الناظر في ديوان**(لو أسلمت المعلّقات: نظرات في المعلّقات الجاهليّة ومعارضتها بسبعٍ إسلاميّات)** يتبيّن أنّ الشاعر قد عارض سبع معلّقات من معلّقات الشعراء الجاهليّين؛ كما جاء في مقدّمة الديوان بقلم يوسف العظم الذي أراد " أن يتخيّل ماذا يقول هؤلاء الشعراء لو كانوا مسلمين، مع ما هم عليه من شاعريّة فذّة وموهبةٍ وإبداع " [2] ويضيف : " ومن هنا خطر لي أن أُعارض قصائدهم، ولكن بروح إسلاميّة، ولغاية إيمانيّة، وكان هذا الديوان الذي جازفت فيه مجازفة كبيرة

(1) يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة ، 205 .
(2) يوسف العظم ، م . ن . ، 239 .

حين أُعارض فحول الشعراء الذين لا يجرؤ شاعر أن يعارضهم، ولكنّي فعلت راجيا أن يقول النّقاد رأيهم في الديوان " [1]

الديوان السادس : قبل الرحيل

حمل الديوان السادس عنوان(**قبل الرحيل)**، حين يدرك الشاعر أنّ ضيافته على الدنيا أوشكت على الانتهاء، ويأبى الشاعر إلا أن يترك مجموعة من الرسائل الوجدانيّة، رسائل الوداع، رسائل الحكمة، رسائل الإرشاد؛ لذلك نجد شاعرنا في هذا الديوان يزرع بذور الأمل ويقدّم لجمهوره خلاصة تجاربه، ويعلن التوق إلى رحمة ربِّه وجواره .

يقول يوسف العظم :" وعنوان الديوان كما هو واضح**(قبل الرحيل)** اختاره شاعر يودِّع الدنيا، وقد شارف على السبعين، فإن رحلت قبل صدور الديوان؛ فقد أوصيت أن يبدل كلمة واحدة من اسم الديوان ليصبح :**(بعد الرحيل)** [2]

يحضر سؤال مهمّ حول تقدير المسند إليه المحذوف، (قبل الرحيل ماذا؟)، يفيد الحذف هنا الاتساع ، فمع تعدّد الإجابات تتعدّد الدلالات.

الديوان السابع : على خطا حسّان

يحمل الديوان السابع ضمن الأعمال الشعريّة الكاملة للشاعر يوسف العظم عنوان**(على خطا حسان)**، العنوان واضح وصريح يمثّل منهج الشاعر الذي ارتضاه لنفسه، حيث يختار فحلاً من فحول الشعراء ومخضرميهم، إنّه شاعر الدعوة وشاعر الرسول– حسّان بن ثابت الأنصاريّ – وعلى خطا حسّان في الشعر يخطو يوسف العظم، ويضع قدماً ثابتة على نفس الخط ، ويقول يوسف العظم عن سبب إعجابه بحسّان بن ثابت: " منذ قرأت الشعر واطّلعت عليه، ودخلت ميدانه وأنا شديد الإعجاب بشاعر الرسول(صلّى الله عليه وسلّم) حسّان بن ثابت؛ متانة صياغة، وسلاسة أسلوب، وحرارة قناعة وأداء؛ حتّى يُخيَّل للقارئ أنّه يعيش الحدث ويحيا القضية بكلّ دقائقها" [3]

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 239 .
(2) يوسف العظم ، م . ن . ، 289 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 333 .

يكشف الشاعر من خلال العنوان مدى الإعجاب الذي يحمله للشاعر من حيث الشاعرية والثقافة من جهة، ومن حيث الدين الإسلامي الذي حمل لواء الدفاع عن بُنية الإسلام وقضاياه، فقال يوسف العظم في أول مقطوعة من الديوان [1] :

رايةُ الشـــــعْرِ للإسْـلامِ أَرْفَعُهَا كالشمـسِ يُشْرِقُ مَجْلُوّاً بأوزانِ [البسيط]

يعيشُ حَسَّانُ في قلْبي وفي قَلَمي فَهَلْ بَلَغْتُ بِشِعْري روحَ حَسَّانِ

فموضوع الديوان دينيٌّ وثقافيٌّ ، والعنوان فيه حذفٌ، وتقدير الكلام:(شعري على خطا حسّان) أو (أخطو وأتابعُ على خطا حسّان)، أي أنّ الشاعر نذر شعره للدعوة الإسلاميّة، والعنوان لا يحمل عناداً بحيث لا يظهر معنى العنوان وغرض الديوان بشكله الكليّ.

الديوان الثامن : أناشيد وأغاريد للجيل المسلم

يعيّن الشاعر للديوان الثامن عنواناً يحمل البهجة والفرح، ويحمل موسيقى رقيقة تناسبُ الجهة المخاطبة، فمن أراد أن يقرّب المفاهيم وأراد أن يزرع العلم في نفوس النشء الصغير، لا بدّ من الأناشيد والأغاريد والألحان الرقيقة والكلمة البسيطة التي تنفذ إلى عقول الأطفال بسهولة وبهجة؛ فجاء الديوان يحمل عنوان(**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم**)عنوانا واضحا ولا غموض فيه، موضوعه تعليم الأطفال التعاليم والأخلاق من خلال الكلمة الهادفة المصحوبة باللحن والشاعريّة.فهي قصائد خاصّة بمن يدخل في دائرة الإسلام.

الديوان التاسع : قطوف دانية

يحمل خاتمة الدواوين الشعرية ليوسف العظم عنوان(**قطوف دانية**) عنوانا لمن لا يعرف شعر الشاعر فإنّه يحلّق بعيداً، ويهبط في جنّة الخلد التي أعدَّها الله لعباده في قوله تعالى : ﴿**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ** ﴾ [2] ولكنّ هذه الاستعارة الجميلة قصد بها الشاعر قصائده فكأنّ المبتدأ المحذوف يُقدَّر ب :قصائدي قطوف دانية)، إنّ مركز الجذب والجمال ينعكس عن الحذف والإيجاز، ويمثّل

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة، 335 .
(2) سورة الحاقّة ، 69 / 69 .

الحذف "تكنيكا أو حيلة من الحيل التي يعمد إليها الشاعر ليبرز حالة نفسيّة خاصّة به، أمّا القارئ فإنّ دوره كامن في البحث عن تخريجات أو تأويلات لتلك المحذوفات"[1]

وفي الديوان عنوان فرعيّ يقرّب المقصود من العنوان الأساس ويظهر مدى شاعريته، والعنوان الفرعي هو:**(من كلّ روض زهرة)** .والديوان يحوي مجموعة من القصائد التي يعتزُّ بها الشاعر ويقدمها للقارئ كآخر مجموعة شعريّة يضمّها الديوان وتحمل العنوان**(قطوف دانية)** .

خلاصة: بعد هذه القراءة في عناوين الشاعر يوسف العظم التسعة الخارجيّة وجدت سمة غالبة، ومنهجاً واضحاً وفكراً صريحاً ونَفَساً دينيّاً طافحا؛ وجدت حضورا للمعجم الدينيّ وتأثّرا بالقرآن العظيم واقتباسا منه في العناوين**(في رحاب الأقصى)** و**(الفتية الأبابيل)** و**(قناديل في عتمة الضحى)** و**(قطوف دانية)**. وأظهرت بقيّة العناوين من قريب أو بعيد مدى التعلّق بالجانب الدينيّ. وأظهر الشاعر قدرات لغويّة وتركيبيّة جميلة، وكشف من خلال العناوين شاعريّة خاصّة واهتماما عالياً بالعنوان، ويا حبّذا لو أنّ الشاعر لم يعرض لتفسير عناوينه، أو يلمّح للمقصود منها . ومن فم الشاعر أدينه حيث قال:"الأصل في الديوان أنْ يقدّم نفسه من خلال قصائده لا أن تقدّمه كلمة نثريّة يكتبها الشاعر؛ لأنّ الشعر أولى أن يعبرّ عن فكر صاحبه وأحاسيسه ومشاعره"[2]

ووجدت في عناوين الشاعر لافتات دلاليَّة ذات طاقات مكتنزة، ومدخلاً أوليّا لا بدَّ منه لقراءة النصوص، ومثَّلت العناوين لدى الشاعر إشارات أو علامات سيميائيّة، وبرزت العناوين بدلالاتها البصريّة أو الأيقونيّة، وحملت العناوين دلالات واضحة للمعاني التي تعبّر عنها، ووجدنا مساواةً بين الأثر وعنوانه، وأشارت العناوين إلى مقاصد مختلفة منها ما هو فنّيّ أو سياسيّ أو دينيّ ...وغيرها.ويبقى الشاعر صاحب الاختيار للمكوّن العنوانيّ. وتتجلّى فاعليّة الاختيار في عملية الاتصال الأدبي في مدى الإسهام في إثارة انتباه المتلقّي وفضوله.

ومن يدقّق النظر في العناوين ويحاول تشكيلها من جديد فإنّه يخرج بلوحة شعريّة إيمانيّة تستمدّ وجودها من المعجم الدينيّ. واللوحة هي:

([1]) موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقّي، 114 .

(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 289 .

(قطوفٌ دانية في رحاب الأقصى، حين تنبجس عرائس الضياء؛ لتضيء قناديل في عتمة الضحى، وتُحيِّي الفتية الأبابيل، وقبل الرحيل وعلى خطا حسّان تغلنها أناشيد وأغاريد للجيل المسلم، وما أروع النشيد : لو أسلمت المعلّقات !!)

المبحث الثالث: العناوين الداخليّة من حيث الموضوع

قلّبت صفحات الأعمال الشعريّة الكاملة ليوسف العظم مرّات عدّة، فوجدت الموضوعات التي تعالجها كثيرة ومتفاوتة من حيث العدد، وفي أحيان كثيرة تتداخل العناوين في موضوعاتها حتى يصعب التفريق بينها إلا من خلال خيط دقيق. يفرض ذلك التداخل تنشئة الشاعر وثقافته العامّة وهويته الخاصة. وقد لا نستطيع تحديد الموضوع بدقة إلا من خلال المتن الشعري الذي يمثّل الصورة الحقيقية لما يريده الشاعر ويتعدى الصورة الأولية المنعكسة عن المرآة .

ونعود لما ذكره رشيد يحياوي سابقاً في:" أنَّ العلاقة بين العنوان والنصِّ ليست دائما سهلة الرصد والتبيُّن والحصر، ...، بل كثيرا ما تكون علاقة العنوان بالنّصِّ ملتبسة...ومهما كان الأمر، فإنَّ هذا لا يلغي أهميّة المكوِّن العنوانيّ " [1]

لجأتُ إلى حصر العناوين الداخلية للأعمال الشعرية الكاملة في ثلاثة عشر موضوعا رئيسيا تمثّل جوهر تلك الموضوعات وتشملها . والموضوعات المطروقة هي : الدينيّة والسياسيّة والوطنيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة الوجدانيّة والفخر والمديح والثقافيّة والوصف والفلسفة والتربويّة والغزليّة والرثاء والتاريخيّة . وهي موضّحة بالشكل البياني الآتي :

الموضوع	عدد العناوين	النسبة المئوية
الدينيّ	94	%31,1
السياسيّ	57	%19
الاجتماعي	34	%11.3
الإنسانيّ	32	%10,5
الوطنيّ	24	%8
الفخر والمديح	22	%7,3

(1) رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث ؛ دراسة في المنجز النّصي ، 110 .

الثقافي	12	%4
الفلسفة	8	%2.4
الوصف	5	%1,7
التربويّ	5	%1,7
الرثاء	4	%1,3
الغزل	3	%1
التاريخيّ	2	%0,7
المجموع	302	%100

يمزج الشاعر يوسف العظم في عناوينه بين هذه الموضوعات المختلفة مع تباين واضح بينها من حيث نسبة حضورها .

العناوين ذات السمة الدينية :

وقف يوسف العظم عند النص القرآني :﴿ والشُّعراءُ يتَّبِعُهُمْ الغاوونَ . أَلَمْ ترَ أَنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمونَ . وأَنّهم يَقولونَ ما لا يَفْعَلونَ . إلا الذينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ وَذَكَروا اللهَ كَثيراً وانْتَصروا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِموا وَسَيَعْلَمُ الّذين كَفروا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ ﴾[1] فمثّل له هذا النص الربّاني المنهج الذي سيسير عليه، منهج ربّ العالمين، فسار في دربه متوكّلا على ربِّه، مسترشدا بتعاليم دينه، وعلى خطا الصفوة من الشعراء الإسلاميين أمثال حسّان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة مشى في هذا الدرب مطمئنًّا غير آبهٍ بما يفعله الآخرون، وهو صاحب شعار " الشعر الإسلامي مدرسة مستقلّة " .

نجد من خلال الأعمدة البيانيّة حضوراً مميَّزاً للعناوين ذات الطابع الدينيّ، وبلغ عددها أربعة وتسعين عنوانا وبما نسبته (31%) . وهذه الغلبة للموضوع الدينيّ لم يكن اعتباطيّاً، وإنّما كانت له أسبابه الخاصّة، ومن أهمّ هذه الأسباب :

1- التربية الدينيّة التي نشأ عليها الشاعر وتأثّر بها وغدت له منهج حياة .

(1) ســـــورة الشـــعراء ، 26 / 242 – 247 .

2- الظروف السياسية المحيطة بالشاعر وفشل الدعوات القومية والإقليمية التي لم تنتج إلا حالة من التشرذّم، فلجأ إلى الإسلام ليجد فيه الملاذ الآمن .

3- انتماؤه إلى جماعة الإخوان المسلمين منذ مرحلة الشباب حتى غدا عضواً مهمّاً فيها وتدرّج فيها حتّى وصل إلى مكانة مرموقة بين صفوف الجماعة .

4- النظر إلى القضيّة الفلسطينية بمنظور إسلاميّ وأنّ تحرير المسجد الأقصى وما يحمله من رمزيّة خاصّة لا يتأتّى إلا بالمنهاج الإسلاميّ فقط؛ لذلك كان يوسف العظم مع كل رزيّة للمسجد الأقصى أو للشعب الفلسطيني يتحرّك لها جنانه وقلبه ومداده .

ولهذه الأسباب وغيرها نجد اعتزازا لدى الشاعر بدينه وأمتّه ويكشف عن ذلك في كثير من قصائده ، واستمع إليه حين ينشد [1] :

[البسيط]

آمنْتُ باللهِ في حِسّـي وَوجْدانِي وفـي فُـؤادي فَـرْداً ما لَهُ ثانِ

وأنَّـهُ الواحِدُ القهَّـارُ قَدْ خَضَعَتْ لَهُ الخلائِقُ مِنْ إنْـسٍ وَمِنْ جانِ

إنْ كانَ ذَنْبي عظيما أنْت تَعْـرفُـهُ يا غافَرَ الذنْبِ فَجِّر نَبْعَ إيماني

وَجُدْ بوصْلٍ لعلّي في الرِّحابِ أرى نـورَ الـهـدايةِ فـي آياتِ قُـرْآنـي

وينظر شاعرنا إلى الأقصى نظرةً دينيَّة خالصة وتحت عنوان: **(هوية الأقصى لمن أضاع هويته)** يعرّف الشاعر في قصيدته بهوية الأقصى [2]:

[مجزوء الرمل]

إنَّمـا الأقصى عقيـدة ووســـام وقصيـدةْ

وهـو صـرحٌ أبَتِ العليـاء إلا أن تُـشـــيدَهْ

بــارِكَ اللــهُ حَواليْـهِ بـآيـاتٍ مجـيـدَةْ

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 325 .

(2) يوسف العظم ، م . ن .، 158+ 159 .

وهو أرضُ النورِ فيه المصْطَفى أَرْسى سُجودَهْ

حَقلُهُ ضاقَ بِجيْـش الكفرِ يَجْتاحُ حَصيدَهْ

إنّما الأقصـى عقيدةْ ليتَني كنت شَــهيدَهْ

وينشد لفلسطين أجمل لحن ويرى"أنَّ فلسطين ليست للفلسطينيين ولا للعرب دون سواهم. ولكنّها للمسلمين كافّة..قبلتهم الأولى ومسرى نبيّهم الكريم"[1]ويهدي للفلسطينيين هذا النشيد [2]:

فلسطيني فلسطيني فلسطيني فلسطيني **[الهزج]**

ولكِنْ فـي طـريــقِ اللهِ والإيـمــانِ والديـنِ

كَفَـرْتُ بِدعْـوَةِ الإلحادِ مِنْ صُنْعِ الشياطينِ

وأوْثانٍ صَنعْناهـا مِـنَ الأوْحــالِ والطِّينِ

وآمـنّــا بِـربِّ البيـتِ والزَّيـتـونِ والتِّيـنِ

ليشْــمخَ شَــعْبُنا حُرّاً عزيـزاً في فلســطينِ

ويَـرْفـعَ رايــةَ التَّحريــرِ فـي كُـلِّ الميادينِ

ويُعلِّم الأطفال في لغة سلسة وشجيّة عقيدتهم وتعاليم دينهم، ويصدر ديوانه(**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** ونقطف من هذا الديوان قوله [3] :

أنا يا قَوْمُ مُسْلمُ **[مجزوء الرمل]**

أنـا أحْبَبْتُ خالِقـي ونبيِّي وَمُصْحَفي

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 112 .
(2) يوسف العظم ، م . ن . ، 112 +113 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 396 .

حينَ آمَنْتُ بالهُدى وَبِدينٍ مُشَــرَّفِ

أنا يا قَوْمُ مُسْلِمُ

وجدت في الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم أربعة وتسعين عنوانا داخليّا تشير إلى الموضوع الدينيّ،وفي الملحق تظهر تلك العناوين، سأستعرض عيّنة من هذه العناوين المنتشرة في دواوين الشاعر التسعة كما في الجدول الآتي :

الرقم	العنوان	الديوان	الصفحة
1	يا قدس	في رحاب الأقصى	15
2	غاية الأبطال إحدى الحسنين	في رحاب الأقصى	24
3	الله أكبر	في رحاب الأقصى	39
4	رجعة يا رب	في رحاب الأقصى	64
5	لولاه	في رحاب الأقصى	66
6	رسالة من شهيد	عرائس الضياء	120
7	دموع التوبة	عرائس الضياء	138
8	مناجاة تائه	قناديل في عتمة الضحى	157
9	لبيك	قناديل في رحاب الضحى	164
10	الفتية الأبابيل	الفتية الأبابيل	205
11	يا سرايا الجهاد	الفتية الأبابيل	216
12	ثورة المساجد	الفتية الأبابيل	220
13	لو أسلمت المعلقات	لو أسلمت المعلقات	237
14	رحماك ربي	قبل الرحيل	291
15	كيف نحيا يا قوم من غير قدس	قبل الرحيل	299
16	منهج ربّانيّ متكامل	قبل الرحيل	326
17	ضراعة داعية	قبل الرحيل	325
18	لله تذرف العينان	على خطا حسان	338
19	جرحي عميق	على خطا حسان	345
20	الله ربي	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	385
21	أنا يا قوم مسلم	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	396

22	الأخوة في الله	قطوف دانية	401
23	سيوف الإيمان	قطوف دانية	416
24	الله حقّ .. تعالى الله خالقنا	قطوف دانية	429

تحيل العناوين(**يا قدس**) (**كيف نحيا يا قوم من غير قدس ؟**) (**الإسراء والمعراج**) إلى بؤرة الجهاد العربيّ في الزمن المعاصر، وكلّ القصائد التي تتغنّى بالقدس إنّما تسعى إلى شحذ الهمم، وحثّ النفوس على الجهاد من أجل تحريرها، وهو الأمر الذي جاءت به كثير من قصائد يوسف العظم في أعماله الشعريّة الكاملة، وتكشف هذه العناوين السمات الدينيّة؛ وكأنّها تحيل إلى قصائد تُمثّل الشعر الحربيّ الإسلاميّ .

وتحيلك العناوين(**الله أكبر**) و(**غاية الأبطال إحدى الحسنيين**) و(**سرايا الجهاد**) و(**ثورة المساجد**) و(**سيوف الإيمان**) وغيرها من العناوين إلى أمّهات المعارك في العصر الإسلاميّ، حين يشتدّ أوار المعارك ويحمى وطيسها وترتفع الحناجر بالتكبير، وسيوف الإيمان تشتعل بالنور والنار وتنصبُّ على رقاب أعدائها، ونتيجة المعركة إحدى الحسنيين إمّا الشهادة وإمّا النصر. ونستطيع إجمال هذه العناوين في عنوان جديد (**قصائد مجاهدة**) .

وتحيلك العناوين(**رجعة يا رب**) و(**لولاه**) و(**دموع التوبة**) و(**مناجاة تائه**) و(**رحماك ربي**) و(**ضراعة داعية**) و(**لله تذرف العينان**) تحيلك هذه العناوين التي تقوم على الحذف والتمنّي والإيجاز والتقديم والتأخير إلى الحاجة إلى الله، فتمتزج دموع الدعاة والمؤمنين في سبيل تحصيل رضا الله والفقر إليه في كلّ الأوقات، فينتقي الشاعر هذه العناوين ويمزجها بالدمع لتتجلّى المشاعر الصادقة من غير مواربة. وتكوّن هذه العناوين سلسلة من الألفاظ المعجميّة الدينيّة؛ كلّ من يقرؤها يعرف دلالاتها وسماتها، ويُقرأُ الكتاب(المتن الشعريّ) من عنوانه .

ويحيلك عنوان(**رسالة من شهيد**) إلى قول الله تعالى: ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقونَ (169) فَرِحينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ و يسْتَبْشِرونَ بالذينَ لَمْ يَلْحقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِم أَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ (170) ﴾ [1] فالشهادة ركن من أركان الإسلام وهي حالة خاصَّة للمؤمنين

(1) سورة آل عمران ، 3 / 169 + 170 .

المجاهدين في سبيله. وعرس الشهادة أغرى الشاعر في مواطن كثيرة وجعله يصبُّ مداده ويجبله بالدماء الطاهرة ليفوح منها رائحة المسك والكرامة والإباء .

ويحيلك عنوان(**الإسراء والمعراج**)إلى تلك المناسبة الدينيّة الخالدة، إلى معجزة من معجزات النبيِّ الأعظم، ويذكِّر العنوان بذلك الرباط المتين بين مكّة والقدس والسماء، وصاحب الإسراء والمعراج هو محمَّد (صلّى الله عليه وسلّم)، والأرض التي عرج منها محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) هي أرض مقدّسة ومباركة إلى يوم الدين. وفي الإسراء والمعراج ظلال ممتدّة، يعجز البيان أن يعطيها حقَّها في الذكر والوصف والشرح والتفصيل، فيأتي عنوان الشاعر المختزل؛ لينير في عقل القارئ تلك الظلال ويدفعه إلى قراءة تلك الكلمات المتواضعة التي تصف حدثا دينيّا يرتبط بالمسجد الأقصى، ويوثِّق الحدث بأروع البيان في كتاب الله المنّان في قوله تعالى :﴿ سُبْحانَ الْذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصى الْذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ ﴾ [1]

تُحرّك هذه العناوين وباقي العناوين ذات السمة الدينيّة المشاعر الدينيّة، وتعيد القدس إلى واجهة الأحداث، وتحيل القارئ إلى القرآن الكريم، وتظهر العلاقة بين العبد المؤمن وربِّه . تقرؤها فتجد نفسك أمام علامة إعلاميّة مسجّلة ضمن معجم المصطلحات الدينيّة المنتشر والمعروف لدى القارئ والمتلقّي. ولقد قامت تلك العناوين على تراكيب متنوعة، اختارها الشاعر ليجذب المتلقّي، وليجعلها مداخل إلي النصوص الشعريّة.

العناوين ذات السمة السياسية :

تأتي العناوين ذات السمة السياسية في المرتبة الثانية بعد العناوين الدينية وعددها سبعة وخمسون عنوانا بنسبة (19%) من مجموع العناوين الكليّة، وأُرجع هذا الحضور للعناوين السياسية لأسباب أهمُّها:

1- الأوضاع السياسية العامّة وما تمخّض عنها بعد الحرب العالميّة الثانية وواقع التجزئة والأمارات والمماليك المنفصلة، فقد باتت الأردن على مرمى حجر من الأرض المحتلة.

(1) ســـــــورة الإســـــــــراء ، 17 / 1 .

2- واقع المدينة المقدّسة ومسجدها الأقصى وما جرى له من نكبات ونكسات .

3- ظهور الأحزاب السياسيّة المختلفة والتي نادت إلى التحرير ومقاومة الاحتلال ولكن بمسمّيات مختلفة. وظهرت الأحزاب الإسلاميّة ومنها جماعة الإخوان المسلمين التي ينتمي إليها الشاعر .

4- حالة التردّي والتخاذل في الخطاب العربيّ الرسميّ، وحركات شعبيّة مقهورة ومغلوبة على أمرها. ووقوع العرب في الشَرَك المنصوب لهم، وإعلان الاستسلام بالضربة القاضية .

والشاعر المسلم لا يؤمن بالفصل بين الحياة والدين والسياسة. والسياسة لديه ما هي إلا جزء لا يتجزّأ من حياته التي اختارها الله له، فيطلق الشاعر لقلمه العنان لينتقد الواقع السياسيّ الذي يعيشه والذي يحيط به، ويتخطّى الأمر إلى بلاد الأفغان وأرض السودان وأرض الجزائر ويصل إلى الأندلس البعيدة، ويرفض ما حلّ بالعراق وأهلها، ويتألّم لما حدث في فلسطين من مآسٍ سحّت لها الدموع السجام .

ويكشف هذا الجدول عيّنة للعناوين ذات الطابع السياسيّ، ويحيل إلى المواضيع التي تكشف بعض الأسرار السياسيّة التي أثارها الشاعر وعالج موضوعاتها :

الرقم	العنوان	الديوان	الصفحة
1	السلام الهزيل	في رحاب الأقصى	28
2	أمّة الأصنام	في رحاب الأقصى	44
3	مزَّقوا أكبادنا	في رحاب الأقصى	71
4	ظلال الذكرى	في رحاب الأقصى	96
5	فلسطينيّ الغد الظافر	عرائس الضياء	122
6	الغِرّيد الحزين	عرائس الضياء	139
7	صيحة على ضفاف الخليج	قناديل في عتمة الليل	166
8	البحث عن عنوان في شرفات قصر الحمراء	قناديل في عتمة الليل	185
9	وتقبل التهاني : أفراح الثكلى	الفتية الأبابيل	234
10	عشّاق الظلام	قبل الرحيل	298
11	سيّد القرارات	قبل الرحيل	301

12	وسقط الصنم	قبل الرحيل	310
13	أرأيتم كيف تنداح الدوائر ؟	قبل الرحيل	316
14	طاغية	قبل الرحيل	324
15	الرايات الجريحة	على خطا حسان	352
16	لن تذلّوا نفسي	على خطا حسان	358
17	هل أضاعوني حقّا ؟	على خطا حسان	362
18	شهد وعلقم	قطوف دانية	407
19	انطلاقة أمّة ... ومسيرة جهاد	قطوف دانية	414
20	وليلى في العراق تعيش قهرا	قطوف دانية	432

يعلي الشاعر في واحدة من قصائده ذات الطابع السياسي(**فالطفل فينا مارد جبّار**) شأن الطفل الفلسطينيّ والشاب الفلسطينيّ والمرأة الفلسطينيّة، ويرى بأنّهم أسقطوا كلّ الأقنعة السياسيّة، ويبعث إليهم باقة من الشعر يستوحيها الشاعر من قوله تعالى:﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنوا إِنْ تَنْصُروا اللهَ ينصركُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُم ﴾[1]. يقول الشاعر[2] :

[الكامل]

سَــقَطَ القنــاعُ ومُزِّقتْ أسْــتارُ وَبَدا لَنَا وَسَــطَ الـظلامِ نَهــارُ

والعـابِـثــونَ تراجَعُـوا عَـنْ غيِّهم وتَعثَّرَ الجاســوسُ والسِّــمسارُ

وَتَـلكَّأتْ خُـطـواتُ كلُّ مُـخـذِّل وانْجابَ عن كيْدِ الدخيل غُبارُ

والقـدسُ زُفَّتْ للشــهـيـدِ وحَوْلَـهـا بِيـضُ الـوجــوهِ كأنَّهـمْ أقْمــارُ

هاتي لنا الأكفانَ كَيْ نَلْقى الرَّدى ونُزَفَّ فالحـورُ الحِســانُ تَغارُ

مـا عـادَ فينا الطفـلُ يَعْبثُ لاهيًا فـالطفـلُ فينـا مـارِدٌ جبَّــارُ

---

(1) سورة محمد ، 47 / 7 .

(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 223 +224 .

وصغارُنـا حَمَلوا الحجـارةَ وازْدَهَوْا ما عادَ في ساحِ الجهادِ صِغارُ

والشـيخُ إنْ وَرَدَ المنيَّةَ مُغْضَبا فـالشـيْخُ فينـا فـارِسٌ مِـغْـوارُ

وبنَـاتُنـا فـي كُـلِّ قَـلْـبٍ أنـبَتَتْ روحَ الجِهـادِ وبَـرْعَمـتْ أزْهارُ

"وتصادم في الأجواء صوت يوسف العظم بصوت المغنية أمّ كلثوم في قصيدته(**خدّريهم يا كوكب الشرق**)[1] وقد صدَّر قصيدته بكلمة جاء فيها :" قبل أن نستفيق من هول الكارثة في حزيران الأسود، وقفت كوكب الشرق أمّ كلثوم تغنّي على مسارح باريس (أنت عمري) ولقيت يومئذ منّا رؤوسا تترنَّحُ ، وأكُفًّا تصفِّق، وحناجر تهتف، وعلّق المعلقون بسخرية: لقد وحّدت أمّ كلثوم العرب طربا بعد أن عجز الساسة والقادة في توحيدهم أُمَّة ذات كيان ...ويقولون : إنَّ أمّ كلثوم ظاهرة فنيّة عجيبة : وأضيف : ظاهرة تخديريّة رهيبة. لعلَّ هذا الضياع الذي أصاب الأُمَّة، وهذا الخدر الذي سرى في أعصابها هو الذي دعا صحفيّا إلى القول في مجلّة الصيّاد البيروتيّة مُباهيا دون خجل: إنّي أعرف مكانة أم كلثوم عند العرب، وأعرف كذلك أنّ حبّ الكثيرين لها يوازي حبّهم لفلسطين!"[2] ويأتي الردُّ من يوسف العظم فيقول[3]:

كَوْكبَ الشرقِ لا تَذوبي غَراما وَدَلالا وحُـرقـةً وَهُـيـامـا **[الخفيف]**

لا ولا تَنْفُثي الضَّياعَ قَصيدا عَبْقـرِيًّا أو تُرْسِـلي الأنْغاما

فَدِماءُ الأحبابِ في كلِّ بيتٍ تَـتَـنَـزَّى وَتَـبْـعَـثُ الآلامـا

وجِـراحُ الأقصى جِراحُ الثكالى ودُمـوعُ الأقصى دُموعُ اليتامى

أيّهـا الشَّـعبُ خَدَّرتْـهُ الليالي مُـثْـقـلاتٍ تَـفَـجَّـرتْ آثـامـا

كُلَّما الشـعبُ للجهادِ تَنَادى ألقَموا الشعبَ في الجهادِ لِجاما

---

(1) عبد الرحمن ياغي ، البحث عن قصيدة المواجهة في الأردن (1967-1985) ، 126 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 79 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 79 + 80 .

"ويبعث يوسف العظم برقيّة مستعجلة(**إلى من يهمُّه الأمر**) يعارض فيها ثمرة العمليّة التفاوضيّة التي كان يُتَوقّع منها إقامة "دولة فلسطينية" على جزء من أرض فلسطين بعد التخلّي عن أكثرها "[1] . يقول الشاعر فيها[2] :

دولةَ الخُمْس من فلسطين وَلّي وتلاشِـي مِـنْ فِكْـرِنـا واضـمـحلِّي **[الخفيف]**

إنَّمـا الـدولـةُ الـتـي نَبْتَغيـها في رحابِ الأقصى (كيانٌ) يُصلِّي

تِلْكُمُ الـدولـةُ الـتـي نَـرْتـضيـها لا شـــعـاراً لِلَّـهْـوِ أوْ لـلـتَّـسَـلِّـي

تِلْكـمُ القُـدسُ جَـنّـةٌ وعَـروسٌ زيِّـنُـوهـا بـيـاسَـــمـيـنٍ وفُـلِّ

إنَّـما المجـدُ أنْ أعيـشَ حيـاةً أَرْتَـضـيـهـا فـي مَـوْطـنٍ مُـسـتقلِّ

يقول رحيّل غرايبة ضمن أبحاث الندوة التكريميَّة ليوسف العظم :" حياة العظم كانت سياسة، وأدبه سياسة، وشعره سياسة، وفكره في مجمله في السياسة؛ يحمل هَمَّ أُمَّته، ويدافع عن قضاياها ويواجه أعداءها، بالموقف والقصيدة والمقال " [3]

ويهيب يوسف العظم بالشعوب لتنهض، وتضع حَدّا لقيادة(أبي لهب) ويعني بهم قادة الهزيمة الذين ذكرهم في قوله [4] :

ســـادَنـا قـادَةُ الـهـَزيـمـةِ زُوراً كيْفَ نَرْضى وا ذُلَّنا أنْ يَسُودوا **[الخفيف]**

هَجَروا المُصْحفَ الطَّهورَ وَحاروا وابـنُ دايـانَ قـادَهُ الـتُـلْـمـودُ

فَأذلَّ الـعَـدوُّ فـيـنـا جبِـاهـاً وَتَلاشــى مِـنْ راحَـتيْنا الحَديدُ

---

(1) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 58 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 302 .
(3) عبد الله الخباص ، م . س . ، 91 .
(4) يوسف العظم ، م . س . ، 72 .

وبما أنّ هؤلاء لا يرتجى منهم تحرير أوطان، نجد الشاعر يستنهض حمزة ليحمل الراية من جديد، فيقول الشاعر في قصيدة بعنوان**(وا عجبي)**، يستوفق هذا العنوان القارئ ؛ لجماله الناتج عن تركيبه البلاغي الموجز المختصر، ولما فيه من عدول وانحراف، يشدّ العنوان المتلقي ويجعله يبحث عن إجابة محدّدة، ولكن مع هذا العنوان تكثر الإجابات. يقول الشاعر[1] :

كانَتْ خَديجةُ أُمّا في مَسيرَتنا واليومَ أُمُّ الحِمى حَمَّالةُ الحَطَبِ **[البسيط]**

وكانَ حَمْزةُ يَرْعى رَكْبَ دَعْوتِنا واليومَ عادَ لِيرْعانا أبو لَهَبِ

أذلَّنا قادةٌ في كلِّ مُعْتَرَكٍ وجَرَّعونا كؤوسَ الذلِّ والهَربِ

ويجلد الشاعر الحكّام بلسانه في قصيدة بعنوان**(باسم الشعب...ولا يدري)** والقصيدة تستحقُّ القراءة ، جاء في آخرها [2] :

وقادةُ الشعبِ أمواتٌ بلا كفنٍ فَهَلْ يحرِّرُ أرضَ القُدسِ أمواتُ **[البسيط]**

يا سَوْأَةَ العمرِ في تاريخِ أُمَّتنا لقدْ بَدَتْ مِنْكمْ للعينِ سَوْءاتُ

حتّى تَرَوْا ويْحَكُمْ عُنوانَ نَكْبَتِنا أَمَا لَديْكُمْ بِرَبِّ البيتِ مِرْآةُ

سفينةُ الشعبِ ضَلّت لا شِراعَ لها والشعبُ حَارَ وما للشعبِ مَنْجاةُ

ولإيمان الشاعر بالجهاد سبيلا إلى تحرير فلسطين وجدناه يعارض الحلول السلميّة أو أيّ علاقة مع الكيان الغاصب ويصف هذا السلام المزعوم**(بالسلام الهزيل)** فيقول [3] :

أَيُّ سِلْمٍ هذا الذي تَنْشُدونهْ وشعارٍ هذا الذي تَرْفَعُونَهْ **[الخفيف]**

أنْ تُزيلوا العُدْوانَ دونَ جهادٍ وتَدُكّوا في كلِّ أرضٍ حُصونهْ

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 187 .
(2) يوسف العظم ، م . ن . ، 76 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 28 .

مثّلت العناوين ذات السمة السياسيّة في الأعمال الشعريّة الكاملة للشاعر يوسف العظم عددا لا بأس به من المجموع العام للعناوين، وتكشف هذه العناوين عن ثقافة واسعة للشاعر، واطلاعا عن كثب على الأحداث التي ينتقدها؛ ولأنّه من جماعة الإخوان المسلمين ويحمل شعار "الإسلام هو الحل " فنجد الموضوعات السياسيّة تمتزج لدى الشاعر بنزعة دينيّة طافحة، ويجعل النهايات دائما تتوافق مع النظرة الإسلاميّة الشاملة، ولم يستطعِ الشاعرُ الانعتاقَ من الخطاب الديني، بل نجد سيطرة لهذا الخطاب على باقي الموضوعات والأغراض التي طرقها الشاعر .

وتحمل العناوين ذات الصبغة السياسيّة شاعريّة خاصّة؛ لما تحمله من إشارات وإيحاءات ورمزيّة ، إنّ الشاعر يقدِّم وجهة نظره في الأحداث التي واكبها إمّا بصريح اللفظ كعنوانه(**السلام الهزيل**) (**وظلال النكبة**) أو بالتورية والانزياح واستخدام الرمز في أغلب العناوين المتبقية كعناوينه (**أُمّة الأصنام**) و(**الغِرِّيد الحزين**) و(**سيد القرارات**) و(**عشاق الظلام**) و(**شهد وعلقم**) و(**ذلّ فينا النهي**) و(**متى**) وغيرها من العناوين التي حملت عدولا وانزياحا، والعدول:"انحراف الكلام عن نسقه المثاليّ المألوف، أو هو الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، وخصوصا في المستوى الإبداعي للّغة والذي يعتمد على اختراق هذه المثاليّة وانتهاكها"[1] ،تأخذ العناوين السابقة المتلقّي إلى عالم افتراضي يختبئ وراء تلك التراكيب والصياغات، فيبدأ بالبحث عن المعنى الكامن وراء عنوان (أمّة الأصنام) وماذا يقصد بالغرّيد الحزين؟ ومن هو سيّد القرارات؟، وكيف يجتمع الشهد والعلقم في عنوان يقوم على استعارة تنافريّة تجمع الشيء وضدّه. وأكبر العناوين السياسيّة لدى الشاعر ما ارتبط بفلسطين وقضيَّتها. ومن ثَمَّ يوزِّع بقيَّة العناوين على المناطق الملتهبة من العالم الإسلاميّ .

لم يستطع يوسف العظم التحرر من قيود السياسة، ولم يستطع منع نفسه من الكتابة فيها، فهو خاض غمار السياسة نائبا لثلاث دورات ومن ثَمَّ وزيرا، وسبَّبت له السياسة كثيرا من المتاعب في حياته؛ فهي التي حوّلته من العراق إلى مصر أثناء دراسته، وبسببها أيضا سُجِنَ وعُذِّب، ومع كل ذلك لم يجد بُدًّا من ركوب الموج والمخاطرة؛ مدعوما من أهل معان ربعه وأهله.

ولم يؤمن يوسف العظم بالحدود الجغرافيّة والسياسيّة، فالكون الرحيب كلُّه ملك لله تعالى يورثه عباده ويستخلفهم عليه؛ لذلك نجده يهتم بالأحداث الجارية في أفغانستان والسودان والجزائر والعراق

([1]) محمّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبيّة، 268 .

ولبنان واليمن وفلسطين، ويهزُّه الشوق إلى الأندلس ويقف باحثا عن عنوان في شرفات قصر الحمراء. ويقرأ الشاعر الواقع المرير فيطلق العنان لقلمه فيكتب مستفهما**(أرأيتم كيف تنداح الدوائر؟)** ويفسّر العنوان بالأبيات الشعريّة الآتية [1]:

أرأيتمْ كيْفَ يَرْعى الجيلَ نَخّاسُ الضمائرْ ؟ **[مجزوء الرمل]**

كالِحُ الوجْهِ صَفيقٌ باتَ بالكفْرِ يُجاهِرْ

قَدْ تَرَبّى " طَبَقِيّاً " بَيْنَ زِقٍّ ومزاهِرْ

أرأيتم كيْفَ يَرْعى الجِيلَ عِرْبيدٌ مُكابِرْ

أرأيتمْ كيْفَ يَرْعى الجيلَ في الدارَيْنِ خاسِرْ؟

مِنْ هُنا ضاعَت بِلادي .. باعَها لِصٌّ وفاجِرْ

وهُنا اِغْتيلَ جِهادي إذْ تَقَحّمْتُ المَخاطِرْ

يا لَتَعْسِ الجيلِ يَرْعاهُ عَميلٌ ومُقامِرْ!

أرأيتُمْ كيْفَ يَرْعى الجيلَ وَغْدٌ مُتآمِرْ؟

العناوين ذات السمة الاجتماعية

تأتي العناوين الداخليّة ذات السمة الاجتماعيّة في المرتبة الثالثة بأربعة وثلاثين عنوانا، وبنسبة (11,3%) من المجموع العام، هذه العناوين ترتبط بأفراد مجتمعه من أصدقاء وإخوان وأم وأب وأولاد وبنات...وجيران ومدرّسين وزملاء وطلّاب، والإنسان كما قال ابن خلدون نقلا عن الحكماء :" مدنيّ بطبعه"[2]، ولأنّ يوسف العظم تربّى على مائدة القرآن فإنّه يعرف ماله وما عليه من الواجبات الاجتماعيّة، بدءا من عائلته الصغيرة وانتهاءً بعائلته الكبيرة _ أبناء مجتمعه _؛ ولأنّه

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 316 .
(2) عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، 65 .

شاعر مرهف فقد أطلق على وزارة الشؤون الاجتماعيّة التي تَسَلّم زمامها "وزارة الإنسان" كما أسلفت سابقاً .

وهذه قائمة تمثل عينة من العناوين ذات السمة الاجتماعيّة الواردة في دواوينه :

الرقم	العنوان	الديوان	الصفحة
1	مع العيد	في رحاب الأقصى	36
2	قابيل	في رحاب الأقصى	38
3	تحية إلى شعب اليمن	في رحاب الأقصى	53
4	عتاب	في رحاب الأقصى	87
5	بشرى وتهنئة لابن العم	في رحاب الأقصى	106
6	أخ ووفاء	عرائس الضياء	133
7	جراح وأفراح	قناديل في عتمة الضحى	157
8	بين يدي البشرى بميلاد ولدي محمد	قناديل في عتمة الضحى	180
9	أولادي	قبل الرحيل	296
10	ترحيب بضيف	قبل الرحيل	301
11	بنيّ لجيل أنت فيه قصيدتي	قبل الرحيل	320
12	أمّي	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	394
13	أبي	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	395
14	إلى زوجتي رعاها الله	قطوف دانية	413
15	بناتي	قطوف دانية	412
16	وأحفظ عهد الصحب دوما أصونه	قطوف دانية	433

يتفاعل الشاعر مع مكوّنات مجتمعه؛ ويعيش معهم لحظات الفرح والترح ويفرح في المناسبات العامَّة والخاصَّة، ويشارك أهله وأحبابه هذه المشاعر الجميلة، ويحزن في لحظات الأسى والألم. ونجده يفرح ويحزن ويعاتب ويقدّم مجموعة من القصائد تحكي لنا قصصا من الواقع الاجتماعي الذي يحياه الشاعر، ولا يجد في نفسه غضاضةً ولا حرجا من التعبير عن تلك العلاقات الاجتماعيّة، ولكن عند معالجته للقضايا الاجتماعيّة نجده يتكئ على ثقافته الدينيّة، وما طبع عليه من تربية حكمتها البيئة التي نشأ فيها ولم يتنصل منها.

من يقرأ هذه العناوين ذات السمة الاجتماعيّة يجد نفسه أمام سنادات مستقلّة؛ ويستكشف القارئ قدرة تلك العناوين المختزلة للتعبير عن الموضوع بكلّ وضوح، فتحيلك تلك العناوين(**أمّي ، أبي، أولادي، بناتي، زوجتي، أخي**) إلى طبيعة الحياة داخل الأسرة الممتدّة، تلك الأسرة التي نشأت وترعرعت على الأخلاق الحميدة والتربيّة الدينيّة. ويمثّل كلٌّ عنوان مستقلّ علاقة إنسانيّة خاصّة، وتتجلّى لدى الشاعر قدرات البوح عمّا يجيش في صدره من دقائق تلك العلاقات؛ لذلك نجد في قصائده الحبّ والاحترام والنصح والإرشاد والعواطف الجيّاشة، وما زال الشاعر يبحث عن مفردات تتوافق مع قوله تعالى: ﴿ وَقَضى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدوا إِلا إِيّاهُ وبالوالِدَيْنِ إِحْسانًا ﴾ [1]

وتحيلك عناوين أخرى إلى مناسبات اجتماعية وحياتيّة، فنجده يعاتب ويرثي ويفرح ويحزن ويحسن استقبال الضيف، وتحت عنوان(**مع العيد**) نجده يكشف عن روعة تلك المناسبة الدينيّة والاجتماعيّة، ولا يقف عند تلك الحدود بل ويتجاوزها ويضفي إليها نقدا سياسيّا ممزوجا بالحزن والأسى، وإعلانا بالرفض لبعض المواقف الاجتماعيّة .

ويحيل الشاعر بعنوان صغير ولكنّه يحمل كثيرا من الإشارات النقديّة والاجتماعيّة، العنوان هو(**قابيل**). إنها إحالة إلى بداية الحكاية مع آدم وأولاده قابيل وهابيل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبانا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخر ﴾[2] ويكشف لنا هذا العنوان المكوّن من كلمة واحدة طبيعية ما حدث بين الأخوين، وتنتهي الحكاية بأن يتعلّم قابيل كيف يواري سوأة أخيه من الغراب. هذه الحكاية تحمل في طياتها كثيرا من الأسرار وتكشف عن جوانب خطيرة في حياة البشر. وهنا يتجلّى العنوان الصغير ليكشف للقارئ خيوط الحكاية كلّها، وينعش العنوان الذاكرة، ويزيل عنها الصدأ فيأخذ المتلقي العبرة ويعود إلى الصواب .

العناوين ذات السمة الوطنية والقوميّة

تحتل العناوين ذات الطابع الوطنيّ المرتبة الخامسة من مجموع أعمال يوسف العظم الشعريّة وعددها أربعة وعشرون عنوانا، وبنسبة (8%) من المجموع العام . يحشد الشاعر هذه

(1) سورة الإسراء ، 17 / 23 .
(2) سورة المائدة ، 5 / 27 .

العناوين للتعبير عن حبّه لوطنه وصدق انتمائه إليه . ولكنّ الشاعر لا يؤمن بالحدود المؤقّتة لهذا الوطن؛ لذلك نجده يعلن في ديوانه الأول وتحت عنوان كبير **(ديار الإسلام.. دياري)** ويقول الشاعر : " سهول بلادي ميادين جهاد وحقول استشهاد. فوق كلِّ رابية من رباها زرعت كتائب الحقّ والهدى جثّةً لشهيد. وعلى كل شبر من ثراها... سالت قطرات من دم زكيٍّ يرويها. سماؤها مُنْطَلَق للنور... وأرضها مهبط للوحي... وموطن للعزة.ومالي أطيل ...ألا يكفي أن تكون بلادي .... ديار الإسلام **؟؟.**" [1]

ويقول الشاعر:"أرأيتم كيف أجمع بين عمق جذوري في الشام، وشرف انتمائي للأردن وصدق هُيامي بفلسطين. وقد أكرمني الله لأتفيّأ ظلال الإسلام دعوة، ولسان العربيّة أداة تعبير"[2]

وسأستعرض عينة من العناوين ذات السمة الوطنيّة في الجدول الآتي :

الرقم	العنوان	الديوان	الصفحة
1	شهيد الكرامة	في رحاب الأقصى	19
2	صفحة خلود	في رحاب الأقصى	26
3	في ربوع الأردن	في رحاب الأقصى	27
4	أنا للقدس	في رحاب الأقصى	34
5	قلعة الربض– عجلون الأردن	في رحاب الأقصى	49
6	وحدة الإخاء والفداء	عرائس الضياء	126
7	لا تسلموني ويحكم	قناديل في عتمة الضحى	172
8	حياض العز	قبل الرحيل	303
9	يا عرين العراق أنت المرجى	قبل الرحيل	306
10	وسام على صدر معان	على خطا حسان	347
11	بلادي	قطوف دانية	422
12	البترا	قطوف دانية	434

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 96 .
(2) يوسف العظم ، م . ن . ، 203 .

لم يشكّك أحدٌ في صدق انتماء يوسف العظم للهويّة الأردنيّة، بل إنّ صناديق الاقتراع أعطته الثقة ليمثّل الشعب الأردنيّ في مجلس النواب لثلاث دورات، ولا تزال معان ترفع ذكر ولدها البارّ وتعطيه ثقة لا محدودة، ويوسف العظم لا ينكر فضل أهل معان ويحفظ جميلهم، ويسير يوسف العظم على خطا من سبقه من الشعراء في ذكر مناقب معان .

يقول يوسف العظم:"وظلّت معان وفيّة على العهد، تمرُّ بها قوافل الصحابة الأبرار، وزحوف الصِّيد من بيت النبوّة، بوابة خير مشروعة وجسر مودة قائم بين الشام وأرض الجزيرة العربيّة " [1]

وينقل لنا يوسف العظم بعض ما حدث مع عبد الله بن رواحة وهو في طريقه لأرض المعركة وإقامته في معان قبيل معركة مؤتة، وينقل لنا خبرا عن حسّان بن ثابت في جاهليّته وهو في طريقه لمنادمة ملوك بني غسّان مرورا بمعان، وينقل لنا كيف وقف أبو العلاء المعرّيّ على ماء معين؛ لينقل لنا صورة عن تداخل صهيل الخيل بأصوات المطربات الحسان، ولذلك نجد الشاعر يكتب قصيدة بعنوان(**وسام على صدر معان**)[2] فيحيلك هذا العنوان إلى تاريخ تلك المدينة وأمجادها، ويحيلك إلى رباط من نوع خاصٍّ بين الشاعر وبلده .

وتحيل العناوين(**شهيد الكرامة**) (**بسمة الشهيد الصامت**) (**صفحة خلود**) (**وحدة الإخاء والفداء**) (**حياض العزّ**) إلى صفحة من المجد والفخار، رسمتها تلك المعركة الفاصلة في الصراع الدائر في منطقة الشرق الأوسط، إنّها معركة الكرامة تلك المعركة التي امتزجت فيها دماء الشهداء من الضفتين، ومثّلت تلك المعركة صفحة ناصعة لتاريخ الأردن الحديث في صراعه مع الكيان الطفيليّ على أرض الإسراء والمعراج .

وتحيل العناوين(**في ربوع الأردن**)(**قلعة الربض**)(**بلادي**) (**البترا**) (**وسام على صدر معان**) إلى مناطق أردنيّة أصيلة، يتغنّى الشاعر بتلك المناطق ويتغنّى بصفاتها وتضاريسها وأهلها . ولنستمع إلى الشاعر وهو ينشد لبلاده في قصيدة صدّرها بعنوان(**بلادي**) "[3] :

على رُباكِ بلادي قدْ زَكا الأَجَلُ وأيْنَع الحُبُّ والإيمانُ والأَمَلُ [البسيط]

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 202 .
(2) يوسف العظم ، م . ن . ، 202 .
(3) يوسف العظم ، م . ن .، 422 .

وأنْبـتَ الحقلُ فُرْســانـا بلا عـددٍ كالغيثِ مُنْسَــكبا فـي المُلتقى نَزَلـوا

وضلَّ جيشُ العِدى في كُلِّ مُنْحدرٍ وَخَرَّ في الساحِ مِنْ هَوْلِ اللُقا هُبَلُ

وَصَفَّقَ المجْـدُ والـتاريـخُ في طَرَبٍ وسَــاحةُ المجْدِ والتاريخِ تَشْــتعلُ

يـا رايـةَ الحقِّ ســيـري للعُلا قُدُماً تَحْمي حِماكِ رِماحُ الصَّيدِ والأَسـلُ

نَجيعُـنـا فـي ســبيـلِ اللهِ نَبذُلُـهُ وجُـرْحُـنـا راعِـفٌ فـي اللهِ يَـحْتَـمِـلُ

فإنْ وَرَدْنـا حِياضَ العِزِّ نَشْــربُـها وإنْ لَـقِـينـا قـيـودَ الـذلِّ نَـرْتَـحِـلُ

ويصرخ الشاعر عاليا(**أنا للقدس**) ليؤكّد هُيامه بالقدس، ومع القدس تتعدَّد السمات والدلالات والإشارات والمواقف، وتتحرّك المشاعر وتتفجَّر الذكريات، ويعلو النشيد وتتلألأ الكلمات، ويرسم على وجه الكون أجمل بسمة. والقدس ليست رسوم دار عفت، وليست معالماً وطلولا . القدس عند الشاعر هي وطن المؤمنين وقبلتهم .

وتتدفّق مشاعر العظم العربيّة والوطنيّة الصادقة في جملة من قصائده، على نحو ما نجد في قصيدته(**حنين إلى دمشق**) وقصيدته(**حَماة يا أغرودة المجد**). " وتتجلّى في شعر يوسف العظم فلسطين كلُّها من نهرها إلى بحرها، لا فلسطين التي قضمتها المفاوضات فصارت مقصورة على الضفَّة وقطاع غزة، ولذلك تظهر في شعره يافا وحيفا وبيسان والعجميّ والكرمل والخليل والقدس وغزّة ونابلس وجبل النار والمثلث والجليل وأمّ الفحم " [1]

تُـطَهّـرُ الأرضُ مِـنْ أعْداءِ أُمّتِـنــا وتزرعُ الأمنَ في يافا وفي العَجمي [2] [البسيط]

يا مَسْجدَ الخِيفِ في الأقْصى أَحِبتُنا وفـي الخليلِ وفـي حَيْفا وبِيـسـانِ [3] [البسيط]

أيْنَ عَـكـا عَـنْ حِـمـاها شــامخـا هُــزِمَ الـعُـدوانُ وارتــدَّ الـطُـغــاةْ [1] [الرمل]

---

(1) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 72 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 37 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 60 .

وغَـدَتْ غَـزَّةُ رَمْـزًا لـلـفِـدا بوسـامٍ سـالَ مِنْ صَدْرِ الشـهيد [2] [الرمل]

قدْ عَـشِـقْـنـاكِ يا خَليـلُ جبـالا وكُـرومـا وجَـدْولا سَـلْـسَـبـيـلا [3] [الرمل]

أحبَّ يوسف العظم وطنه وأحبَّه وطنُه، ورسم بالشعر والنثر أروع اللوحات الفنيّة، وما زال يحلِّق في فضاء الوطن بأمجاده وتاريخه وأهله، وكثير من عناوينه الشعريّة ذات الطابع الوطني تفضي إلى ذلك .

يقول عبد الله الخبّاص تحت عنوان(**الوطن الكبير**):"لم يُغَنِّ يوسف العظم لبلدته معان، ولوطنه الأردن، وفلسطين والأقصى فحسب، بل غنّى للوطن الكبير الذي تجاوز حدود الوطن العربيّ، ليشمل جملة من أقطار الوطن الإسلاميّ الكبير، كيف لا، وهو الداعية الذي كان يجوب الأرض دفاعا عن دينه، ويذوب قلبه وهو يحمل راية الأمّة لتبقى مرفوعة عزيزة غير مهانة" [4]

إنّ قصائد يوسف العظم الوطنيّة لم تكن وطنيّة بمعنى الانتماء القوميّ أو الانكفاء على الذات، وإنّما بطابع إسلاميّ، وبصمات إيمانيّة.

العناوين ذات السمة الإنسانيّة والوجدانيّة

إنَّ الناظر في شعر يوسف العظم يجد فيه صورة للأب الحاني الذي تتدفّق جنباتُ قلبه بالعواطف الصادقة المتأجِّجة اتجاه أسرته وأبنائه، نجد حضورا مميّزا للعناوين التي تعبِّر عن تلك العواطف المتدفِّقة، بلغ عدد هذه العناوين اثنين وثلاثين عنوانا(32) وجاءت في المرتبة الرابعة في الترتيب العام لمجموع القصائد، وبنسبة(10.5%).والجدول الآتي يحوي عيِّنة من هذه العناوين :

الرقم	العنوان	الديوان	الصفحة
1	نبضات القلوب	في رحاب الأقصى	69
2	أمّي	في رحاب الأقصى	82
3	تحيّة اللقاء والشوق	في رحاب الأقصى	105

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 95 .
(2) يوسف العظم ، م . ن .، 97 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 209 .
(4) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 17 .

4	ولدي	عرائس الضياء	134
5	جوهرتي	عرائس الضياء	149
6	رحلة ومصير	عرائس الضياء	150
7	جنّة الدنيا خميلة	قناديل في عتمة الليل	180
8	شقيق الروح	قناديل في عتمة الليل	183
9	أين قلبي	قبل الرحيل	295
10	بني لجيل أنت فيه قصيدتي	قبل الرحيل	320
11	بطاقة تمنيات	قبل الرحيل	327
12	عواطفي	قطوف دانية	404
13	بناتي	قطوف دانية	412
14	حمدت الله أنّي في أمان	قطوف دانية	431
15	حَيِّ ليلى في كل مطلع شمس	قطوف دانية	432

تحيل العناوين السابقة وباقي العناوين من نفس النوع إلى موضوع يتّصل بالعاطفة والوجدان، وتكشف عن حالات مختلفة يمرُّ بها الإنسان من فرح وحزن وألم ومعاناة ومرض، وجميع المشاعر التي تختلج داخل الإنسان . وتتبدّى تلك المشاعر الصادقة المتأجِّجة وتظهر جليّة في القصائد التي تحمل عناوين(**أولادي**)، (**بناتي**)، (**أمّي**)، (**جوهرتي**). فيقول الشاعر في قصيدته التي حملت عنوان(**أولادي**) [1] :

وبيْتٌ على الإيمانِ يَوما أقَمْتُهُ فللّهِ ربَّي خالصُ الحَمْدِ والشكرِ [الطويل]

(نُسَيْبَةُ) في لَيْلي شُموعٌ أضأتِها ودِرْعِيَ (عَمَّارُ) يذودُ قِوى الشَّرِّ

و(رضْوى) أطلَّت بالحنان تُحيطُني وساجدةُ الأسحارِ تَحْيا مَعَ الذِّكرِ

سلامٌ على البيتِ الذي أنْبَتَ التُّقى بِهِ زَهراتٌ هُنَّ أنْقى مِنَ الزَّهرِ

إلهي عَشْرٌ مِنْ بَناتي رعَيتُها وواحدةٌ بالصدقِ والحُبِّ والبِرِّ

(1) **يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 296 + 297 .**

وخَـمـسـةُ أَبناءٍ أحـاطـوا بمَهْـجَـعـي يُضـيءُ بِهِمْ ليلي ويَزْهو بِهِمْ فَجْري

عُصارةُ روحي منْ ضُلوعي سَكبْتُها وذَوْبُ فؤادي في شَـرايينِهِمْ يَـجْـري

ويأتي قريب من هذه المشاعر ما جاء في قصيدته**(بنيّ لجيل أنت فيه قصيدتي)** وهي قصيدة أهداها الشاعر لحفيده يوسف وقدَّم لها بقوله:" رُزق ولدي عماد مولودا سمّاه يوسف ، فنظرت في عينيه، ولثمت كفيه، ورأيت امتداد حياة الجدّ، في خفقات قلب الحفيد، وكانت هذه الأبيات النابضة بالأمل" [1] :

حشاشـةَ عُمـري وامتـدادي لفترةٍ من الدهرِ تصفو في الحياةِ وتَكْدرُ **[الطويل]**

أتى يوسـفُ والعمـرُ فيه بقيّةُ تُرى كمْ سأحيا كيْ أرى الليثَ يكبرُ

لِيسْـكُبَ مـن كفَّيْـه دفْءَ مودةٍ وقَدْ لاحَ فـي عينيْهِ نَجْمٌ مُنوِّرُ

بُنَيَّ حفيدي أنتَ ذاتي و مُهْجتي وأنتَ لـدى الأحشـاءِ نبْعٌ وكَوْثـرُ

ويـزرعُ حَقلا بـالسـنابل والمُنى ويشـرحُ صَـدْري بـالمـودَّة يَـزخُـرُ

بُنيَّ لجـيـلٍ أنتَ فـيـه قصيدتي وشـعري عـن الآمالِ دوْماً يعبِّـرُ

فقُمْ وازْرعِ الآمالَ فـي كُلِّ رَبْـوةٍ لِتُنبتَ عِـزًّا فـي الـريـاضِ وتُـزْهـرُ

وتتكرَّر هذه المعاني الإنسانيّة الشفّافة، وتجيش هذه العواطف متدفِّقة في قصيدته**(ولدي)** التي قدم لها بقوله : " إلى جهاد وقد بلغ مبلغ الرجال" [2] وقبلها في قصيدته:**(بين يدي البشرى بميلاد محمّد)**، والتي يقول فيها [3] :

قَدْ حَبَاني الرَّحمنُ رَوْضا نَدِيّا وسـماءً قد رُصِّعتْ أَقْمارا **[الخفيف]**

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 320 .
(2) يوسف العظم ، م . ن .، 134 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 180 .

أبْشِـرِ اليـومَ قدْ رُزِقْتُ غُلامـا زادَكَ اللّهُ هَيْبَـةً وَوَقــارا

يا لَسَـعْدي بِمـنْ أَطلَّ عَليْنـا قدْ شَـدا بُلْبُلا وغَنَّى هَزارا

قُلْتُ أدْعوهُ باسـمِ خَيْرِ البَرايا عَلَّهُ يَرْتدي الإبـاءَ دِثَـارا

ويُباري النُّجومَ في أُفُقِ المجْدِ ويُعْلي الإسْـلامَ دَوْما شِعارا

وتظهر لدى الشاعر مشاعر الحزن والأسى لتقابل مشاعر الفرح والغبطة وتظهر هذه المشاعر فيما يلائمها من مواقف؛ مثلما نجد في قصيدته التي رثى بها شقيقه حسن العظم وجاءت تحت عنوان(**شقيق الروح**)، وقال فيها [1] :

[مجزوء الكامل]

قد كُنْت لي سيفا وغِمْدا وحفَفْت بي شـوكا ووردا

وتذودُ عنّي في الحمى وتحيطُ بـي عَضُداً وزَنْدا

بالأمــسِ كنت أنيسَـنا واليـومَ قَـدْ وورِيتَ لَحْدا

أرجـو الإلـهَ بِأنْ تُوسَّدَ فـي غـدٍ عَدَنـا وخُـلْدا

ولا تقتصر هذه العواطف الجيّاشة على أسرته فقط، بل نجدها تتحرّك وتتدفَّقُ في شعره ليعلن تضامنه مع أهل فلسطين وأهل العراق وأهل الجزائر، وتتجلَّى تلك العواطف مع الجيل الصغير؛ فينشد لهم ولغيرهم من نبضات قلبه ويبعث مع عواطفه تحيَّةَ الشوق، ويرسل بطاقة تمنيَّات ليعلن الحمد لله على أنّه بأمان .

وتحيل بعض العناوين إلى حالة إنسانيَّة خاصّة تمرُّ مع كثير من الناس أثناء رحلة المرض، ونجد ذلك في(**رحلة ومصير**) (**أين قلبي؟**) (**حمدت الله أنّي في أمان**) (**ودِّعوني**) ويمزج الشاعر تلك المشاعر الإنسانيّة والوجدانيّة بالإيمان الراسخ بقضاء الله وقدره، ويعكس فيها ما تربَّى عليه الشاعر

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 183 .

كداعية إلى الله تعالى، وصاحب نفس أوّابةٍ إلى ربِّها وترجو رحمته . وخير ما يمثِّل هذه القصائد قصيدته(**ضراعة مُؤَمِّلٍ وحسرات محزون**). وجاء فيها [1] :

تَلَفَّتُّ حَوْلي أسْــألُ اللهَ رحمــةً لعلَّ إلهَ العَـرْشِ بالعبْـدِ يَلْطُفُ **[الطويـل]**

فجاءَ طبيبٌ مشرقُ الوجهِ باسمٌ يرومُ علاجَ الجسمِ بالطبِّ يَعْرِفُ

فأدْرَكْـتُ أنَّ الله لَبَّى ضَراعَتِي لَعلّيَ مِنْ بَحْـرِ العِناياتِ أَغْرِفُ

أيا مِبْضعَ الجرّاحِ رِفْقاً بمُهْجتي ففي كلِّ نَبْضٍ مِنْ فُؤادِيَ موْقِفُ

العناوين ذات سمة المدح والفخر

" لم يكن يوسف العظم مدّاحا متكسِّبا بشعره، بل كان عزيز النفس أبيًّا، لا يمدح إلا الشهداء والشهادة، ورفض أن يكون قلمه مقيّداً بل ظلَّ حُرًّا طليقا يكتب ما يعتنقه ويذود عنه، مبتعدا عن الرياء والنفاق، وإذا كانت إطلالة سريعة على مذكراته(**مذكّرات ثلاث أرباع قرن**) تدلّ على صدق ما نذهب إليه، إلى جانب مواقفه السياسيّة الجريئة تحت قبَّة البرلمان وخارجها، فإنّ شعره أيضا يحفل بذلك ويشير إليه إشارة واضحة لا تحتاج إلى كثير من الإقناع أو البحث عن الحُجَّة والبرهان" [2]

ويعلن الشاعر موقفه ممَّن يستحق المديح ويحصره في فئات محدودة فيقول [3] :

ليْسَ في مَوْطِني الكبيرِ عَظيمٌ يَسـتَحِقُّ الثَّنـاءَ غيْـرَ الشـــهيـدِ **[الخفيـف]**

أو إمـامٍ يـقـودُنـا لـجـهــادٍ في رِحابِ الأقْصى لِدَحْرِ اليَهودِ

وتأتي العناوين التي تكشف عن المديح والفخر في شعر يوسف العظم حسب الإحصاء الرقمي في المرتبة السادسة وعددها اثنان وعشرون عنوانا بنسبة (7.3%). تكشف هذه العناوين عن الفئات النّي يمدحها الشاعر ويفخر بها، ولنستطلع تلك الفئات من خلال الجدول الآتي :

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 160 .
(2) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 22 .
(3) يوسف العظم ،م . ن . ، 119 .

الرقم	العنوان	الديوان	الصفحة
1	رسالة إلى مجاهدة	عرائس الضياء	169
2	واحتي الخضراء	عرائس الضياء	179
3	أنسام وأنغام في ذرى وهران	عرائس الضياء	189
4	الفتية الأبابيل	الفتية الأبابيل	205
5	إلى المشاغبين الأباة في قطاع غزة	الفتية الأبابيل	207
6	حيّوا المثلث والجليل	الفتية الأبابيل	212
7	الثلاثة الأحرار .. في موكب الأبرار	الفتية الأبابيل	214
8	وسطّري صفحة للمجد زاهية	الفتية الأبابيل	218
9	باقات من الشعر ... هدايا من الشعر	قبل الرحيل	324
10	ليال كالصباح	قبل الرحيل	328
11	شموع في ظلام الغرب	على خطا حسان	355
12	لا يضير الكريم كيد الأعادي	على خطا حسان	372
13	شامخ بالحقّ	قطوف دانية	406

قرأت جميع قصائد الفخر والمدح وربطت بين العناوين والمتون الشعرية فوجدت الشاعر في أوَّل عنوان**(وأبلغ شعر ما تنقّاهُ عالم)** يمدح العلماء. وتتبعها قصيدة بعنوان**(باقة من الزهر وبطاقة من الشعر)** تكرّس القصيدة نفس المعنى. ونجد الشاعر يفخر بجماعة الإخوان المسلمين فيمدحهم في قصيدة تحت عنوان**(رسالة إلى مجاهدة)**، وتحت عنوانين انزياحيين وهما**(واحتي الخضراء)** و**(متى)** يمتدح الشاعر في هاتين القصيدتين الأمَّ الرؤوم والصدر الحنون .

وينتقل الشاعر إلى الجزائر مادحا لأهلها في قصيدة بعنوان**(أنسام وأنغام في ذرى وهران)** يُعبِّر الشاعر في هذه القصيدة عن الفخر بما جرى على أرض الجزائر. ثم ينتقل الشاعر إلى أرض الإسراء والمعراج وتتنوَّع الفئات التي تستحقُّ المديح من وجهة نظر الشاعر بدءا بالشهيد والشهادة، ثمَّ نجده يفخر**(بالفتية الأبابيل)** أطفال الحجارة، ويرسل برقيات الفخر والاعتزاز إلى:**(المشاغبين الأباة في قطاع غزّة)**، وإلى أهل الخليل في قصيدة بعنوان**(يا عرينا به الحقّ تباهى)** .

ويفخر بأهل الشمال بقصيدة بعنوان(**الله أكبر تعلو من مآذنها**)، وقدّم لهذه القصيدة : " إلى أبناء جبل النار في نابلس وجنين وعنبتا وطولكرم وقلقيلية وساحات المجد والإباء حولها، ولكل السائرين على طريق الحقّ والقوّة والحريّة .إلى أحفاد القسّام وفرحان السعدي وحسن سلامة وعبد القادر الحسيني في مسيرة المجد الظافر والجهاد المبرور" [1]

ويفخر بعرب الداخل (عرب 48) في قصيدة تحت عنوان(**حيّوا المثلث والجليل**) وقدَّم لها الشاعر:" إلى الذين حسبهم اليهود غير ثابتين على العهد مُدْبِرين عن الجهاد. إلى أبناء فلسطين في المثلّث والجليل وصفد والناصرة وحيفا ويافا وعكّا وبئر السبع وأمّ الفحم وجميع المناطق المحتلة "عام 48 "... إلى الذين يصنعون بضياء القرآن فجر الحريّة"[2]

ويمدح الشاعر مجاهدين من فلسطين ارتفعوا إلى الله شهداء :" إلى الذين روّوا بدمائهم الطاهرة أرض مدينة (ليماسول) بجزيرة قبرص وهم في طريقهم لضرب مواقع العدو الغاصب على أرض فلسطين. إلى الشهداء الأبرار محمد بحيص ومحمد باسم التميميّ ومروان الكيّالي؛ الذين راحوا ضحية الغدر والمؤامرة"[3] يمدح الشاعر الشهداء الثلاثة في قصيدة بعنوان(**الثلاثة الأحرار في موكب الأبرار**)، ثمّ يفتخر الشاعر بكلّ أبناء الشعب الفلسطيني تحت عنوان(**يا سرايا الجهاد**).

ولم ينسَ الشاعر المرأة وخصوصا المرأة الفلسطينيّة فكتب لها الشاعر قصيدة بعنوان(**وسطّري صفحة للمجد زاهية!**) وجاء في القصيدة [4] :

خوضي غِمارَ الرَّدى أُخْتاهُ وانْطلقي وبدّدي ظُـلْمـةَ المُحتَـلِّ والـغَسَــقِ [البسيط]

وردِّدي آيـةَ أصبَحَتْ لـنـا أَمَـلاً تَجْتَثُّ فينا جـذورَ الخَـوْفِ والقَلَقِ

"إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ" فـلا تَهِنـوا واستبشِروا فحليفُ النَّصرِ كُلُّ تَقي

وســطِّري صـفْحَــةً بـالـنورِ زاهِـيةً علـى أديـمِ ســماءِ الـمـجدِ والوَرَقِ

---

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 210 .
(2) يوسف العظم ، م . ن .، 212 .
(3) يوسف العظم ، م . ن . ، 214 .
(4) يوسف العظم ، م . ن . ، 218 + 219 .

وحَدِّقي في جبينِ الشمسِ شامخةً وعانِقيها بوجْهٍ مُشْرِقٍ أَلِقِ

سيري عليْكِ سلامُ اللهِ ما رَفَعَتْ مآذنُ القُدسِ صَوْتا غيْرَ مُخْتَنِقِ

وينتقل الشاعر إلى الفخر بالطفل الفلسطيني، ويسطِّر تلك المعاني في قصيدةٍ بعنوان**(والطفل فينا مارد جبّار)**. ويفخر الشاعر بحسّان بن ثابت تحت عنوان**(على خطا حسّان)** ولم ينْسَ الشاعر معان فمدحها في قصيدة عنوانها **(وسامٌ ...على صدر معان)**.

ويفخر الشاعر بالشباب المسلم الذي أحسن السفارة في بلاد الغربة، فمدحهم بقصيدة بعنوان **(شموع في ظلام الغرب)**. ويختم الشاعر في قصائد المدح بما بدأ بالشهيد وجاء ذلك تحت عنوان **(شامخ بالحقّ)** .

ويمدح الشاعر المجاهدين المرابطين على ثرى فلسطين الأسيرة؛ والذين شحّ السلاح في أيديهم فلجؤوا إلى المقلاع والحجر، جاء هذا المديح في قصيدة بعنوان **(سيوف الإيمان)** وقال فيها [1] :

أحِبَّةُ القدسِ في قدسِ العلى خبرُ فاستبشروا قد أتانا العلمُ والخبرُ [البسيط]

إنَّ الأحبَّةَ في درْب الجهاد مَضَوْا سِلاحُهُمْ في الحمى المقلاعُ والحجرُ

وأنّهم سطَّروا في الساحِ ملحمةً قد زاغَ من هَوْلها في الملتقى البصرُ

واليوم رعدٌ وبرْقٌ لاحَ فانتظروا سيتبع البرقَ في أفْقِ العُلى مطَرُ

التزم الشاعر في غرض المدح والفخر فئات محدودة ولم يخرج عنها، ولفلسطين في ذلك حصّة الأسد؛ فلسطين بأبنائها وبناتها وشيوخها وشبابها وأطفالها وأحجارها وقراها ومدنها. ودرَّة من يستحقّ المديح كما كشفت العناوين التي استعرضناها هم الشهداء والمجاهدون والمؤمنون القابضون على الجمر في زمن عزَّ فيه الرجال وتبدَّلت فيها الغزلان بالقرود.

---

(1) يوسف العظم ،الأعمال الشعريّة الكاملة ، 417 + 418 .

العناوين ذات السمة الثقافيّة :

جاءت العناوين ذات السمة الثقافية في المرتبة السابعة وعددها اثنا عشر عنوانا، وبنسبة (4%). وتكشف هذه العناوين عن مواضيع ثقافيّة مختلفة منها الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ والتعليميّ والتاريخيّ، وغيرها من الموضوعات يرسل الشاعر تحت هذه العناوين رسائل مختلفة تكشف أنّه " شخص مثقّف ثقافة موسوعيّة "[1]

انتشرت هذه العناوين في دواوين الشاعر، وأوّل عنوان يحيل إلى الموضوع الثقافيّ في قصيدة بعنوان(**سموم**) ينتقد فيها الشاعر ما تتناقله الإذاعات من تزوير وتشويه لحضارتنا وثقافتنا وتحت عنوان(**عرائس الضياء**) يكشف الشاعر اللثام عن رسالة المسلم الحقيقيّة في زمن التقدُّم العلميّ " ويدفع الشاعر ديوانه لأصحاب الذوق من قرّاء الشعر لعلّهم يجدون فيه واحة وارفة الظلِّ في عصر التلوّث والضجيج " [2]

وتتجلّى القصائد ذات الطابع الثقافيّ الدينيّ في كثير من العناوين لدى الشاعر نذكر منها :(**جريح في ليلة القدر**) ، (**بين العلم والإيمان**) ، (**قصائد في بلاد الغربة**) وغيرها

ويعارض الشاعر في مجموعة من القصائد مجموعة من الشعراء كاشفا عن ثقافته الخاصَّة، وجُبِلت معارضاته بالروح الإسلاميّة وما جاء في خاتم الأديان من تعاليم تقود العالم إلى الخير والنجاة فيأتي ديوان الشاعر(**لو أسلمت المعلّقات**) ليكشف عن تلك الثقافة التي اكتسبها الشاعر وبقي يدافع عنها .

وتأتي بعض العناوين الثقافيّة موزّعة في ثنايا الدواوين ومنها(**حدائق الشعر**) و(**فكر وشعر**) و(**الشاعر في حالين**) و(**قراءة عروضيّة على بحر الكامل**) و(**معارضة قصيدة مالك بن الريب**) و(**قلت معارضا القصيدة الأندلسيّة**) .

(1) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 35 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 113 .

من يستطلع تلك العناوين يصل إلى نتيجة مفادها أنَّ كلَّ شاعر يعبِّر عن تجربته الشعريَّة والشعوريَّة بما يتوافق مع تربيته الخاصَّة، وتكشف عن مكنوناته وفقا لثقافة خاصَّة يلتزمها الشاعر ولا يحيد عنها .

الموضوعات الأخرى

تُمثِّل العناوين ذات الموضوعات الأخرى (الرثاء، الفلسفة، الوصف، التربية، الغزل، التاريخ) ما مجموعه سبعة وعشرون عنوانا، بنسبة تقارب (9%) من المجموع العام، هذه النسبة تكشف عن ضعف الحضور لهذه الأغراض في شعر يوسف العظم فيما تكشفه العناوين؛ وكأنّ الشاعر لم يحفل كثيرا بتلك العناوين مع أنَّ جُلَّ تلك الأغراض نجده حاضرا في قصائده؛ فللرثاء نصيب محدود؛ والشاعر أعلن ذلك بقلمه ولسانه فالرثاء ليس غاية ولا هدفا لدى الشاعر. كذلك الفلسفة فهو غرض هامشيّ لدى الشاعر ولم يعطِهِ كثيرا من الحظّ .

أمّا الوصف؛ فالشعر أصلا يقوم على الوصف وفي هذا السياق تلفتنا قصيدته(**أمام شلالات نيجارا**) في كندا التي أعجبه جمالها الأخّاذ، وفتنته طبيعتها الساحرة، ولكنّه ربط ذلك كلّه بصنيع الله وعظمته فيقول فيها [1] :

[الخفيف]

فَجَّـرَ اللهُ نَبْعَهـا فـي ســماءٍ في قديمِ الزمانِ عَبْرَ العصورِ

وتراءَت غـلالـةٌ مـنْ حَـريـرٍ نَـسَـجَتْهـا يَـدُ البديـعِ القديـرِ

كُلَّما طافَ بالرياضِ نَسـيـمٌ مَلأ الأفْقَ بالشـذى والعطـورِ

لوحةٌ للجمالِ مِنْ صُنْعِ ربِّي تَـتَحـدَّى روائــعَ الـتـصـويــرِ

ونجد شبيه ذلك في القصائد ذات العناوين :(**على شاطئ بحيرة لوجانو**) و(**في ربوع الجزائر**) و(**على شاطئ بحيرة نيو أورليانس**) وتتجلّى في تلك القصائد فكرة وصف الطبيعة والدعوة إلى التفكُّر في نعم الله تعالى التي سخَّرها لخلقه .

(1) يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 188 .

أمّا العناوين ذات السمة التربويّة فهي بحقّ كثيرة . ولكنّنا آثرنا أن نضعها ضمن أغراض أخرى أقرب من حيث المضمون والغرض وخير مثال على ذلك ديوان الشاعر **(أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** فالدافع لتأليف هذه المجموعة من الأدعية والأشعار هو اهتمام يوسف العظم بهذه الشريحة المهمّة في المجتمع؛" ولعلَّ من قصائد يوسف العظم المشهورة التي شاعت على ألسنة الأطفال وراحوا يردّدونها في غير مناسبة، ويتغنّون بها وهم يلهون ويلعبون،ويفرحون ويمرحون وهم يردّدون قصائد:**(الصلاة)** و**(صوم رمضان)** و**(الحجّ)** و**(الكعبة)** و**(أنا يا قوم مسلم)** و**(الله ربي)** [1]

ويضعف لدى الشاعر صوت الغزل لانشغاله بما هو أهمّ؛ إنّه الانشغال بالدعوة إلى الله، وانشغاله بهموم الأمّة وما يحاك لها بالليل والنهار، خبا صوت الغزل وعلا صوت الدين والسياسة.

ولا نريد أن نظلم الشاعر بالنسبة للعناوين ذات السمة التاريخيّة فهي كثيرة وحاضرة، وليس مطلوب من الشاعر التوثيق التاريخيّ، لكنّ الشاعر استحضر تلك العناوين التاريخيّة لأهداف أخرى، فامتزجت تلك العناوين وذابت في الأغراض الرئيسة، ويوسف العظم حمل لواء الدفاع عن تاريخ أمَّته، ونافح عن حياضها واستوقف التاريخ في أكثر من مناسبة مستدعيا رمزا من رموزها أو حادثة من حوادثها أو شخصيَّة من أشخاصها. وشعره ونثره شاهدان على ذلك، وله في الموضوع التاريخيّ صولات وجولات ولربّما علا صوتها في نثره أكثر من شعره. ولكنَّه لم يغفل التاريخ؛ وما فيه من حياة الأُمَّة وحضارتها .

خلاصة: يخلص الباحث بعد هذه القراءة البحثيّة في عناوين يوسف العظم، إلى أنَّ العنوان يمتلك حضورا مميّزا، ويقف متسيِّدا للنصوص الشعريّة في مكان بارز؛ ويكشف العنوان عن الموضوع إمّا صراحةً أو ضمناً، وجاءت دلالة العنوان على المعنى في كثير من الأحيان واضحة .

يقف العنوان عند العظم لافتة إشاريّة وعلامة سيميائيّة؛ يدلُّ ويكشف عن الغرض الذي يريده الشاعر،ولم تستعصِ تلك العناوين في أغلب الأحيان على المتلقّي الجيّد، والعارف بالتضاريس لتلك المرحلة، وعند فرزها وجدنا باقات متنوّعة من الموضوعات؛ أعطيت كلَّ باقة اسما وهويّة خاصّة، الهويّة الدينيّة أو السياسيّة أو الوطنيّة أو الاجتماعيّة، وغيرها من الأغراض الأخرى. وقد يكشف

(2) عبد الله الخباص ، شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة ، 25 .

العنوان الواحد عن أكثر من موضوع كما هو واضح في الملحق وطيّ الدراسة، وقد تذوب الفروق بين الأغراض والمواضيع، حتّى يظنّ البعض وجود خلط وتعارض. وهنا يظهر دور الدارس في الكشف عن موضوع العنوان وغرضه في حالته المستقلّة.

نقرأُ تلك العناوين فتنعش ذاكرة المتلقّي وتحمله إلى ما يريد الشاعر، ومن خلال الجداول والأعمدة البيانيّة يتبيّن لنا أنّ يوسف العظم يمزج بين مختلف الأغراض، مع تباين واضح بينها من حيث نسبة حضورها، حيث كانت الغلبة للموضوع الدينيّ، ثمّ جاءت بقيّة الموضوعات بحضور متباين .

إنَّ أهمّ الموضوعات التي عالجها يوسف العظم وطغت على دواوينه هي الموضوعات الدينيّة والسياسيّة والوطنيّة؛ حتّى أنّها امتزجت في كثير من الأحيان ببعضها البعض، وتمثّل هذه الموضوعات أهمّ الموضوعات التي تعني الأمّة جمعاء، وتلامس همومهم، وتحرّك ضمائرهم؛ لذلك وجدنا يوسف العظم يسعى وبشتّى الطرق والوسائل إلى لفت الانتباه إلى تلك الموضوعات عبر العتبة الأولى للنصّ وهي العنوان .

ولم تغِبِ الجماليّة عن عناوين يوسف العظم؛ بل نجده يتعمّد اختيار أجمل العناوين صياغة، وأشدّها إغراءً وغوايةً ويضعها على رأس الديوان كعنوان خارجيّ، وكذلك الأمر مع العناوين الداخليّة؛ كي يكون العنوان عامل جذب واستقطاب للقرّاء .

جاء العنوان في شعر يوسف العظم لافتة دلاليّة ذات طاقات مكتنزة، ومدخل أوليّ لا بدَّ منه لقراءة النصّوص، ومثّل العنوان مجموعة العلامات اللسانيّة التي تدرج على رأس نصٍّ لتحدّده، وتدلّ على محتواه، وتغري الجمهور المقصود بقراءته .

عالج الدارس في هذا الفصل الموضوعات والأغراض التي عكستها عناوين يوسف العظم، فكشفت العناوين عن موضوعات وأغراض مختلفة. سيعالج الدارس في الفصل القادم بعض الظواهر السياقيّة والبلاغيّة، للكشف عن مزايا العنوان من حيث اللغة وما يرافقها من دلالات في الأسلوب، وحسب السياق. سيبحث الدارس في الفصل القادم بلاغة العنوان.

الفصل الثالث

العنوان وبعض الظواهر السياقيّة والبلاغيّة

التمهيد : العنوان والظواهر السياقيّة

المبحث الأوّل : العنوان وصور تأليف الجملة

المبحث الثاني : العنوان وظاهرة الحذف والذكر

المبحث الثالث : العنوان وظاهرة التقديم والتأخير

المبحث الرابع : العنوان وظاهرة التعريف والتنكير

المبحث الخامس : العنوان وظاهرة التكرار

التمهيد : العنوان والظواهر السياقيّة

ترتكز الدراسات النقديّة الحديثة على ربط التراكيب اللفظيّة بعلم المعنى، وتتبع أهميّة الدرس السيميائيّ في قدرته على الكشف عن تلك الدلالات بعد رصدها، وتشريحها ضمن نظام اللغة العامّ، فنجد اتّحادا بين مستويات اللغة المختلفة لتحلّل اللوحة الكلاميّة ضمن لوحات أصغر.

ويكشف العنوان عن ظواهر سياقيّة مختلفة، ويتكوّن من صور تعود إلى ظواهر بلاغيّة ونحويّة، وتتّجه الدراسات النقديّة نحو دراسة الروابط والعلاقات والدلالات للتراكيب اللغويّة، وقد يمثّل الدرس السيميائيّ ضالّة للباحثين؛ لأنّه يكشف عن كثير من تلك الدلالات، وخاصّة بعد رصدها وبيان أحوالها .

إنّ الظواهر السياقيّة المختلفة تخضع للمساءلة السيميائيّة، وهذا ما سأكشفه في هذا الفصل، وأنطلق في توضيح هذا الأمر من أنّ السيميائيّة تكشف عن العلاقة بين علم الدلالة وعلم اللغة؛ وفي أنّها تمثّل جزءاً أصيلاً من الدراسات البلاغيّة وفرعا عليها. وسوف أبحث عن سيميائيّة العنوان ودلالته من خلال الظواهر البلاغيّة والنحويّة والتركيبيّة المختلفة .

سأقوم برصد تلك الظواهر وكشف كُنهها؛ وبما يتوافق مع الدرس السيميائيّ؛ وبذلك يتّجه البحث في اتجاهين: الأوّل : رصد تلك الظواهر وإحصائها، والثاني: بيان دلالاتها. وهنا تلتقي السيميائيّة مع الأسلوبيّة وتستفيد منها .

سيمياء الخطاب النقدي والبلاغيّ

يقول عبد القاهر الجرجاني :" اللغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه " [1]

"تعتمد السيميائيّة في تحليلها للنصوص على متابعة حركة الدوالّ في النّصّ لا المدلولات، والوصول إلى قيمة العلامة وفاعليتها في النّصّ، والأثر الدلاليّ الذي تحدثه فيه، ونقد النّصّ العربيّ

([1]) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، 383 .

القديم قائم على طبيعة تحليل العلاقة بين اللفظ والمعنى، أي بين(الدال والمدلول) للوصول إلى الدلالة، ولم يكن ذلك ميدان اشتغال النّقاد واللغويّين فحسب، بل تعدّاه إلى ميادين أخرى " [1]؛ وتسعى السيميائيّة بناء هيكلها من خلال وضع بعض الأسس التي ترسم لها خصوصيّتها في الميدان النقدي، وقد تشكّلت تلك الخصوصيّة في ثلاثة أبعاد (البعد الدلاليّ،البعد التركيبيّ،البعد التداوليّ) .

" وقد قدّمت هذه الأبعاد منهجا للفهم الدلاليِّ للنَّصِّ من منظور سيميائيّ، وعملت بوصفها آليات لتحليل البنى المكوّنة للخطاب النّصِّي، وقد انبثقت من تلك الأبعاد ثلاث علاقات :

1-العلاقة بين الدلائل المختلفة على صعيد التركيب؛ وهي تدخل الميدان النحويّ، وتسمّى علاقات (سيمو – تركيبيّ) .

2- العلاقة بين الرسالة والمرسل والمتلقّي على صعيد التداول؛ وهي تدخل الميدان التواصليّ، وتسمّى علاقات (سيمو – تداوليّ) .

3- العلاقة بين الرسالة والواقع على صعيد الدلالة؛ وهي تدخل الميدان الواقعيّ، وتسمّى علاقة (سيمو– دلاليّ) .

وتتشكَّل هذه العلاقات الثلاث في التحليل السيميائيِّ؛ لتكشف عن فاعليّة حقل الخطاب وبيان نوعه واستمراريّته " [2]

يعرِّف محمد سعد الله تحت عنوان " **سيمياء التأويل التشبيهيّ** " التأويل: "بأنّه الكشف عن الدلالة الخفيّة، والعودة إلى أصل الشيء بغية الوصول إلى هدف وغاية من النّصّ الذي يخضع للتأويل، ويرى أنّ التأويل عملية التحويل العلاميّ إلى اللبّ عن طريق تفسير بعض الشفرات الموجودة على المستوى الظاهريّ للنّصّ؛ وبذلك يغدو التأويل مفهوما عقليّا يتعامل مع النّصِّ بالمعنى السيميائيّ الشامل وفق مفاهيم (التداول، الدلالة، الاتصال)" [3]

([1]) محمد سالم سعد الله ، مملكة النّصّ ، 2 .
([2]) محمد سالم سعد الله ، م . ن . ، 26 .
([3]) محمد سالم سعد الله ، م . ن .، 78 .

إنّ سموَّ الخطاب البلاغيّ في اللغة العربيّة يؤهّله للمحاكمة السيميائيّة، وما السيميائيّة إلا فرع من فروع البلاغة ، والعنوان وجه تتكّشف محاسنه بين معادلة الدالّ والمدلول كما نادت بها المدرسة الفرنسيّة التي بدأت مع (سوسير). ثمَّ طوَّرها (رولان بارت) .

سأفرد هذا الفصل لبعض الظواهر السياقيّة المتعلّقة بالعنوان، وأحلّلها سيميائيّا، ومن هذه الظواهر: صور تأليف الجملة (أنماط العنوان – الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة –)، ظاهرة الحذف، ظاهرة التقديم والتأخير، ظاهرة التعريف والتنكير، ظاهرة التكرار. ومن باب الإضافة سأحاول البحث عن الدلالة لتلك الظواهر البلاغيّة .

المبحث الأوّل : العنوان وصور تأليف الجملة

" يظهر تأليف الجملة العربية بصورتين تبعا للمسند: فعل مع اسم, واسم مع اسم. وبالتعبير الاصطلاحي فعل وفاعل أو نائبه, ومبتدأ وخبر..., وكلّ التعبيرات الأخرى إنّما هي صور أخرى لهذين الأصلين" [1]

وتنقسم الجملة العربيّة إلى نوعين: الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة, ويوجد فرق بين هذين النوعين من حيث الدلالة, وهذا ما يكشف عنه السامرائيّ عند حديثه عن الفرق بين الصورتين للجملة العربية, الجملة التي مسندها فعل والجملة التي مسندها اسم, فيقول: "إنّ الجملة التي مسندها فعل إنّما تدل على حدوث تقدّم الفعل أو تأخّر, والجملة التي مسندها اسم تدلّ على الثبوت..., فإذا أردت الدلالة على الحدوث جئت جملة مسندها فعل تقدّم أو تأخّر, وإذا أردت الدلالة على الثبوت جئت جملة مسندها اسم..., وكلا التعبيريّن بدرجه واحدة بالنسبة إلى المخاطب, فكلاهما إخبار أوليّ, والمخاطب خالي الذهن عن الموضوع, ويسمّى هذا الضرب من الخبر "الخبر الابتدائيّ " [2]

يتشكّل العنوان لدى العظم حسب الصورتين السابقتين ويتبع النظام اللغويّ والتركيبيّ في اللغة العربيّة, لذلك تنقسم العناوين لدى الشاعر إلى جمل إخباريّة وإشهاريّة، إمّا أن تكون فعليّة أو اسميّة.

---

(2) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 / 15 .
([2]) فاضل السامرائي ، م . ن . ، 1 / 15 +16 .
(4) ينظر : الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 96 .

وتتنوّع البنى التركيبيّة في عناوين يوسف العظم الداخليّة والخارجيّة وحين نتتبّع العناوين لدى الشاعر, يمكن أن نصنّف تلك العناوين السابقة إلى الأنماط الآتية :

1. نمط : اسم

ومن العناوين التي تمثّل هذا النمط لدى الشاعر:**(الغوث)**, **(الوضوء)**,**(الصلاة)**,**(الهجرة)**, **(الكعبة)**...وغيرها، حيث يمثّل الاسم الذي يمثّل صفة ملازمة للموصوف هنا بؤرة الإخبار فجاء مفردا،" والعنوان بالاسم يبرّر تبئير السرد والإخبار عنه بما يستحقّ " [1]

2. نمط : مركب اسمي

شهيد	الكرامة
حرب	الكلام
أمّة	الأصنام
نبضات	القلوب
فتاة	القدس
ثورة	المساجد

يلاحظ في هذا النمط أنّ المؤشّر التجنيسيّ قد يكون في أوّل المركّب أو في آخره ، لكنّ أغلب الكلمات التي تعيّن موضوع / محور السرد ترد عادة في نهاية المركّب بوصفها مسندا إليها .[2]

3. نمط: اسم + حرف عطف + اسم

اسم	حرف عطف	اسم
الرضاع	و	حليمة السعدية
أخ	و	وفاء
أنسام	و	أنغام
برعم	و	رماح
حقائق	و	أوهام
المولد	و	عام الفيل

([1]) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 96 .

([2])ينظر : الهاشم أسمهر ، م . ن . ، 96 .

تتجلّى في هذا النمط التركيبي علاقة التابع بمتبوعه، وتتكشّف علاقة الاسمين ببعضهما مع وجود حرف العطف . يقف الاسم الأوّل ليكون مركز الإخبار، ويتبعه الاسم الثاني ليزيل الإبهام، وليتمّ به المعنى .

يكشف هذا النمط عن علاقات متنوعة بين الاسمين؛ فالعناوين**(الرضاع وحليمة السعديّة)** و**(أخ ووفاء)** و**(أنسام وأنغام)** تقوم هذه العناوين على المواءمة والترابط والتوضيح علاقة السابق باللاحق. بينما يقوم العنوانان**(برعم ورماح)** و**(حقائق وأوهام)** على علاقة الضدّ للضدّ، وللأمر ونقيضه؛ وفي النوع الثاني إغراء واستفزاز أكثر من النوع الأول .

4. نمط : مركّب اسمي + مركّب اسمي

مركب اسمي	مركب اسمي
ديار الإسلام	دياري
غاية الأبطال	إحدى الحسنيين

يتساوى في هذا النمط المبتدأ والخبر، والاسم المتقدّم هو المعني بالإخبار عنه بما يليه، فكان الاسم المتقدّم صاحب الأهمية والعناية. ويكشف التركيب الإضافي عن حاجة المضاف للمضاف إليه. ويعكس هذا النمط إيقاعا موسيقيا خاصّا؛ ينتج هذا التناغم الصوتي من تتابع المركبين، وللعلاقة التي تربطهما ببعض .

5. نمط : فعل + اسم + اسم

فعل	اسم	اسم
رجم	ت	إبليس
زار	نا	البابا
ألقي	ت	شباكي
حي	و	المثلث

يتصدّر هذا النمط التركيبيّ الفعل، وللفعل دلالات مختلفة، يعكسها نوع الفعل وزمنه، وتختلف الجملة الفعليّة عن الجملة الاسميّة من حيث الثبات والحركة . يعكس هذا النمط سيطرة الحدث، وهيمنته، والتركيز على الفعل .

6. نمط : حرف جرّ + اسم مركّب

في	رحاب الأقصى
في	رثاء علي
على	خطا حسان
على	شاطئ بحيرة
إلى	ذات الخمار المسلمة

يحمل هذا النمط التركيبي إشارات ومقاصد؛ يستدلّ عليها من دلالة استخدام حروف الجرِّ المختلفة ، ويؤكّد هذا النمط أهميّة الاسم المركّب ويحدِّد مكانته وأهميته ،ويخصّصه ويحصره.

تكثر الأنماط التركيبيّة للعناوين عند يوسف العظم وما عرضناه لا يمثّل إلا عيّنة صغيرة، ولكن مع اختلاف هذه الأنماط إلا أنّها تنتمي إلى صورتين أو نوعين :الاسميّة أو الفعليّة.

صور تأليف العناوين الخارجيّة(الرئيسيّة)

صدر للشاعر يوسف العظم تسعة دواوين بعناوين مختلفة، وبأنماط تركيبيّة متنوّعة، نجد ثمانية من هذه العناوين تنتمي إلى صورة المسند (اسم مع اسم، أي أنّها جمل اسميّة) وهذه الدواوين هي: **(في رحاب الأقصى)، (عرائس الضياء)، (قناديل في عتمة الضحى)، (الفتية الأبابيل)، (قبل الرحيل)، (على خُطا حسّان)، (أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)،(قطوف دانية)**، ويبقى الديوان التاسع المتبقّي ليمثّل النوع الثاني من صور المسند(فعل مع اسم) وهو عنوان الديوان**(لو أسلمت المعلقات)**، ويصلح في عنوان الديوان السادس أن يتبع النوع الثاني بتقدير فعل محذوف ويقدّر العنوان:على خطا حسّان أسير أو بالعكس، وتحت هذا العنوان يخطّ الشاعر طريقه بيده مقتديّا بشاعر الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) حسّان بن ثابت الأنصاريّ؛ وهكذا تكون نسبة حضور النوعين تمثّل(سبعة إلى اثنين)؛ وهذا يؤكّد على حضور متميّز للعناوين التي تتكوّن من الجملة الاسميّة (مسندها اسم) .

نخرج من هذا الرصد لصور تأليف العنوان للعناوين الخارجيّة(الضامّة) إلى هيمنة الجمل الخبريّة، وسيطرة الأسماء والمركّبات الاسميّة، ما يضفي ثباتا وسكونيّة وتذويتا على العناوين[1]. ودلَّ استخدام الشاعر للاسم المسند والجملة الاسميّة على الثبوت الذي يعكسه الاسم وهذه هي السمة التي تعكسها العناوين الخارجيّة .

صور تأليف العناوين الداخليّة :

كشفت العناوين الخارجيّة عن غلبة لصورة المسند الاسميّ (الجملة الاسميّة)، وبعد رصد العناوين الداخليّة وعلى كثرتها وجدناها تتّفق مع العناوين الخارجيّة وفيما يأتي بيان ذلك :

جاءت العناوين التي مسندها فعلٌ واحداً وثلاثين عنوانا، مثّلت عتبات لإحدى وثلاثين قصيدة من أصل ثلاثمئة وقصيدتين (302)، وبنسبة مئويّة تقرب من (10%)؛ جاء مسند هذه العتبات العنوانيّة أفعالا مختلفة تحمل دلالة الأزمنة التي تمثّلها، وتحمل دلالة الحركة والتجدّد. وهذه عيّنة من هذه العناوين :

العنوان	الديوان	رقم الصفحة
رجمت إبليس	في رحاب الأقصى	60
لو تداعى قومي لساح جهاد	في رحاب الأقصى	62
مزّقوا أكبادنا	في رحاب الأقصى	71
حيَّ على الجهاد	في رحاب الأقصى	91
وتقول لا علم لي ولا خير	عرائس الضياء	127
وألقيت شباكي	عرائس الضياء	146
حيّوا المثلث والجليل	قناديل في عتمة الضحى	212
وسطّري صفحة للمجد زاهية	قناديل في عتمة الضحى	218
وسقطَ الصنم	قبل الرحيل	310
أرأيتم كيف تنداح الدوائر	قبل الرحيل	316
لله تذرف العينان	على خطا حسان	338
لن تذلّوا نفسي	على خطا حسان	358
ذلَّ فينا النّهي..	قطوف دانية	421

([1]) ينظر: الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 100 .

ودّعوني	قطوف دانية	434

وتأتي العناوين في صورتها الثانية؛ العناوين التي مسندها اسم لتشمل بقيّة العناوين الداخليّة، وعددها مئتان وواحد وسبعون عنوانا بنسبة(90%)من المجموع العام. نستعرض عيّنة من هذه العناوين في الجدول الآتي :

العنوان	الديوان	رقم الصفحة
المجاهد الحق	في رحاب الأقصى	27
بسمة الشهيد الصامت	في رحاب الأقصى	42
الله أكبر	في رحاب الأقصى	99
رسالة من شهيد	عرائس الضياء	120
القمر والبحر	عرائس الضياء	148
هويّة الأقصى لمن أضاع هويته	قناديل في عتمة الضحى	158
شقيق الروح	قناديل في عتمة الضحى	183
ثورة المساجد	الفتية الأبابيل	220
الرحلة الملغاة	الفتية الأبابيل	231
الشقيقة المسلمة لمعلقة لبيد	لو أسلمت المعلقات	248
حدائق الشعر	قبل الرحيل	291
سيّد القرارات	قبل الرحيل	301
آمال وآلام	على خطا حسان	349
الزنبقة الشامخة	على خطا حسان	349
أنا يا قوم مسلم	**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم**	396
نشيد الريحان	**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم**	398
الأخوّة في الله	قطوف دانية	401
شاعر يرثي نفسه	قطوف دانية	430

يجد القارئ لعناوين يوسف العظم الداخليّة سيطرة للجمل الخبريّة، وقد تنوّعت الخطابات العنوانيّة الداخليّة في صيغها التركيبيّة التي تراوحت بين البساطة والتعقيد. وآل الشاعر إلى أن يراكم الأسماء والمركّبات الاسميّة والحروف على اختلاف صيغها؛ في سعي حثيث إلى تكريس ملمح التميّز في الأشخاص والفئات والأزمنة والأمكنة، وقد استثمرت هذه العتبات كذلك التوازنات الصوتيّة والتركيبيّة والتشاكلات الدلاليّة؛ لما توافره من استراتيجيّات خطابيّة تتصيّد الحواسّ وتستميلها، كما هيّمن الطابع الخبريّ والاسميّ على هذه العناوين؛ ما أضفى عليها ثبوتا وسكونيّة. وقد امتازت كثير من العناوين بالمباشرة في الخطاب.

وجد الشاعر في الجملة الاسميّة الدالّة على الثبات ضالّته، فوسم بهذه الصورة التأليفيّة عناوين دواوينه(العناوين الخارجيّة) وكذلك كثيراً من عناوين قصائده(العناوين الداخليّة). ولا ننسى أنّ يوسف العظم درس اللغة العربيّة وآدابها، وهو يدرك الفرق بين دلالة الجملة الاسميّة ودلالة الجملة الفعليّة .

المبحث الثاني : العنوان وظاهرة الحذف

تعدُّ ظاهرة الحذف ظاهرة لغويّة بحتة، تشترك فيها كل لغات البشر، إلا أنّها في بعض اللغات تظهر بشكل واضح يميّزها عن اللغات الأخرى، و لعلّ ما يميّز الحذف في اللغة العربيّة عمّا سواها من اللغات هو ما تتميّز به اللغة العربيّة من ميل إلى الإيجاز،وهي خصيصة من خصائصها؛ ففي اللغة العربيّة كثيرا ما يحذف من النّصّ ما يقتضيه معنى النّصّ، كحذف جواب لولا، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وحذف الصفة التي يوجد في النّصِّ ما يقتضيها أو يدلُّ عليها،وقد يحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، ويحذف من الأواخر لدلالة الأوائل، ويحذف من الأوائل والأواخر معا؛ لأنّ في كلٍّ منهما ما يدلّ على المحذوف من صاحبه. [1]

ويميل ناطقو اللغات الإنسانيّة إلى حذف بعض العناصر المكرّرة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن السامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة، فكثيرا ما نعمد في أحاديثنا إلى حذف كثير من العناصر التي تتكرّر في الكلام؛ خاصّة تلك التي تستطيع الاستدلال عليها، وفهم العبارات المحذوفة معتمدين على القرائن .

([1]) عبد الرحمن حسن حنبكة ، قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ ، 252 .

تعريف الحذف :

الحذف لغة : القطع والإسقاط [1] وفي لسان العرب: " حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه والحجَّام يحذف الشعر ذلك [2]. وعكس الحذف الذكر .

الحذف اصطلاحا :" إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل . وأمّا قول النحويّين: الحذف لغير دليل، ويسمّى اقتصارا؛ فلا تحرير فيه ؛ لأنّه لا حذف فيه بالكليّة" [3] وهو:" تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى" [4] ، وهو: " إسقاط الفضول عن القول " [5].

وقد نبَّه سيبويه إلى وقوع الحذف في اللغة العربيّة سواء في الصيغ أو التراكيب وقد بيَّن آليّة معرفة مواقع المحذوف، فقال: "اعلم أنّهم ممّا يحذفون الكلم، وإنّ أصله في الكلام غير ذلك"[6] ويعدّ سيبويه الحذف عارضا يعرض في الكلام، وأنّ الأصل أن يرد الكلام بغير حذف وهو ما يتّفق عليه النّحاة جميعا. ويعلّل سيبويه سبب استخدام الحذف بكثرة الاستعمال فيقول في كتابه :"ما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير" [7]

ويرى ابن جنّي أنَّ سمة الإيجاز التي تتسم العربيّة بها، وتعدّ من خصائصها الأصيلة تجعل الحذف واردا فيقول :"واعلم أنّ العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد، ألا ترى أنّها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها " [8]

ونجد زبدة القول فيما قاله عبد القاهر الجرجاني حول ظاهرة الحذف وأهميّتها؛ وجعلها من أبواب المجاز. يقول عبد القاهر الجرجاني:" هذا باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر،

([1]) الجوهري ، الصحاح ، 1 / 120
([2]) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حذف . بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3 / 102 .
([3]) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، 3 / 102 .
([4]) ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، 1 / 243 .
([5]) المعلم عبد الحميد الفراهي ، أساليب القرآن ، 25 .
([6]) سيبويه ، الكتاب ، 1 / 24+25 .
([7]) سيبويه ، م . ن . ، 2 / 130 .
([8]) ابن جنّي ، الخصائص، 1 / 83 .

شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطقz، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تبن " [1]

يقع الحذف في الأسماء والأفعال والحروف ويقع في الجمل أيضا، فيحذف المبتدأ والخبر، وتحذف الصفة الاسم الموصوف ويحذف الحال ويحذف المفعول به وغيره من الأسماء ويحذف الفعل في بعض الأساليب النحوية مثل: حذف فعل التحذير والاختصاص، وتحذف الحروف والأدوات مثل حذف أداة النداء، وحروف الجر .

إنّ ظاهرة الذكر والحذف لها أصولها عند علماء النحو والبلاغة، وأنا في هذا المقام سأتجنّب الشرح والإفاضة بما اتّسعت به كتب السابقين والمحدثين، ولكنّنا نقرّ بتلك الظاهرة وما لها من أثر في المعنى، وما تحمله من دلالات مختلفة، سنكشف عنها خلال عناوين الدواوين والقصائد الشعريّة ليوسف العظم، حيث أنتقل من التنظير للظاهرة إلى التطبيق عليها .

العناوين الخارجيّة ليوسف العظم وظاهرة الحذف

أستطلع تحت هذا العنوان ظاهرة الذكر والحذف في العناوين الخارجيّة (عناوين الدواوين التسعة) في محاولة للكشف عن مدى حضور تلك الظاهرة، وما تعكسه تلك الظاهرة من دلالات تنتج عن امتزاج علم النحو والبلاغة بعلم المعنى؛ وتفصيل الأمر كما يأتي :

يقوم العنوان الأول(**في رحاب الأقصى**) على حذف المسند إليه(المبتدأ)، ويتّسع المقام لتقدير المحذوف إذا أخذنا العنوان مجرّدا؛ متجاهلين تقدير الشاعر كما جاء في مقدمة الديوان .

في رحاب الأقصى تتلوّن الصور،وتتعدّد المواقف، وتتجلّى الروحانيّات، فكم نبيّ مرَّ على رحابها، وكم عالم تفيَّأ ظلالها، وكم مجاهدٍ رفع لواء الدفاع عن مقدّساته، وكم عابدٍ تهجّد في محاريبه. وكم دمعة سحّت من عيون المريدين والمتعبّدين؛ في رحاب الأقصى يتملّكك المكان، ولا تملك فيه غير الإذعان، في رحاب الأقصى تتفجّر الذكريات فيطويك المكان والزمان .

([1]) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 104 .

يأتي الحذف في هذا العنوان الضامّ لأكثر من غرض، فبالإضافة إلى غرض الاتّساع نجد التفخيم والإعظام لما فيه الإبهام، ونجد الإيجاز والاختصار الذي يكسب الجملة قوّة؛ ويدفع القارئ إلى التشويق في تقدير المحذوف، ويغري القارئ لقراءة الديوان.

ويقدّم الشاعر شبه الجملة التي تفيد الظرفيّة المكانيّة للحصر والتخصيص؛ وليصرف انتباه واهتمام المتلقي إلى أهميّة تلك الرحاب الطاهرة المقدّسة، مع كلِّ ما تحمله من ذكريات وأحداث .

ويعتمد الديوان الثاني(**عرائس الضياء**) على الحذف للمسند أو المسند إليه، عند تقدير قصائدي عرائس الضياء أو عرائس الضياء قصائدي، يعكس هذا العنوان المختزل اختيارات كثيرة أتاحها الحذف لأحد ركني الجملة الاسميّة، وعكس العنوان دلالاتٍ وأغراضاً قصد الشاعر منها الإيجاز والاختصار في الكلام، كما يفضي هذا الحذف إلى الاتّساع . ويجد القارئ نوعا من المشاكسة وتعدّد الافتراضات، وسبّب ذلك خلخلة في توقّعات القارئ.

ويأتي الديوان الثالث(**قناديل في عتمة الضحى**) كسابقيه معتمدا على حذف ركن أصيل من أركان الجملة الاسميّة ألا وهو المسند إليه(المبتدأ) والمقدّر بقصائدي قناديل في عتمة الضحى؛ يعلي الشاعر في هذا العنوان من قدر الشعر الإسلاميّ في زمن الإعلام الهابط والكلمة الرخيصة . فيشعرنا الحذف بلهفة ولكن بمذاق خاصّ .وتتجسّد فاعليّة أسلوب الحذف هنا في خلق توقّعات غير منتظرة للقارئ.

إنّ الداعي إلى حذف المسند إليه في هذا العنوان يأتي تحت غرض الاحتراز عن العبث والمراد بالاحتراز عن العبث:"إنّ ما قامت عليه القرينة وظهر عند المخاطب يعدُّ ذكره عبثا من حيث إنّه يقلّل من قيمة العبارات بلاغيّا"[1]ولهذا الحذف غرض آخر وهو تعجيل المسرّة بالمسند؛ وهذا الأمر لداعي إنشاء المدح. وتتمثّل فاعليّة الحذف في قدرتها التأثيريّة في القارئ.

تواجه القارئ هنا فاعليّة أساسيّة للحذف، وهي فاعليّة بصريّة، حيث تحضر الدهشة وعدم التوقّع على المستوى البصري، وزاد من جمال العنوان الاستعارة الضديّة التنافريّة، إضافة إلى ايحائيّة العنوان.

([1]) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، 133 .

وينقلنا الشاعر في ديوانه الرابع إلى أرض الرباط والجهاد، وينقل لنا أحداث الانتفاضة المباركة عام (1987م)، ويختزل الشاعر الأحداث في عنوان موجز(**الفتية الأبابيل**)؛ والعنوان ينقصه ركن أساس ألا وهو المسند(الخبر)، وتقدير الخبر المحذوف ليس بالأمر الصعب، ويأتي الحذف لغرض دلاليّ وهو الاحتراز عن العبث والقصد إلى الإيجاز بعدم ذكر ما لا ضرورة لذكره للعلم الواضح بالمحذوف؛ وهذا من شأنه أن يكسب الأسلوب قوّة ويضفي عليه جمالا .[1]

ولا يخلو الديوان الخامس(**لو أسلمت المعلقات**) من ظاهرة الحذف، فحذفت جملة جواب الشرط؛ والغرض من الحذف هو التهويل والتفخيم، ولدلالة أنّه شيء لا يحيط به الوصف، أو العلم المسبق بالجواب المحذوف الذي سقط من الجملة اختصارا ،والجملة لا تخلو من وجود التحدّي، وروح المغامرة. ويكشف الشاعر عن تعظيم للمسند إليه المذكور " المعلّقات " لذلك لجأ إلى معارضة تلك القصائد مع ما تحمله من قيم فنيّة وشعريّة .

ويأتي الديوان السادس تحت عنوان(**قبل الرحيل**)، عنوان يتسيّد صفحة الغلاف امتثالا لوصية الشاعر، يقوم العنوان الضامّ على الحذف لأحد أركانه، والركن المحذوف محدّد بقصائد الشاعر وأشعاره. ويأتي الحذف لداعي الاحتراز عن العبث والقصد إلى الإيجاز. وليس ثمّة مبهم في العنوان حتّى يبين، بل يجد المتتبّع لمسيرة يوسف العظم الشعريةّ أن الشاعر أراد الإشعار باللهفة وأنّ الزمن يتقاصر عن ذكر المحذوف مع العلم الواضح بالمحذوف وخصوصا في عنوان الديوان السادس .

ويعكس الديوان السابع (**على خطا حسّان**) احتراما وتقديرا من الشاعر يوسف العظم لشاعر الرسول حسّان بن ثابت، فيخطّ بيده عنوانا يتلمّس فيه طريقه ويحذف من العنوان المسند إليه المبتدأ، لأنّ الجملة كما هي ناقصة في شرع النحويّين ويجب تقدير المسند إليه لوجود القرينة اللفظيّة والدليل النحويّ، وذكر الشاعر ضمن جملة الخبر من يفخر به ويقتدي به، ويحذف الشاعر المبتدأ لغرض الإيجاز والاختصار مع العلم الواضح بالمحذوف، ويعكس الحذف التفخيم والإعظام لما فيه إبهام .

([1]) عبد العزيز عتيق، علم المعاني ، 140 .

وقدّم الشاعر شبه الجملة من أجل الحصر والتخصيص ؛ وليبيّن الطريق الذي سيسير عليه، والدرب الذي سيسلكه وهو بكامل إرادته. ودلَّ حرف الجرِّ على الاستعلاء، ودلّ على النهج الذي اختاره الشاعر، والاستعلاء هنا يفيد التواضع والتقليد، ولا يفيد التكبّر والخيلاء .

ويحذف المسند إليه (المبتدأ) من العنوان الرئيس للديوان الثامن(**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم**)، والدليل النحويّ متوفّر، والقرينة اللفظيّة موجودة، يشير الشاعر بإصبع خفيّ إلى المبتدأ المحذوف وكأنّه يقول هذه أناشيد الجيل المسلم؛ فدلّ الحذف على أنّ الشاعر يقوم باختبار تنبّه السامع، ودلّ على كون المحذوف (المسند إليه) معيّنا معلوما حقيقة. ومن الأغراض التي يعكسها الحذف للمسند إليه في هذا العنوان هو " اتّباع الاستعمال الوارد على تركه " [1]

يأتي في ختام الأعمال الشعريّة ليوسف العظم الديوان التاسع تحت عنوان(**قطوف دانية**) عنوان يقوم على الحذف لأحد أركان الجملة الاسميّة (المسند إليه) والحذف هنا لدواع بلاغيّة مع وجود الدليل على الحذف؛ حيث أنّ جملة العنوان لا يحسن السكوت عندها إلا إذا قدّر الركن المحذوف؛ وهو أمر يعكس الإيجاز والاختصار لذكر المحذوف لداعي تفخيمه وتعظيمه مع العلم الواضح به. ونجد في الحذف تشويقا وإغراءً للمتلقّي؛ ممّا يدفعه إلى قراءة الديوان وتقليب صفحاته ليقطف من قطوفه الدانية، ويقف حقيقة على المتون الشعريّة وما تحمله من رسائل ومضامين .

يجد القارئ لعناوين يوسف العظم الخارجيّة هيمنة لظاهرة الحذف لأحد ركني الجملة، ويعكس وجود هذه الظاهرة دلالات مختلفة، ويتلمّس المتلقّي ما لهذا الأسلوب من تجليّات بلاغيّة تمثّلت في التفخيم والتعظيم والاتساع والتنبيه والتشويق لمعرفة المحذوف .

تمثّل ظاهرة الحذف سمة ظاهرة في العناوين الخارجيّة ليوسف لعظم، حيث جاءت العناوين التسعة معتمدة على الحذف في أحد أركانها الأساس، والتي يستلزم حذفها دليل وقرينة، ولا يتمّ إسقاطها من الجمل إلا ضمن شروط وأسباب أقرّها علماؤنا السابقون .

يخالف الشاعر الأصل وهو الذكر ويلجأ إلى الحذف ليجد فيه ضالّته، وجد الشاعر في الحذف قوّة وجمالا، وأدرك الشاعر ما لهذا الأسلوب من تأثير على المتلقّي، فاقتضى المقام للعناوين

([1]) ينظر : أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، 91+92 .

الخارجيّة أن تأتي مرآة لثقافة الشاعر، وكشفت عن معرفة الشاعر بالأصول النحويّة؛ وما تحمله من دلالات تعطي الجملة رونقا وجمالا، فاستخدم الشاعر ظاهرة الحذف ليحقّق بها أهدافه التي رسمها، وأظنّه نجح في ذلك، فالعناوين الخارجيّة للشاعر وبما فيها من حذف وإيجاز وتكثيف وإيحاء فإنّها تستوقف المتلقّي وتشاكسه وتغريه ليقرأ ما تحويه تلك الدواوين.

ظاهرة الحذف والذكر في العناوين الداخليّة

ننتقل بعد تلك الجولة مع العناوين الخارجيّة إلى العناوين الداخليّة، عناوين القصائد، نرصد ظاهرة الحذف والذكر، ونبحث في دلالاتها وأغراضها. ومقتضيات أحوالها. ونبحث عن السمة التي تعكسها الظاهرة حسب حضورها .

تتبّعت ظاهرة الحذف والذكر في العناوين الداخليّة، وقمت بعمليّة إحصائيّة من أجل رصد العناوين التي تقوم على ذكر المسانيد وتخلو من ظاهرة الحذف؛ ولبيان العناوين التي تقوم على الحذف، وبعد عمليّة الفرز لتلك العناوين وجدت أنّ عدد العناوين التي تقوم على الذكر ثمانون عنوانا من أصل ثلاثمئة عنوان وعنوانين، بنسبة مئويّة(27%)، أمّا العناوين التي تقوم على الحذف فهي مئتان واثنان وعشرون عنوانا، سجلت حضورا بنسبة(73%)، واعتمادا على هذه الأرقام والإحصائيّات سأقوم بالبحث عن أسرار هذه الظاهرة اللغويّة، وسأكشف عن جماليات تلك الظاهرة من خلال إيجاد الروابط المشتركة بين علم النّحو وعلم الدلالة .

يمثل الجدول الآتي عيّنة للعناوين التي تعتمد على ظاهرة الذكر؛ تلك الظاهرة التي تمثّل الأصل في تركيب الجمل، وسأحاول الكشف عن بعض الأسرار البلاغيّة لتلك العناوين :

العنوان	الديوان	الصفحة
ديار الإسلام دياري	في رحاب الأقصى	46
رجمت إبليس	في رحاب الأقصى	60
مزقوا أكبادنا	في رحاب الأقصى	71
أين سيف لا يقهر الهوان ؟	في رحاب الأقصى	102
وتقول لا علم لي ولا خبر	عرائس الضياء	136
وألقيت شباكي	عرائس الضياء	146

هجرنا زيف دنيانا	قناديل في عتمة الضحى	171
جَنَّة الدنيا جميلة	قناديل في عتمة الضحى	180
يا سرايا الجهاد	الفتية الأبابيل	216
فالطفل فينا مارد جبّار	الفتية الأبابيل	223
الشقيقة المسلمة لمعلّقة عنترة	لو أسلمت المعلقات	255
كيف نحيا يا قوم من غير قدس	قبل الرحيل	299
وسقط الصنم	قبل الرحيل	310
معان بلدة العزّ	قبل الرحيل	319
لله تذرف العينان	على خطا حسان	338
هل أضاعوني حقا	على خطا حسان	362
لا يضير الكريم كيد الأعادي	على خطا حسان	372
الله ربّي	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	385
أنا يا قوم مسلم	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	396
حمدت الله أنّني في أمان	قطوف دانية	431
ودّعوني	قطوف دانية	434

يتجلّى الذكر في الجمل العربيّة الفصيحة تبعا للأصل ولدواعٍ بلاغيّة مختلفة، ويرصد عبد العزيز عتيق أهم الدواعي والأغراض التي ترجّح ذكر المسند إليه على حذفه وهي [1] :

1–ضعف التعويل والاعتماد على القرينة : أي يكون ذكر المسند إليه للاحتياط؛ لأنّ فهم السامع من اللفظ أقرب من فهمه من القرينة؛ إمّا لخفائها أو لعدم الوثوق بنباهة السامع، ومن العناوين التي تعكس هذه الفائدة البلاغيّة ذكر المسند إليه في العنوان(**ديار الإسلام دياري**) وفي(**وسقط الصنم**) وفي(**معان بلدة العزّ**)؛ فالذكر في هذه العناوين وغيرها أقوى من الحذف، وأتمّ للمعنى لضعف التعويل والاعتماد على القرينة مهما كانت؛ ولتوضيح الأمر نطبق على العنوان "**معان بلدة العزّ**" فالشاعر يعتز بمدن وطنه ولكنّه يخصُّ بالذكر بلدته معان؛ لأنّ كثيرين لا يدرون حقيقة الصلة بين الشاعر وبلدته معان .

([1]) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، 144-146 .

2-القصد إلى زيادة التقرير والإيضاح: ويظهر هذا الغرض في العناوين الداخليّة لديوان الشاعر **(لو أسلمت المعلقات)** من خلال تكرار ذكر المسند إليه الموصوف (الشقيقة المسلمة) في سبعة عناوين داخليّة، ففي تكرير اللفظ زيادة تقرير إيضاح وتمييز بالشرف. وكذلك يستوقفك عنوان **(ديار الإسلام دياري)** فيكرّر الشاعر كلمة (دياري) زيادة في التقرير والإيضاح والتميّز بشرف الانتماء لديار الإسلام. ومن العناوين التي تقرّر هذا الغرض عنوان **(هويّة الأقصى لمن أضاع هويّته)** .

3-بسط الكلام والإطناب فيه بذكر المسند إليه ولو دلّ عليه دليل؛ وذلك حين يكون الإصغاء فيه من السامع مطلوبا للمتكلم لجلال قدره أو قربه من قلبه. ومن العناوين التي تعكس هذا الداعي عنوان**(الله ربي) (الله حق...تعالى الله خالقنا) (شهيد العلى قد مرّ عبر ترابها) (الطفل فينا مارد جبّار) (الله أكبر تعلو من مآذنها)** ونجد الشاعر يبسط في ذكر لفظ الجلالة ليزداد بذلك شرفا وفضلا .

4-إظهار تعظيم المسند إليه بذكر اسمه؛ نحو ذكر لفظ الجلالة في بعض العناوين وكذلك ذكره للقدس والأقصى كما في**(يا قدس)** وذكره لاسم مدينة **(معان)** وعنوانه **(السودان الشامخ)** .

5-إظهار تحقيره وإهانته؛ وذلك لما يحمله اسمه ويدلّ عليه من الحقارة . نحو عنوان**(رجمت إبليس)** و**(سقط الصنم)** و **(لو حكمت حواء)** .

6-التبرّك والتيمّن باسمه، كما هو الحال في ذكر الله تعالى والتوجّه إليه بالضراعة، ويندرج تحت هذا الغرض ذكر الشاعر للشهداء وأرض الجهاد في عناوين مثل**(حيّوا المثلث والجليل) (والثلاثة الأحرار في موكب الأبرار) (شهيد العلا قد مرّ عبر ترابها)** .

7-الاستلذاذ بذكره؛ وذلك في كلّ ما يهواه المرء ويتوق إليه .

يعدُّ المسند الركن الثاني في الجملة سواء كانت اسميّة أو فعليّة؛ والمسند كالمسند إليه الأصل فيه الذكر، ولهذا لا يعدل عنه إلا لقرينة في الكلام تبرِّر حذفه، ومن الأغراض التي ترجِّح ذكر المسند :

1-الاحتياط لضعف القرينة وعدم التعويل عليها .

2-التعريض بغباوة السامع .

3-إفادة أنَّ المسند فعل أو اسم، فإن كان فعلا فهو يدلّ بأصل وضعه على التجدُّد والحدوث مقيَّدا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار. وإن كان اسما فهو يفيد بأصل وضعه كذلك الثبوت من غير دلالة على الزمان.[1]

تُظهِر العناوين الداخليّة ليوسف العظم ظاهرة ذكر المسند إليه؛ ليدلّ على غرض من الأغراض السابقة، وحتّى في الجمل التي تقوم على الحذف للمسند إليه. بل يكثر ذكر المسند في عناوين يوسف العظم لحضور الحذف في المسند إليه أكثر من حذف المسند .

مثّل الذكر للمسند إليه والمسند في عناوين يوسف سمة واضحة، وكشفت عن وجود الظاهرة اللغويّة؛ لتكشف عن أغراض بلاغيّة لا يقتضي العدول عنها مع ضرورة التزام الأصل بذكرها .

ظاهرة الحذف في عناوين يوسف العظم الداخليّة

يسجّل الحذف لأحد أركان الجملة في عناوين الشاعر الداخليّة حضورا مميّزا، فبعد الإحصاء والفرز يجد القارئ الباحث أنّ عدد العناوين التي تقوم على الحذف هو مئتان واثنان وعشرون عنوانا، وبنسبة تقارب(73%) من مجموع العناوين الكليّة، وهذه النسبة تعكس الحضور المتميّز لظاهرة الحذف في عناوين الشاعر الداخليّة .

ويشير الجدول الآتي إلى عيّنة من العناوين التي تقوم على الحذف، سواء المسند إليه أو المسند أو للأدوات :

العنوان	الديوان	الصفحة
رسالة من القدس	في رحاب الأقصى	32
أمّة الإسلام	في رحاب الأقصى	44
سبحان الله	في رحاب الأقصى	56
سموم	في رحاب الأقصى	97
مرحبا رمضان	في رحاب الأقصى	99

([1]) ينظر:عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، 147 .

هائمة تبحث عن مستقرّ	عرائس الضياء	125
رحلة ومصير	عرائس الضياء	150
أمّك	قناديل في عتمة الضحى	174
متى ؟	قناديل في عتمة الضحى	179
قصائد في بلاد الغربة	قناديل في عتمة الضحى	185
ثورة المساجد	الفتية الأبابيل	220
صوت الإيمان	الفتية الأبابيل	229
رحماك ربّي	قبل الرحيل	291
لقاء عند زمزم	قبل الرحيل	312
مواكب النور	قبل الرحيل	324
الرايات الجريحة	على خطا حسان	352
فِرية مأفون	على خطا حسان	360
عينان	على خطا حسان	374
الصلاة	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	386
نشيد البنفسج	أناشيد وأغاريد للجل المسلم	397
عواطفي	قطوف دانية	404
لو حكمت حوّاء	قطوف دانية	406
بلادي	قطوف دانية	422
البترا	قطوف دانية	434

تكشف العناوين عن وقوع الحذف للمسند إليه (المبتدأ) في كثير من العناوين، نختار منها :**(رسالة إلى القدس) (سموم) (متى) (لقاء عند زمزم) (عينان)**؛ ولحذف المسند إليه (المبتدأ) دواع منها: صونه عن اللسان وتعظيما له؛ أو للاحتراز عن العبث لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به، وفي الحذف تشويق للمتلقّي؛ ممّا يدفعه إلى تقدير الاسم المحذوف، ومع كلِّ تقدير للمبتدأ المحذوف تتعددّ الأغراض الدلاليّة؛ ويؤدّي ذلك إلى تحقيق غرض الاتساع في تقدير المحذوف وهذا أمر يؤدّي إلى إضافة صفة الجمال على التركيب، ويضفي عليه القوّة والمتانة من خلال الإيجاز والاختصار الذي يحقّقه الحذف للمسند إليه ([1]).

([1]) ينظر: عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، 144-146 .

ويحذف الخبر(المسند) في مجموعة من العناوين الداخليّة لقصائد يوسف العظم وخصوصا في ديوانه **(أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** مثل: **(الوضوء)** ،**(الصلاة)**، **(نشيد البنفسج)**، **(نشيد الريحان)**، **(الحج)**. وفي عناوين أخرى مثل**(أمّة الأصنام)** **(أمّك)** **(ثورة المساجد)** **("الرايات الجريحة)** **(البترا)**؛ ويحذف الخبر اختصارا للعلم به، أو لدلالة الحال عليه، أو ظهوره ووضوحه، أو تأكيدا لأداء المعنى ، وقد يحذف الخبر إهمالا وتحقيرا لشأن المحذوف .

ويحذف الفعل من العناوين **(سبحان الله)** **(ومرحبا رمضان)** فتدل القرينة على الحذف للفعل، وثبت المصدر المنصوب؛ ليدلّ على أنّ فعلا محذوفا؛ وأهمّ دواعي حذف المسند الفعل الاحتراز عن العبث بعدم ذكر ما لا ضرورة لذكره. وإثبات الاسم في العنوانين السابقة يدلُّ على التعظيم والتقدير .

ويرد الحذف لأداة النداء، ويضيق المقام بذكرها في العنوانين**(مرحبا رمضان)** و**(رحماك ربّي)** وهذا يدلّ على تعظيم المنادى وقربه المعنويّ والروحيّ للضارعين المتعبّدين والمتشوّقين إلى المنادى، وفي هذا التعبير تأكيد على مكانة المنادى وقربه من نفس المنادي .

وتحذف جملة جواب الشرط في العنوان **(لو حكمت حوّاء)** والغرض من الحذف هو التهويل والتفخيم، ولدلالة أنّه شيء لا يحيط به الوصف، أو العلم المسبق بالجواب المحذوف الذي سقط من الجملة اختصارا، والجملة لا تخلو من التهكّم والاستغراب .

ونجد في العنوان**(لو حكمت حوّاء)** نوعا آخر من الحذف وهو حذف المفعول به، والغرض من الحذف هو لمجرّد الاختصار والإيجاز؛ وما ذلك إلا لتقرير المعنى في النفس .

الخلاصة: تعدُّ ظاهرة الحذف من الظواهر اللغويّة التي تدلّ على التمكّن والفصاحة، ومعرفة دقيقة بأسرار البلاغة، وهي تكشف عن أسرار ودواع مختلفة تعود إلى نوع المحذوف ومكانه من الجملة الفصيحة والبليغة، وهي ظاهرة تدعو إلى التدقيق والتمحيص في حدود تلك الظاهرة، وهي ظاهرة تغري المتلقّي باتجاهين: الاتّجاه الأول في البحث عن المحذوف وتقديره، والاتّجاه الثاني البحث عن دلالة الحذف .

يجد الباحث في العناوين الداخليّة لقصائد يوسف العظم سيطرة واضحة لظاهرة الحذف على حساب ظاهرة الذكر فيما لا يخالف قواعد النّحو العربيّ، وهو من الأساليب البلاغية التي تقوم على وجود القرينة والدليل. وكانت نسبة حضور ظاهرة الحذف (73%)من المجموع العامّ .

جاءت ظاهرة الحذف لتشكّل سمة واضحة في عناوين يوسف العظم الداخليّة والخارجيّة، وجاءت لأغراض متنوّعة ومتعدّدة، وأضافت إلى العناوين قوّة ومتانة وجمالا ورونقا خاصّا؛ نتج عن لجوء الشاعر إلى الإيجاز والاختصار من خلال حذف فعل أو اسم أو حرف .

المبحث الثالث: العنوان وظاهرة التقديم والتأخير

ألمح القدماء على أهميّة ظاهرة التقديم والتأخير وتأثيرها في المتلقّي من كونها ظاهرة أسلوبيّة، وهي:" جعل اللفظ في رتبة قبل الأصليّة أو بعدها لعارض اختصاص أو أهميّة أو ضرورة "[1]

يقول الزركشيّ عن التقديم والتأخير:"هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنّهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق، وهو يقوم على تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفعل . [2]

ويقول الجرجاني:"هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف،...، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثمَّ تنظر فتجد سبب أنْ راقك، ولَطُفَ عندك أن قُدِّم فيه شيء وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان" [3]

ويذكر الخطيب القزوينيّ عن تقديم المسند مقتضيات منها : تخصيصه بالمسند إليه، وإمّا للتنبيه من أوّل الأمر على أنّه خبر لا نعت، وإمّا للتفاؤل، وإمّا للتشويق إلى ذكر المسند إليه"[4]

---

(1) سليمان بن عبد القوي الطوخي ، الإكسير في علم التفسير ، 154 .
(2) بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3/ 233 .
(3) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 83 .
(4) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، 106 .

ومن المحدثين يقول عتيق:"على هذا فتقدُّم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنّما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغيّ أو داع من دواعيها" [1]

وخلاصة القول إنَّ:"التقديم والتأخير"أمر متّصل بتأليف الجملة وترتيب المفردات والأدوات المكوّنة لها، وهو على علاقة وثيقة بمفهوم " النظم" الذي هو وضع الكلمات في النسق النّحوي الذي يجعل الجملة جملة مقبولة نحويّا، وبليغة دلاليّا. وتكمن الأهميّة في قدرة هذا الأسلوب النحويّ البلاغيّ على الكشف عن المعاني ومعرفة حقيقة النظم. وهو يدلّ على التمكّن في الفصاحة، وامتلاك نواحي الكلام، وله أثر على القلوب والأسماع بما يمتلكه من حسن وعذوبة .

سيمياء العناوين الخارجيّة وظاهرة التقديم والتأخير

قلّب الباحث عناوين تسعة دواوين للشاعر؛ للوقوف على ظاهرة التقديم والتأخير، في محاولة استكشاف الأسرار البلاغيّة التي تعكسها تلك العناوين وخصوصا ما عكسته التراكيب النحويّة المتعلّقة بظاهرة التقديم والتأخير. وجاءت العناوين في أغلبها على صورة الجملة الاسميّة ضمن أنماط مختلفة .

حمل الديوان الأوّل عنوان "**في رحاب الأقصى**"، يغيب عن العنوان المسند إليه المبتدأ ويقدّره الشاعر " في رحاب الأقصى منطلق شعرنا"[2]. وعند النظر إلى التركيب الجديد وما حمله من مضامين، يزيح الشاعر التشوّق إلى معرفة ذلك المسند إليه، وفي التركيب تأخير للمبتدأ ويعود ذلك إلى قواعد النحو، فتقدّم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المقدّر، والغرض البلاغي الذي أفاده التقديم للمسند هو بيان أهميّته وتخصيصه وحصره، فالشاعر يعلي من قدر الأقصى فيعطيه حقّ الصدارة، وشرف التقدّم .

يحمل الديوان السادس عنوان "**قبل الرحيل**" عملا بوصيّة الشاعر الذي أحسَّ بقرب أجله، وكأنّه يقول قبل الرحيل آخر أشعاري [3] فقدّم الشاعر شبه الجملة المتعلقة بالمبتدأ المؤخّر، ويأتي

---

(1) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، 148+149 .
(2) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 12 .
(3) يوسف العظم ، م . ن .، 289 .

هذا التقديم لإفادة الأهميّة والتخصيص لمرحلة ما قبل رحيل الشاعر، فيوصي الشاعر بلمّ شتات قصائده المتأخِّرة، ويضعها في ديوان واحد .

أمّا بقيّة العناوين ضمن الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم، فإنّها تتّسم بوضوح في تركيبها، وجاءت العناوين على الأصل بتقدّم المسند إليه المبتدأ، لغرض العناية والاهتمام لما تقدّم لفظه ورتبته ضمن سياق الجمل الاسميّة .

سيمياء العناوين الداخليّة وظاهرة التقديم والتأخير

ما زال الباحث يبحث عن ظواهر سياقّية يعكسها العنوان، لذلك سأتجوّل داخل العناوين الداخليّة أبحث في ظاهرة التقديم والتأخير؛ وما تعكسه هذه الظاهرة من إشارات ودلالات وسمات سواء جاءت بطريقة عفويّة أو عن قصد .

سأبحث في هذا المبحث التقديم حسب قاعدة الإسناد، ونشير إلى ما لا يقع ضمن قاعدة الإسناد من أجل إثراء البحث؛ ومن أجل الوقوف على هذه الظاهرة البلاغيّة المرتبطة بعلم النّحو وعلم المعنى .

يجد الباحث بعد تقليب العناوين الفرعيّة الداخليّة، والتي تزيد على ثلاثمئة عنوان أنّ الشاعر ينوّع في تلك العناوين، ولكن ضمن ضوابط اللغة حتّى عند استخدامه لظاهرة التقديم لما حقّه التأخير، متقيّدا بقواعد اللغة أو محطّما لبعض قوانينها، ويظهر للباحث أنّ الشاعر ينتقي عناوين القصائد الداخليّة بحرص ودقّة، وهو المسؤول عن مكوّناتها وما تعكسه تلك العناوين، ويقع على عاتق الشاعر تبعات اختياره لعناوين قصائده الداخليّة والخارجيّة .

يصل الباحث في العناوين الداخليّة إلى ما وصل إليه في العناوين الخارجيّة حول ظاهرة التقديم والتأخير؛ وكأنّ الشاعر يعلن من خلال عناوينه الداخليّة أنّ مقتضى الحال لا يناسبه تقدّم ما حقّه التأخير إلا في عناوين محدودة . وبعد تقليب العناوين الداخليّة، وجدت تلك الظاهرة محدودة في العناوين الآتية؛ وهي موضّحة في الجدول الآتي :

العنوان	الديوان	**الصفحة**

ديار الإسلام دياري	في رحاب الأقصى	46
نسمات من أفياء الأقصى	في رحاب الأقصى	47
تحيّة إلى شعب اليمن	في رحاب الأقصى	53
نار على المحراب	في رحاب الأقصى	98
نشيد للمجاهدين في أفغانستان	عرائس الضياء	128
إلى الشاعر النرجسيّ	عرائس الضياء	129
حنين إلى دمشق	عرائس الضياء	131
فالطفل فينا مارد جبّار	الفتية الأبابيل	223
إن كان في العمر بقيةٌ	قبل الرحيل	292
أين قلبي ؟	قبل الرحيل	295
تحية للفنّ الإسلاميّ الهادف	قبل الرحيل	304
كيف تقسو ؟	قبل الرحيل	318
كلها خير	قبل الرحيل	318
معان بلدة العز	قبل الرحيل	319
لله تذرف العينان	على خطا حسان	338
أين قلبي ؟	على خطا حسان	344
من مبدع الكون سواه	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	398
من كل روض زهرةٌ ومن كل وردة شوكةٌ وعطرٌ	قطوف دانية	409
ذلَّ فينا النّهي	قطوف دانية	421

يقف الباحث عند العناوين(**ديار الإسلام دياري**) و(**معان بلدة العزّة**) فيجد تساويا بين المسند والمسند إليه (المبتدأ والخبر) ولكنّ الشاعر خصّ ما قدّمه بالاهتمام والمراعاة؛ فقدّم ديار الإسلام، وقدّم بلدته العزيزة على قلبه "معان"، وهذا ما دلّ عليه التقديم والتأخير .

وتستوقفنا العناوين(**نسمات من أفياء الأقصى**) و(**تحيّة إلى شعب اليمن**) و(**نار على المحراب**) و(**نشيد للمجاهدين في أفغانستان**) و(**حنين إلى دمشق**)و(**تحيّة للفنّ الإسلاميّ الهادف**) حيث نجد الشاعر في هذه العناوين يقدّم ما حقّه التأخير حسب قواعد النحو على اعتبار ظاهرة التقديم والتأخير(يتقدّم الخبر شبه الجملة وجوبا على المبتدأ النكرة)؛ وقد يرجع ذلك إلى الضرورة المباحة للشاعر، ولكن المدقّق في تلك النكرات التي جاءت في مقام المسند إليه على خفتها

وبساطتها يجد أنّها تمتلك حضورا مميّزا، وتعكس دلالات وإشارات ورسائل من نوع خاصّ، وقصد الشاعر من ورائها لفت الانتباه لما سيأتي بعدها. فاللفظة " نار" توقظ وتنبّه المتلقّي إلى مصيبة، وبحث المتلقّي عن مكان تلك النار المستعرة فيجيبه الشاعر: بأنّها في محراب صلاح الدين في المسجد الأقصى. وكذلك لفظة " تحيّة " يستقبلها المتلقي فتغريه ليعرف الفئة المستهدفة لتلك التحيّة، فيقطع الشاعر الشكّ باليقين فنراه يرسل تحيّته إلى شعب اليمن، وإلى المجاهدين في بلاد الإسلام، وإلى النشيد الإسلاميّ الهادف .

ويقدم الشاعر متعلّقات الخبر(شبه الجملة) على المسند والمسند إليه في العناوين(**فالطفل فينا مارد جبّار**)؛ حيث قدّم شبه الجملة (فينا) على الخبر. وفي عنوان(**إن كان في العمر بقيّة**) حيث قدم شبه الجملة (في العمر) على اسم كان لدواع نحويّة، وفي(**ذلّ فينا النهي**) حيث قدّم شبه الجملة (فينا) على الفاعل . ودلالة التقديم في العناوين الثلاثة هو الاختصاص والحصر كما يدلّ عليه السياق ويقتضيه المقام .

يقول السامرائي:" نحن نعلم أنّ المبتدأ إذا كان نكرة ليس لها مسوغ في الابتداء وجب تقديم الخبر الظرف أو الجار والمجرور، وتقديم الخبر هنا واجب ليس لأمر بلاغيّ، ولا يسأل عن الغرض من هذا التقديم وإنّما يسأل عن سبب تقديمه إذا كان المبتدأ صالحا لأن يُبتدأ به نحو: في الدار زيد" . فالتعبير الطبيعيّ أن يتقدَّم المبتدأ على الخبر، فتقول(زيد في الدار) فهذا إخبار أوليٌّ والمخاطب خالي الذهن ، فإذا قلت (في الدار زيد) كان المعنى أنَّ المخاطب ينكر أن يكون زيد في الدار ... ويظنُّ أنَّه في مكان آخر ... فهذا من باب الاختصاص " [1]

ويقدم الشاعر شبه الجملة في العنوان(**لله تذرف العينان**) على الفعل والفاعل؛ ويدلّ التقديم في هذا المقام على التنزيه والتعظيم لله عزَّ وجل؛ وفي التقديم تخصيص وحصر فللّه وحده تذرف الدموع من عباده المحتاجين لرحمته ورضاه .

وتأتي العناوين(**أين قلبي**) و (**كيف تقسو**) و(**من مبدع الكون سواه**) لتتوافق مع قواعد النحو في أحقيّة ألفاظ الصدارة بأن تتقدّم سواء إذا أُسندت إلى جملة فعليّة أو اسميّة؛ لأنّ موقعها الطبيعيّ هو الصدارة. ولا نبحث في هذا المقام عن الغرض البلاغيّ لأنّ تقدّم ألفاظ الصدارة واجب.

([1]) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 / 140 .

أمّا فيما يتعلق بالنوع الثاني من التقديم والتأخير فيما لا يندرج تحت قاعدة الإسناد، فإنّ الشاعر رتّب قصائده ووسمها بعناوينها الدالّة عليها، وقدَّم فيها وأخّر تبعا لما وجده ملائما ومناسبا من وجهة نظره. ففي الديوان الأوّل يرتّب الشاعر قصائده واضعا القدس في صدارة الأحداث، ثمّ يأتي بذكر الشهيد والشهادة، ثُمَّ ينتقل إلى ميادين الجهاد والاستشهاد، ثمَّ يتغنّى الشاعر بوطنه، وهكذا تتوالى العناوين حتّى آخر الديوان؛ يرصد في تلك العناوين أحداثا كثيرة، وينتقل الشاعر من عنوان إلى أخر غير معتمد على آليّة محدّدة أو نظام معيّن، سجّل الشاعر الأحداث المحيطة على امتداد الكون الفسيح والقضيّة المركزيّة التي انطلق منها الشاعر هي قضيّة القدس والأقصى، ورسم معاناة الشعب الفلسطيني بقصائده، وعبّر عن هموم الأمّة متجاوزا حدود الزمان والمكان .

الخلاصة : يجد القارئ لعناوين يوسف العظم هيمنة للجمل التي تعتمد الأصل في الترتيب، ويجد حضورا باهتا للعكس سواء قصد الشاعر ذلك أم لم يقصده. والتحقيق أنّ التقديم إنّما يكون للاهتمام والعناية بالمتقدِّم؛ سواء كان لغرض الحصر والاختصاص أم غيره. قال الإمام عبد القاهر:" وأعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم " [1]

جاء التقديم للأصل سمة واضحة في عناوين يوسف العظم الداخليّة، وهذا ما كشفته الصفحات السابقة، ولا يجد الباحث عناء في إثبات ذلك، وهذا أمر لا يقلِّل من قيمة تلك العناوين، وإنّما يقف الباحث عند حدود تلك العناوين فيما يتعلق بظاهرة التقديم والتأخير؛ كظاهرة بلاغيّة، يلجأ إليها الكاتب لدواع بلاغيّة، ولأسباب متعدّدة .

المبحث الرابع : العنوان وظاهرة التعريف والتنكير

يرى الهاشميّ :" إنّ حقَّ المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوما، ليكون الحكم مفيدا " ويعرَّف المسند إليه إمّا بالإضمار، وإمّا بالعلميّة، وإمّا بالإشارة ، وإمّا بالموصوليّة ، وإمّا بالإضافة ، وإمّا بالنداء " [2]

([1]) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 84 .و سيبويه ، الكتاب ، 1 / 34 .
([2]) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، 38 . الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، 30 .

"ويؤتى بالمسند إليه نكرة : لعدم علم المتكلّم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادّعاءً" [1]. وإذا أطلقت النكرة دلّت على أحد أمرين : إرادة الوحدة ، أو إرادة الجنس" [2]

ويضيف الهاشمي في بيان تعريف المصطلح وبيان الأهميّة لباب التعريف والتنكير فيقول: " اعلم أنّ كلا من المعرفة والنكرة يدلّ على معيَّن وإلا امتنع الفهم إلا أنّ الفرق بينهما أنّ النكرة يفهم منها ذات المعيّن فقط، ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع، وأنَّ المعرفة يفهم منها ذات المعيّن وكونه معلوما للسامع؛ لدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها إمّا بنفس اللفظ من غير حاجة إلى قرينة خارجيّة كما في العلم، وإمّا بقرينة تكلّم خطاب أو غيبة كما في الضمائر، وإمّا بقرينة الإشارة، وإمّا بالنسبة المعهودة كما في الموصول، وإمّا بحرف: أل– والنداء، وإمّا بالإضافة." [3]

أهميّة التعريف والتنكير :

" هما من الأساليب البلاغيّة التي من حقّ البليغ أن يراعيهما في الكلام، إذْ لكلٍّ منهما موضعه الذي يتطلّبه، ولا يحسن فيه غيره، فقد يحسن تعريف الكلمة في موضع؛ ولا يحسن فيه تنكيرها ،بينما نرى العكس هو الصحيح في موضع آخر ؛ ذلك لأنّ ما يفيده التنكير غير ما يفيده التعريف، والأسباب التي تدعو تنكير الكلمة مخالفة لتلك التي تدعو إلى تعريفها " [4]

أغراض التنكير :

للتنكير أغراض تعرف من السياق أهمّها [5] :إرادة الواحد، أو العموم، أو التهويل، أو التكثير، أو التقليل، أو التخصيص، أو إرادة الجنس، أو التحقير، أو التجاهل والاستهزاء، أو التعظيم، أو الدلالة على التنوّع والاختلاف أو الشدّة .

أما أغراض التعريف فتتبع النوع في تعريف المسند ، وهي كالآتي :

يؤتى بالمسند إليه ضميرا لأغراض منها [1] :

([1]) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، 108 .
([2]) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 / 36 .
([3]) أحمد الهاشمي ، م . س . ، 95 .
([4]) عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم ، 340 .
([5]) ينظر: أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، 108 . وينظر : فاضل السامرائي، م . س . ، 1 / 37 + 38 . وينظر : حسين الدراويش ، البنية التأسيسية لأساليب البيان في اللغة العربيّة ، 54 + 55 .

1-يكون الحديث في مقام التكلم.2-يكون الحديث في مقام الخطاب.3-يكون الحديث في مقام الغيبة.

ويضيف إليها البلاغيون الاختصاص والقصد والتوكيد [2]

ولتعريف المسند إليه بالإضافة أغراض كثيرة منها [3]:

1- أنّها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع.2-تعذُّر التعدُّد أو تعسُّره. 3-الخروج من تبعة تقديم البعض على البعض.4-ومنها التعظيم للمضاف.5-ومنها التحقير للمضاف.6-ومنها الاختصار لضيق المقام .

وهكذا تتبع الأغراض البلاغيّة نوع التعريف حسب السياقات المختلفة التي يقتضيها مقامها؛ لذلك يتطّلب الأمر العناية والاهتمام والتدقيق في استخراج تلك الأغراض .

ينظر الدارس في العناوين الخارجيّة والداخليّة للشاعر يوسف العظم؛ فيجد العناوين تحتوي تلك الظاهرة البلاغيّة (التنكير والتعريف)، ويستطيع الدارس من النظرة الأولى فرز تلك العناوين حسب المسند إليه المعرفة أو النكرة . قمت بفرز تلك العناوين وإحصائها والبحث عن الدلالات والإشارات لتلك العناوين والبحث عن أهمّ الأغراض التي أفادها التعريف والتنكير للعناوين الخارجيّة والداخليّة ضمن معاني البلاغة .

سيمياء العناوين الخارجيّة وظاهرة التعريف والتنكير

يعالج الباحث تحت هذا العنوان ظاهرة سياقية تعد فرعا من فروع البلاغة العربية (التعريف والتنكير) وما تحمله تلك الظاهرة من إشارات ودلالات تكشفها العناوين الخارجية (الضامّة) .

نبحث في حال المسند إليه للعناوين الخارجية فنجده معرفا في عناوين الدواوين التسعة، فالعنوان الأول(**في رحاب الأقصى**) نقدر المسند إليه المحذوف قصائدي في رحاب الأقصى، يعرّف

([1]) أحمد الهاشمي ، علم المعاني ، 96 .
([2]) ينظر : فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 /43 – 53 .
([3]) ينظر:أحمد الهاشمي ، م . س . ، 107 .

الشاعر المسند إليه عن طريق الإضافة إلى الضمير، وإضافة الرحاب إلى المسجد الأقصى؛ وفي هذه الإضافة (إلى المسجد الأقصى) تشريف وتعظيم للمكان الذي يضاف إليه النكرة " فالإضافة تفيد أن المضاف والمضاف إليه معا يعيِّنان الاسم ويضمّنانه " [1]

ويأتي العنوان الثاني معرّفا بالإضافة(**عرائس الضياء**)؛ وتفيد الإضافة في هذا المقام رفع الإبهام وتوضح الاسم النكرة، وفي مقدمة الديوان توضيح لذلك كما أسلفت، مع الإشارة إلى أنّ المسند إليه (المبتدأ) في هذا العنوان محذوف يقدّر بقصائدي عرائس الضياء فالمسند إليه المقدّر معرف أيضا بالإضافة إلى الضمير لغاية الحصر والتخصيص .

ويحمل الديوان الثالث عنوانا ببنية تركيبية أطول نسبيا (**قناديل في عتمة الضحى**)، يقوم العنوان على المعرفة بتقدير المبتدأ (هذه) أو (أشعاري) أو قصائدي قناديل في عتمة الضحى؛ وفي هذا المقام تفيد الإضافة البيان ورفع الإبهام عن المسند النكرة، وكذلك التخصيص له. وأفادت الإضافة في العناوين السابقة زيادة التوضيح .

ويعنون الشاعر ديوانه الرابع(**الفتية الأبابيل**). عنوان قصير ولكنّه يحوي حمولة دلاليّة كبيرة مقارنة بالعنوان المختزل بكلمتين، والعنوان يعتمد على لفظ معرّف بأل التعريف، وفي العنوان إشارة واضحة لأطفال الحجارة على أرض فلسطين؛ الذين أشعلوا انتفاضتهم كأنّهم الطير الأبابيل؛ في استحضار تاريخيّ ليوم الفيل في الجاهليّة، والتعريف في هذا المقام أولى من التنكير لخصوصية المسند إليه (الفتية) وفي هذا التعريف للمسند إليه فخر واعتزاز وتعظيم؛ يستظهر تلك المعاني كلّ من اطّلع على الانتفاضة المباركة لعام (1987م) .

ينقلنا الشاعر في عنوانه الخامس(**لو أسلمت المعلّقات**) إلى أجواء ثقافيّة، يغلّف تلك الأجواء روح التحدّي من شاعر إسلامي عاش في القرن العشرين أراد أن يركب أمواج المخاطرة مع معرفته بعواقب تلك المحاولة لأسلمة المعلقات الجاهليّة (ليس من الناحية اللغويّة وإنّما من الناحية العقدية الفكرية). (**لو أسلمت المعلّقات**) عنوان يقوم على التعريف فالمعلقات اسم معرّف وهو المسند إليه (الفاعل) عُرِّف المسند إليه بأل التعريف لإشهاره وبيانه .

([1]) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 / 69 .

ويصل الشاعر في رحلة العمر إلى المحطّة الأخيرة، فيسجّل عنوانا لتلك المرحلة(**قبل الرحيل**). يتكوّن العنوان من ظرف واسم معرف؛ يحدِّد الشاعر بهذا العنوان ومن خلال الاسم المعرّف الحالة النفسيّة والجسديّة لنفسه، والرحيل كناية عن الموت ولقاء الله، فالرحيل معروف بهيئته وزمانه، ويمثّل الرحيل لحظة الحقيقة؛ فجاء العنوان واضحا أظهر هذا الوضوح التعريف بأل للفظة (رحيل) وإذا أسند الخبر شبه الجملة إلى مسند مقدّر فإنّه بالضرورة أن يأتي اسما معرفا بالإضافة، وتقدير ذلك قبل الرحيل آخر قصائدي، أو أشعاري قبل الرحيل .....

وننتقل إلى الديوان السابع (**على خطا حسّان**) حذف من العنوان المبتدأ(المسند إليه) والمقدر ب أشعاري على خطا حسّان، أو خطواتي على خطا حسّان، أو أسير على خطا حسّان ، الضمير في أشعاري وخطواتي وبعد الفعل أسير يعود إلى الشاعر؛ وفي هذا الأمر اعتماد على المعرفة، ولفظة (خطا) النكرة يعرّفها الاسم العلم حسّان بن ثابت الأنصاريّ؛ والتعريف في هذا العنوان يُظهِر ويوضِّح المعنى الذي أراده الشاعر ويكشف عن سره حيث استخدم الشاعر للعلم حسّان فخرا واعتزازاً منه لتلك الهامة الشعريّة العالية؛ يتلمّس الشاعر خطاها ويسير على دربها وهو يعتزُّ بذلك .

يوجه الشاعر ديوانه الثامن لفئة رقيقة، فلذات الأكباد وزينة الحياة الدنيا، فيكتب الشاعر لهم ديوانه(**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم**) ويُؤْثِر الشاعر استخدام لفظتين نكرتين(أناشيد وأغاريد) ومن يبحث في السياق العامّ للعنوان يجد غرض التخصيص الذي يدلّ عليه استخدام الشاعر للتنكير في هذا المقام. ولكنّ العنوان لا يعتمد على التنكير في المسند إليه(المبتدأ) ويقدّر المبتدأ المحذوف باسم الإشارة هذه أناشيد وأغاريد للجيل المسلم واسم الإشارة (هذه) يفيد الكثرة كما ورد عند علماء البلاغة :"فإذا جزت العشرة قالوا:هي وهذه؛ إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير"[1]

ونصل إلى آخر عنوان في المجموعة الشعريّة الكاملة ليوسف العظم، يحمل الديوان التاسع عنوان(**قطوف دانية**) ويجوز في هذه الجملة الاسمية أن نعتبر لفظة قطوف مبتدأ لاعتماده الوصف، أو نقدّر المبتدأ المحذوف قبل مكوّن العنوان (قطوف دانية) وتقدير المبتدأ ب أشعاري قطوف دانية أو قصائدي قطوف دانية أو غير ذلك .

([1]) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 / 61 .

في الحالة الأولى عند استخدام النكرة الموصوفة فإنّنا نستشعر الأهميّة لتلك القطوف الدانية، وكذلك نستدلّ على كثرتها كما يدلّ السياق .

وفي الحالة الثانية فإنّ الاعتماد على المعرفة بالإضافة فإننا نستدل على أغراض دلاليّة مختلفة، مثل التخصيص والاعتزاز بقصائد الشاعر الذي يعتزّ بعقيدته ويفتخر بشرف الانتماء إلى الأمّة الإسلاميّة؛ فيقتبس من نور الإسلام وألفاظ القرآن تلك القطوف الدانية .

أخلص بعد هذه الجولة في العناوين الخارجيّة ليوسف العظم إلى أنَّ الشاعر اعتمد في أغلب العناوين الخارجيّة على الألفاظ المعرّفة ؛ إمّا بالعلميّة أو بالإضافة؛ لإفادة التحديد الدقيق للعناوين ومرادها، ومن أجل التخصيص ورفع الإبهام الذي يوقع المتلقّي في إشكاليّة الفهم لما يريده الشاعر، وخفت صوت التنكير في العناوين الخارجيّة؛ وكأنّ الشاعر يقول:ليس المقام مقامها، وإن وردت النكرات فإنّ الشاعر يضيفها في كثير من الأحيان إلى ضمير يعود عليه هو؛ وهو أمر يكشف عن اعتزاز الشاعر بنفسه ومبادئه، وهو خطّ ارتضاه الشاعر وسار في تشعبّاته.

استخدم الشاعر المعرفة ليُفهَمَ منها ذات المعيّن، وكونه معلوما للسامع لدلالة اللفظ على التعيين إمّا بالعلميّة أو الإضمار أو الإشارة أو إلى التعريف أو النداء أو الإضافة، ولكلِّ نوع من الأنواع السابقة قرينة تدل عليه .

سيمياء العناوين الداخليّة وظاهرة التعريف والتنكير

يلجأ الدارس في كثير من الأحيان إلى عمليّات الإحصاء ليس لذاتها؛ وإنّما للاستدلال بنتائجها، والوقوف على السِّمات الخاصّة لأيّه ظاهرة داخل العمل الإبداعيّ؛ وعملية الرصد هذه توفّر للدارس كثيرا من المعلومات التي تفيده وتفتح أمامه السبل لتحقيق ما يصبو إليه .

نقف أمام ما يزيد على ثلاثمئة عنوان فرعيّ (داخليّ) لقصائد الشاعر يوسف العظم في دواوينه التسعة، نرصد هنا ظاهرة التعريف والتنكير، وما تكشفه هذه الظاهرة البلاغيّة من أغراض وسمات وإشارات ودلالات ترتكز في بيان الأمر على الإطار النظريّ الذي رسمته في هذا المبحث حول التعريف والتنكير .

وأنتقل إلى العناوين الداخليّة؛ للكشف عن ظاهرة التعريف والتنكير، وسأعالج الموضوع من خلال تقسيم العناوين حسب حال المسند إليه أو المسند(المعرفة أو النكرة) وبيان الأمر كما يأتي:

التنكير:

إنّ رصد العناوين التي تقوم على اللفظ النكرة أمر غاية في الصعوبة؛ لأنّ كثيرا من العناوين تقوم على حذف أحد أركان الجملة الأساس، وتقدير ذلك المحذوف ليس من المسلَّمات ؛ لأنّ الشاعر حرص على تغييب عامل رئيس، ولا نعرف سببا لهذا التغييب. هل التغييب لسبب بلاغيّ يسعى إلى إثارة ذهن المتلقّي؟ أم أنّه تغييب دلاليٌّ يضعنا ضمن سياقات معيّنة؟ وهذا الأمر يقودنا في بعض العناوين إلى تغييب المحذوف لوهلة؛ والنظر إلى العنوان من خلال ما هو مرسوم بالكلمات كما هو، ولكن لا بدّ من معالجة العناوين حسب الأصل الذي تقتضيه البلاغة والفصاحة. ولبيان هذا الأمر نستحضر مجموعة من العناوين في الجدول الآتي؛ من أجل الوقوف على حقيقة التعريف والتنكير :

العنوان	الديوان	الصفحة
آيات	في رحاب الأقصى	67
سموم	في رحاب الأقصى	97
حنين إلى دمشق	عرائس الضياء	131
دموع بلا رياء	عرائس الضياء	137
رسالة إلى مجاهد	قناديل في عتمة الضحى	169
أنسام وأنغام في ذرى وهران	قناديل في عتمة الضحى	189
ترحيب بضيف	قبل الرحيل	301
أخوة	قبل الرحيل	31
وسام على صدر معان	على خطا حسان	347
حقائق وأوهام	على خطا حسان	364
شاعر يرثي نفسه	قطوف دانية	430

يمثّل هذا الجدول عيّنة لعناوين تبدأ بنكرات، ولكنّها جميعها ليست في مقام المسند إليه الذي حذف من الجمل السابقة؛ ويقدّر المسند إليه المحذوف بلفظ معرّف فنقدِّر؟ "تلك آيات"، و"هذه سموم

" و"هذا حنين إلى دمشق " "وتلك دموع بلا رياء " وهكذا مع بقيّة العناوين . وهذا الترتيب للجملة الاسميّة هو الأصل في علم النحو، وهذا ما يقتضيه المقام .

جاءت المسندات (الأخبار) نكرات لتدلّ على معانٍ يقتضيها السياق بما يتوافق مع نظام الجملة الاسميّة؛ فآيات تدلُّ على الكثرة والتبجيل والتعظيم. وكلمة حنين تدلُّ على الشغف والعاطفة المتفجّرة . وكلمة وسام تدلُّ على الفخر والاعتزاز. وكلمة أخوة تدلُّ على عمق العلاقة بين المتحابين في الدم والعقيدة. إنَّ العناوين التي ورد المسند إليه فيها نكرة قليلة ومحدودة، ويمكن حصرها فيما يأتي :

العنوان	الديوان	الصفحة
تحيّة إلى شعب اليمن	في رحاب الأقصى	53
لبيت بالقلب	في رحاب الأقصى	62
نار على المحراب	في رحاب الأقصى	98
إن كان في العمر بقيّة	قبل الرحيل	292
تحيّة للفنِّ الإسلاميّ الهادف	قبل الرحيل	302
كلُّها خير	قبل الرحيل	304
أمس وغد	على خطا حسان	335
شهد وعلقم	قطوف دانية	407
من كلِّ روض زهرة ومن كلِّ وردة شوكة	قطوف دانية	409

اعتمدت العناوين العشرة السابقة على التنكير وهي لا تمثِّل إلا نسبة مئويّة ضئيلة من المجموع العام (0,033%) وهذا يكشف عن مقدار العناوين المعرّفة، ويعود استخدام المسند إليه النكرة إلى أصول نحويّة، فالجمل (تحيّة إلى شعب اليمن)، و(نار على المحراب)، و(تحيّة للفنِّ الإسلاميّ)، و(لبيت بالقلب)، يمكن التعامل معها على قاعدة وجوب تأخير المبتدأ النكرة على الخبر إذا كان شبه جملة، ولكنّ الضرورة الشعرّية تبيح للشاعر عكس الأمر للجوء الشاعر إلى استخدام لغة فنيّة، ومعايير الشاعريّة تبيح له ذلك .

أمّا العناوين(**إن كان في العمر بقيّة**) و(**من كلِّ روض زهرة**) فإنّها تتبع القاعدة النحويّة في أصلها حسب المسوّغ الذي وضعته اللغة للابتداء بالنكرة .

أمّا العنوان(**إلى من يهمّه الأمر**) فإنّ العنوان ينقصه ركن رئيس وهو المسند إليه ويقدّر " إلى من يهمّه الأمر رسالة "

نلاحظ من استخدام الشاعر للنكرات ليفهم منها ذات المعيّن فقط حسب ما يقتضيه السياق، ولكنّ حضور تلك النكرات في المسند إليه جاء قليلا؛ وهذه هي السمة التي كشفتها العناوين الداخليّة لقصائد يوسف العظم؛ وهذا الأمر يظهر أنّ الشاعر محافظ على التقاليد لدرجة كبيرة وكأنّه لا يحبّ المخاطرة بتكسير بعض الجمود في لغة الشاعر المتديّن والسياسيّ في آنٍ واحد.

التعريف :

أكمل الصورة الثنائيّة بذكر ظاهرة التعريف في عناوين يوسف العظم الداخليّة؛ فجاءت العناوين التي اعتمدت على المسند إليه المعرفة ضخمة؛ وكأنّ الشاعر من أنصار اللفظ المعرّف؛ ليؤكّد حقّ المسند إليه أن يكون معرفة ؛ لأنّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوما ليكون الحكم مفيدا .

احتلّت العناوين المعرفة (حسب المسند إليه) مساحة كبيرة، وجاء عددها زهاء مئتين وتسعين عنوانا، وتعدّدت أنواع التعريف التي أوردناها آنفا في هذا الفصل، ولنستعرض عيّنة تمثّل العناوين المعرّفة؛ اخترنا هذه العيّنة من دواوين الشاعر التسعة من أجل تحقيق حسن التمثيل، وهي كالآتي :

العنوان	الديوان	نوع التعريف	الصفحة
يا قدس	في رحاب الأقصى	معرف بالنداء	15
شهيد الكرامة	في رحاب الأقصى	معرف بالإضافة	19
الله أكبر	في رحاب الأقصى	معرف بالعلميّة	39
اليتيم الأعزّ	في رحاب الأقصى	معرف بأل	62
عرائس الضياء	عرائس الضياء	معرف بالإضافة	119
رحلة ومصير	عرائس الضياء	الإضمار	150
الفجر يطلع من جديد	قناديل في عتمة الضحى	معرف بأل	167
أولادي	قناديل في عتمة الضحى	الإضافة	181
يا سرايا الجهاد	الفتية الأبابيل	النداء	216

حياض العزّ	قبل الرحيل	الإضافة	303
معان بلد العزّ	قبل الرحيل	العلميّة	319
الله ربّي	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	العلميّة	385
أنا يا قوم مسلم	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	الإضمار	396
الإخوة في الله	قطوف دانية	التعريف بأل	401
يا منية الروح	قطوف دانية	بالنداء	413
البترا	قطوف دانية	العلميّة	434
يا منية الروح	قطوف دانية	بالنداء	413

يمثّل هذا الجدول عيّنة منتقاة من المجموع العامّ. تعتمد هذه العناوين على المسند إليه المعرفة، يظهر الجدول أنواع التعريف التي ذكرها البلاغيّون والنحويّون ولكلّ نوع دلالاته المستقلّة تتبع السياقات التي وضع فيها اللفظ؛ ليكشف عن غرضه ودلالته .

حضر الضمير المنفصل المعرّف(**أنا يا قوم مسلم**)؛ ليدلَّ على الواحد المعظم لنفسه، وحضر الضمير المتّصل أولادي للتخصيص والقصر؛ ويقدّر الضمير في العنوان(**رحلة ومصير**) تلك رحلة وذاك مصير، وهذه ضمائر تفيد الإشارة إلى ما يريد الشاعر ووضع اليد عليه .

واستخدم الشاعر الإضافة في عناوين مثل(**شهيد الكرامة**) (**عرائس الضياء**) و(**صوت الإيمان**) و(**حياض العزّ**) و(**يا منية الروح**) والغرض من استخدام الشاعر لأسلوب الإضافة هو إظهار مكانة المضاف إليه وتعظيمه في هذا المقام، وفي كثير من العناوين يكشف الشاعر عن صفة الهيبة والعظمة للمضاف إليه كما يدلُّ عليه السياق.

واستخدم الشاعر الإضافة في عناوين أخرى مثل:(**أمّة الأصنام**) (**عشّاق الظلام**) (**فِرية مأفون**)؛ استخدم الشاعر الإضافة هنا للكشف عن مضاف إليه يثير الاشمئزاز؛ فالغرض الذي يفيده الإضافة هو التحقير لشأن المضاف إليه وليس العكس.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشاعر اعتمد على التركيب الإضافيّ بنسبة عالية نسبيّا، فمجموع العناوين التي على الإضافة مئة وعشرة عناوين، أي بنسبة (37%)؛ زاوج الشاعر

في هذه العناوين بين الإضافة إلى الأسماء المعرفة، أو الإضافة إلى الضمائر، أو الإضافة إلى النكرات .

واستخدم الشاعر الأعلام المعرّفة في عناوينه مثل: **(قابيل) (الله أكبر) (حماة يا أغرودة المجد) (السودان الشامخ) (معان بلدة العزّ) (البترا)**؛ استخدم الشاعر العلم ليدلَّ على مسمّاه فهو" علامة عليه ويميّز به من غيره"[1] " ويؤتى بالمسند إليه علما؛ لإحضار معناه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاصّ ليمتاز عمّا عداه"[2]؛ وقصد الشاعر من استخدام المعرّف بالعلميّة المدح والفخر والتبرّك . [3]

خلاصة: إنَّ السمة الواضحة للعناوين الداخليّة من حيث التعريف والتنكير لا تحتاج إلى إقناع بحقيقة هيمنة المسند إليه المعرفة بصوره المختلفة، وهنا لا نستطيع تغييب حقيقة واضحة أنّ البلاغة تقتضي وجود المعرفة والنكرة في بنية الجملة العربيّة الفصيحة، ومن هنا تنبع أهميّة استخدام التعريف والتنكير .

المبحث الخامس: العنوان وظاهرة التكرار

يرد التكرار في كلام العرب لعدّة غايات بلاغيّة منها:"تمكين المكرر من النفوس وتقريره؛ وبهذه الغاية يلتقي التكرار مع التأكيد في خطّ واحد من حيث تقرير الأمر في الذهن وتمكينه في النفس" [4]

يعقد الهاشميّ مبحثا مستقلّا في الإطناب وأقسامه وأنواعه بعدما يعرّف الإطناب بأنّه:"زيادة اللفظ على المعنى لفائدة،أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء؛ لفائدة تقويته وتوكيده"[5]ومن أنواع الإطناب الكثيرة التكرير وهو:"ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض"[6]

([1]) فاضل السامرائي ، معاني النحو ، 1 / 65 .
([2]) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، 99 .
([3]) أحمد الهاشمي ، م . ن . ، 99 .
([4]) حسين الدراويش ، البنية التأسيسيّة لأساليب البيان ، 26 .
([5]) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، 187 .
([6]) أحمد الهاشمي ، م . ن . ، 188 .

يعرض المفسرون لتفسير الآية ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ [1] فيقولون : التكرار في هذه الفواصل للتأكيد والتنبيه والتحريك، والتكرار إنّما هو لاختلاف النِّعم؛ فكلَّما ذكر نعمة كرّر قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ [2]

ويذكر علماء العربيّة طريقتين للتوكيد بالتكرار :

أولاهما : إعادة اللفظ الذي يراد تثبيته، أو دفع غفلة السامع عنه، أو دفع الظنّ بأنّ السامع ظنّ به الغلط ، ويتحقَّق ذلك بتكرار اللفظ نفسه .

ثانيتهما : كلمات تؤدي ما يؤدّيه تكرار اللفظ نفسه، وذلك في توكيد الضمير المتصل، أو المستتر بالضمير المنفصل، نحو : أكرمت أنت صديقك. أو في إيراد ألفاظ التوكيد المعروفة وهي : النفس والعين وكلا وكلتا وكلّ وجميع وغيرهن ممّا هو معروف " [3]

وينبّه محمّد عيد إلى الفرق بين أمرين كثيرا ما يختلطان هما : التوكيد اللفظي والتكرار؛ فالتوكيد اللفظي : هو إعادة اللفظ بعينه أي بنطقه ومعناه تماما .

أمّا التكرار: فهو إعادة اللفظ بنطقه وما يشبه معناه؛ فالأوّل إذن شيء واحد وقد استخدم له اللفظ مرتين، أما الثاني فهو شيء تكرّر مرتين أو أكثر واستخدم له في كلِّ مرَّة نفس اللفظ ." [4]

يمثِّل التكرار ظاهرة بلاغيّة؛ تستحقُّ الدراسة والبحث والكشف عن أسرارها؛ من حيث إنّها تبعث إشارات واضحة تزيّن النَّصَّ وتقوّي أواصره. وهذا ما سأقوم ببحثه في هذا المبحث " سيمياء العنوان وظاهرة التكرار "

سيمياء العناوين الرئيسة(الخارجيّة) وظاهرة التكرار

([1]) سورة الرحمن ، 55 / 16 .
([2]) ينظر: محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 3 / 277 .
([3]) مهدي المخزومي ، في النحو العربي ، 243 + 244 .
([4]) محمّد عيد ، النحو المصفّى ، 589 .

تتكرر في العناوين الضامّة (الخارجيّة) الألفاظ الدينيّة التي تكشف عن هويّة صاحبها؛ والغرض من ذلك التأكيد وتقرير المعنى في النفس، وتشير تلك العناوين إلى خطاب دينيٍّ خالص في أغلبها،ومن هذه الألفاظ: رحاب الأقصى، الفتية الأبابيل، لو أسلمت، الجيل المسلم، قطوف دانية .

تتكاثف العناوين الخارجيّة لتشكّل لوحة رئيسة، تشير بوضوح إلى تكرار الألفاظ الدالّة على الخطاب الدينيّ الإسلاميّ، وهي السمة الظاهرة في تلك العناوين . مع ضرورة الإشارة إلى غياب التكرار اللفظيّ أو التوكيد اللفظيّ أو المعنويّ في العناوين الخارجيّة .

سيمياء العناوين الداخليّة وظاهرة التكرار

يلجأ الشاعر في عناوينه الداخلية (عناوين القصائد) إلى تكرار بعض الألفاظ بطريقة مقصودة؛ يكشف من وراء تلك الألفاظ أسرارا دفينة، ويؤكّد من خلالها على قضايا مهمّة، ويتركّز التكرار في أربع مجالات تشغل بال الشاعر، وهي مكانة القدس ومكانة الشهيد والمجاهد والرسالة الدينيّة . وبيان ذلك كما يأتي :

تكرار القدس وما يدلّ عليها :

أثارت القدس لدى الشاعر الكثير من الشجون والأحاسيس، وأحسّ بالخطر المحدق بالمدينة المقدسّة خصوصا بعد اغتصابها من قبل المحتلّ، فوقف الشاعر من بعيد يرصد أحوالها، ويتخيّل معاناة أهلها؛ فيجد في القدس قضيّة مركزيّة فيصدر الشاعر المسلم ديوانه الأول من أجل القدس تحت عنوان مركزيّ " في رحاب الأقصى " وتحت هذا العنوان تأتي عناوين فرعيّة كثيرة – تسعة وثمانون عنوانا –؛ تتعاضد العناوين الفرعيّة على اختلاف عناوينها وموضوعاتها، ولكنّ بؤرة الأحداث تتمحوّر حول القدس والقضيّة الفلسطينيّة، وتشتعل لدى الشاعر جذوة الشعر، ويصرخ في الرحب الفسيح :يا قدس يا محراب يا فرقد. ويملأ صدى ودويٌّ تلك الصرخة الممزوجة بالأسى الكون الصامت على تلك الرزيّة التي حلّت بمن يرتبط بهم الشاعر برباط العقيدة والدين .

يرصد الباحث في الجدول الآتي العناوين التي تحمل القدس بصريح اللفظ أو ما يدلّ عليه ضمنيًّا بعد الرجوع إلى النصوص الشعريّة .

العنوان	الديوان	الصفحة
يا قدس	في رحاب الأقصى	15
رسالة من القدس	في رحاب الأقصى	32
إنّا للقدس	في رحاب الأقصى	34
نسمات من أفياء الأقصى	في رحاب الأقصى	47
في محراب الأقصى	في رحاب الأقصى	67
براعم الأقصى	في رحاب الأقصى	89
حماة الأقصى	في رحاب الأقصى	90
ظلال الذكرى (احتفال في القدس)	في رحاب الأقصى	96
فتاة القدس	في رحاب الأقصى	97
نار على المحراب	في رحاب الأقصى	98
حكايا دامية	في رحاب الأقصى	99
هوية الأقصى لمن أضاع هويته	قناديل في عتمة الضحى	158
كيف نحيا يا قوم من غير قدس	قبل الرحيل	299
إلى شاعر الأقصى	على خطا حسان	369
روض الأقصى	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	397

وضع الشاعر العناوين السابقة على رأس قصائده، وكرّر فيها القدس والمسجد الأقصى في إشارة واضحة لمكانة القدس في نفسه وانشغال الشاعر بهموم المدينة المقدسّة، ولم يقف الشاعر عند ذلك الحدّ فبعد رصد لكلمتي القدس والمسجد الأقصى في ديوان الشاعر الأوّل وصل الباحث إلى نتيجة مفادها أنّ الكلمتين تكرّرتا لستٍّ وتسعين مرّة .

تلذّذ الشاعر بذكر القدس والمسجد الأقصى، وأكّد مكانة القدس، وأراد إقرار تلك المعاني في نفوس المتلقّين، مع دعوة ينوّه فيها الشاعر إلى مكانة القدس؛ ولا ننسى أنّ تكرار لفظة القدس والأقصى يلطّف قلوب ملايين المسلمين ويرغّبهم ويحثُّهم على اتخاذ موقف شجاع اتّجاه أولى القبلتين، وتجتمع هذه الغايات من أجل تمكين المكرّر في النفوس وتقريره للمتلقّي .

كشفت العناوين عن سمة واضحة تجلّت في ظاهرة التكرار لألفاظ مخصوصة ترتبط بالقدس الشريف ومسجده الأقصى للأغراض البلاغيّة السابقة . وهي إشارات واضحة نحو القدس والأقصى، ويحمل التكرار رسالة واضحة من الشاعر؛ لذلك كرّر الشاعر القدس والأقصى خمس عشرة مرة .

تكرار الشهيد والشهادة ودلالة التكرار .

أعلن الشاعر بالنثر والشعر فضل الشهيد ومكانته، وكرّر تلك المعاني أكثر من مرّة كما أسلفت في الفصول السابقة. ويرى الشاعر أنّ للشهيد مكان الصدارة؛ لذلك يقرّ أنّه يستحقّ المديح والثناء، لذلك نجد العناوين الفرعيّة تحفل بذكر الشهادة وتُكَرِّر الألفاظ الدالّة على ذلك .

جاءت العناوين الفرعيّة التي تكرّر فيها ذكر الشهيد والشهادة ثلاثة عشر عنوانا داخليّا، بالإضافة إلى كثرة ورودها داخل المتون الشعريّة . والجدول الآتي يكشف عن تلك العناوين :

العنوان	الديوان	الصفحة
شهيد الكرامة	في رحاب الأقصى	19
في ذكرى الشهيد	في رحاب الأقصى	21
إلى رمز الجهاد والاستشهاد	في رحاب الأقصى	23
غاية الأبطال إحدى الحسنيين	في رحاب الأقصى	24
بسمة الشهيد الصامت	في رحاب الأقصى	42
شهيد الهدى	في رحاب الأقصى	84
رسالة من شهيد	عرائس الضياء	120
الثلاثة الأحرار ...في موكب الأبرار	الفتية الأبابيل	214
شهيد العلا قد مرّ عبر ترابها	الفتية الأبابيل	226
وتقبل التهاني : أفراح الثكلى	الفتية الأبابيل	234
الجهاد موسم عرس لطلّاب الشهادة	قبل الرحيل	298
مواكب النور	قبل الرحيل	324
همسة حزينة على قبر حمزة	قبل الرحيل	406

يقف الشاعر أمام عرس الشهادة فيلهج قلبه ولسانه بأجمل الكلمات والألحان؛ ويتّخذ من ألفاظ الشهادة لازمة موسيقيّة تتوزّع بين عناوين الشاعر الداخليّة؛ ليؤكّد الشاعر قضيّة مركزيّة (قضيّة

الشهادة في سبيل الله)، ويلامس الشاعر في هذه العناوين قلوب المتلقّين، وينقلهم إلى أجواء روحانيّة، يسلّط الضوء من خلالها على مكانة الشهيد تبعا للتصور الإسلاميّ، فردّد الشاعر لفظ الشهادة والشهيد وأراد من الكون جميعه أن يسمع ذلك الترديد .

يكشف الشاعر من خلال العناوين السابقة عن تقدير من الشاعر للشهيد المجاهد الذي يعكس صورة المجتمع الذي يعتزّ بأبنائه الذين قضوا في سبيل الله. وكُتِبوا عند الله شهداء. ويعبّر الشاعر عن تلك الخلجات، ويرسل رسائله إلى رموز الجهاد والاستشهاد، وينشد لهم أجمل الأناشيد.

يجد المتلقّي في تكرار الشهيد والشهادة توكيدا وإصرارا وتبجيلا لمن ضحّوا بأرواحهم من أجل عقيدتهم وأوطانهم وأمّتهم؛ فاستحقّوا بذلك أعلى الدرجات ...فهنيئا لهم .

يمثّل الجهاد ذروة سنام الإسلام، وفريضة على من اغْتُصِبَت أرضهم؛ لأنَّ الجهاد في حقيقته بذل الروح والجسد والمال في سبيل الله . وعندما يقف شاعر عند تلك المعاني فإنّه يعبّر عنها مشحونا بعواطف نبيلة متسلّحا بأروع العبارات والتراكيب، ونجده يكرّر تلك المعاني ليؤكّد على مكانة الجهاد في حياة الأمم، ممَّن عشقوا الحريّة ورفضوا فكرة الاستعمار بكلّ أنواعه .

يجد الشاعر على أرض فلسطين وحولها ضالّته المنشودة، إنّها أرض الجهاد والمقاومة، أرض الشهادة والاستشهاد، أرض جعلها الله مقبرة لكلّ ظالم ومغتصب، ولأنّ الشاعر على مقربة من تلك الأحداث؛ فإنّنا نجده يرسم بريشته تلك الأحداث، ويبعث برسائل الأمل إلى كلّ الأمّة، ويبعث رسائل المجد والفخار لأولئك المجاهدين الصابرين المتسلّحين بسلاح العقيدة والإيمان . وتتشكّل الصورة الجهادية من عناصر جهادية مختلفة : فهناك الشيخ والشاب والمرأة والطفل، ونجد معاقل الجهاد في المدن والقرى والمخيّمات والمساجد والقرى، ونجد الجهاد ماثلا في كلِّ حارة وساحة .

إنّ اختيار تلك العناوين لم يكن اعتباطيّا، وإنّما كان مع سبق وإصرار، وهنا يظهر دور الشاعر في اختيار ما يجذب المتلقّي.

يقلِّب الباحث الصفحات باحثا عن العناوين التي تحمل معنى الجهاد، فيجدها كثيرة ومنوَّعة، أحصرها في الجدول الآتي، ونبحث عن السمات التي يعكسها تكرار الجهاد في تلك العناوين :

العنوان	الديوان	الصفحة
إلى رمز الجهاد والاستشهاد	في رحاب الأقصى	23
غاية الأبطال ..إحدى الحسنيين	في رحاب الأقصى	24
صفحة خلود	في رحاب الأقصى	25
المجاهد الحقّ	في رحاب الأقصى	27
لو تداعى قومي لساح الجهاد	في رحاب الأقصى	63
حيّ على الجهاد	في رحاب الأقصى	91
الله أكبر	في رحاب الأقصى	99
وأين سيف لا يقهر الهوان ؟	في رحاب الأقصى	102
في سبيل الله والمستضعفين	عرائس الضياء	121
فلسطينيّ الغد الظافر	عرائس الضياء	122
نشيد للمجاهدين في أفغانستان	عرائس الضياء	128
رسالة إلى مجاهد	قناديل في عتمة الضحى	169
جريح في ليلة القدر	قناديل في عتمة الضحى	162
الفتية الأبابيل	الفتية الأبابيل	197
إلى المشاغبين الأباة في قطاع غزّة	الفتية الأبابيل	207
يا عرينا به الجهاد تباهى	الفتية الأبابيل	209
الله أكبر تعلو من مآذنها	الفتية الأبابيل	210
حبّوا المثلث والجليل	الفتية الأبابيل	212
يا سرايا الجهاد	الفتية الأبابيل	216
وسطّري صفحة للمجد زاهية	الفتية الأبابيل	218
ثورة المساجد	الفتية الأبابيل	220
فالطفل فينا مارد جبّار	الفتية الأبابيل	223
شهيد العلى قد مرَّ عبر ترابها	الفتية الأبابيل	226
صوت الإيمان	الفتية الأبابيل	229
لواء الجهاد	قبل الرحيل	291
الجهاد موسم عرس لطلّاب الشهادة	قبل الرحيل	298
حياض العِزِّ	قبل الرحيل	303
مواكب النور	قبل الرحيل	324

الرايات الجريحة	على خطا حسان	352
شامخ بالحقِّ	قطوف دانية	406
انطلاقة أمّة ومسيرة جهاد	قطوف دانية	414
سيوف الإيمان	قطوف دانية	416

تعكس تلك العناوين ما يريده الشاعر وهو استمالة الجميع من أجل حمل راية الجهاد من أجل قلع مخالب الاحتلال، ومن أجل رفع الظلم عن المظلومين وخاصّة على الساحة الفلسطينيّة، وهذه الدعوة لا تخرج عن تعاليم الدين الحنيف، إنّها دعوة حقّ مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ ﴾ [1]

أستخلص من العناوين السابقة الإشارات والدلالات لتكرار ألفاظ الجهاد ؛ لنجد ما يأتي :

- يعكس التكرار إصرارا من الشاعر للتأكّيد على الجهاد في سبيل الله وتقريره في النفوس .
- يستميل الشاعر قلوب المؤمنين ويذكرهم بالحاجة الماسّة إلى ضرورة الجهاد .
- التنويه بفضل الجهاد في سبيل الله وما فيه من رِفعة للأمَّة .
- تحريك العواطف وخصوصا إذا كانت ساحة الجهاد على أرض الإسراء والمعراج .

سيمياء تكرار الألفاظ الدينيّة ودلالاتها

تتكرر الألفاظ الدينيّة في عناوين العظم بكثرة، منها ما يتعلّق بالعقيدة والإيمان مثل:الله أكبر،عودة إلى الله،رجعة يا ربّ، رحماك ربّي.....ومنها ما يتعلّق بالعبادة مثل:لبيك، الصلاة، الصوم، الحجّ....ومنها ما يتعلّق بالجهاد والشهادة. ومنها ما يتعلّق بالسلوك والأخلاق وغيرها ممّا يتعلّق بالخطاب الدينيّ.

لا أريد الإطالة في هذا الموضوع؛ لأنَّ القارئ لأشعار الشاعر وترجمة حياته يعلم أنَّ الغرض الدينيَّ غالب على شعره، وهو منطلق شعره ونثره، لذلك لن يكون غريبا أن نجد العناوين الداخليّة تطفح بألفاظ تعكس الموضوع الدينيّ؛ بل نجد أغلب العناوين بعد ربطها بالمتون ما هي إلا ألفاظا

([1]) سورة يوسف ، 12 / 21 .

من المعجم الدينيّ، سواء بصريح اللفظ أو ضمنيّه، وكثيرة هي العناوين التي تتآزر وتتعاضد لتؤكِّد على فكرة دينيّة؛ والضابط فيها تعاليم الدين الحنيف، والتربية الإسلاميّة المحضة.

خلاصة: حضر التكرار لألفاظ بعينها داخل دواوين الشاعر، وحملتها العناوين الداخليّة؛ ومن تلك الألفاظ المكرّرة (القدس والجهاد والشهادة)، استخدم الشاعر تلك الألفاظ وكرّرها ليؤكّد على ما تحمله تلك الألفاظ من أهميّة، وما زال يكرِّرها ليستميلَ بها القلوب المتلهِّفة إلى ما تحمله تلك الألفاظ من معانٍ رفيعة، يستخدم الشاعر تلك الألفاظ التي تشكل ثالوثا مميّزا ليعبّر عن الألم، ويعيد البوصلة إلى اتّجاهها الصحيح؛ لذلك تكرّر الثالوث اللفظيّ (القدس – الشهادة – الجهاد) في عدد من العناوين الداخليّة وقدرها ستّون عنوانا، وهي تمثّل نسبة لا بأس بها من مجموع العناوين العامّة؛ وتختزل الألفاظ الثلاثة فصول الحكاية كلَّها على أرض فلسطين، وتوصلنا إلى معادلة مفادها : من أجل القدس لا بدَّ من مواكب المجاهدين الذين هم في حالين إمّا النصر وإمّا الشهادة؛ وبذلك يتحقَّق التحرير والعودة .

وتجدر الإشارة أنَّ الشاعر كرَّر ما كرّر من ألفاظ ومعانٍ عن كامل وعي وإدراك؛ وهو يدرك الأثر المصاحب لذلك، وهكذا حقّق التكرار غاياته وأهدافه . وانكشفت وراءه سمات واضحة المعالم .

الفصل الثالث

وظائف العنوان في شعر يوسف العظم

المبحث الأوّل : وظائف العنوان

المبحث الثاني : وظائف العناوين الخارجيّة عند يوسف العظم

المبحث الثالث : وظائف العناوين الداخليّة عند يوسف العظم

المبحث الرابع : الوظيفة التعيينيّة عند يوسف العظم

المبحث الخامس : الوظيفة الإغرائيّة عند يوسف العظم

المبحث السادس : الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة عند يوسف العظم

المبحث السابع : الوظيفة الدلاليّة عند يوسف العظم

يحقّق العنوان أغراضا متعدّدة، ويتكوّن من مضامين مختلفة، ويَتْبع نظام اللغة العام في تركيبه من حيث النّحو والبلاغة، ولا يقف عند حدود المعنى المعجميّ فقط، بل يتعدّاه إلى كشف دلالات تلك التراكيب ممّا يجعل اللغة حيّة وسامية في خطابها، والعنوان علامة لغويّة ويأتي شاملا لأنماط الجملة في اللغة العربيّة؛ حيث يأتي جملة اسميّة أو جملة فعليّة، تقصر تلك الجملة أو تطول .

" إنَّ العنوان عبارة عن علامة لسانيّة وسيميولوجيّة غالبا ما تكون في بداية النصّ؛ لها وظيفة تعيينيّة ومدلوليّة، ووظيفة تأشيريّة أثناء تلقّي النصّ والتلذّذ به تقبُّلا وتفاعلا، وتتجاوز (دلالة العنوان) دلالاته الفنيّة والجماليّة لتندرج في إطار العلاقة التبادليّة الاقتصاديّة والتجاريّة تحديدا؛ وذلك لأنّ الكتاب لا يعدو كونه من الناحية الاقتصاديّة منتوجا تجاريّا، يفترض فيه أن تكون له علاقة مميّزة؛ وبهذه العلاقة بالضبط يحوّل العنوان المنتوج الأدبيّ أو الفنيّ إلى سلعة قابلة للتداول، هذا بالإضافة إلى كونه وثيقة قانونيّة، وسندا شرعيّا يثبت ملكيّة الكتاب أو النصّ وانتماءه لصاحبه، ولجنس معيّن من أجناس الأدب أو الفنّ " [1]

المبحث الأوّل : وظائف العنوان

يمكن للباحث أن يحصر وظائف العنوان في الدراسات العلميّة، أو الكتابات التاريخية أو العلوم الإنسانية، ولا يقتصر العنوان على كونه مجرد أداة تعيين؛ وإنما يكون اعتصارا للنصّ، وإعلاما بفحواه حتى إذا قرئ العنوان عرف موضوعه، مثل(**معجم الأعلام للزركلي**) و(**الكامل في اللغة والأدب للمبرد**)و(**تاريخ الخلفاء للسيوطيّ**). إلا أنّه من الصعب حصر وظائف العنوان في الأعمال الإبداعيّة شعرا ورواية وقصّة، وهذه هي البديهيّة الأكثر بروزا للباحث في أمر العنونة في الإبداع. [2]

تتفاوت وظائف العنوان في أهمّيتها وحضورها بين الشعر والرواية، وتتباين من نوع أدبيّ إلى آخر، حيث أنّ نوع الجنس الأدبيّ للنصّ يختصر أو يولّد وظائف معيّنة للعنوان، وهذا ما أثقل على الدارس السيميائيّ في تحديد وظائف العنوان، وعدّوا أنّ العنوان ذو وظائف تجلّ عن الحصر؛ وذلك من منطلق أنّ العنوان متعدّد المكوّنات، كثير الأنماط، متغيّر متجدّد عبر الأزمان، ويسمّي أجناسا

([1]) جميل حمداوي ، مقاربة العنوان في الرواية العربية ،. الانترنت (. Http://pulpit .alwatanvoice.com)
([2]) ينظر: بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ،49 .

أدبيّة كثيرة التنوّع، كما أنّ العنوان يعكس ثقافة المبدعين المختلفة، وهم يعبّرون عن وجهات نظر مختلفة.[1]

" وتبدو مواجهة سؤال العنوان وتحديد وظائفه من الصعوبة بمكان لا تقل عن مواجهة سؤاال الإبداع نفسه،أو الإبداعية ذاتها، وهي تعانده وتراوغه قبل أن تسمح له بولوج بعض منافذها في لحظات سديميّة غامضة " [2]

سأقوم فيما يأتي بذكر بعض وظائف العنوان، كما حدَّدها العلماء والنقاد وهي :

1- وظيفة التسمية 2- وظيفة التعيين 3-الوظيفة الوصفيّة /الإشاريّة 4-الوظيفة الإغرائيّة /الإقناعيّة 5- وظيفة الدلالة أو الإحالة أو الإيحاء 6 - الوظيفة الجماليّة 7- الوظيفة البصريّة والايقونيّة 8- الوظيفة التواصليّة [3]

إنّ وظائف العنوان لا تقف عند هذا الحدّ، بل لو أردنا أن نرصدها لوجدناها كثيرة تجلّ عن الحصر؛ لتشابكها وتمازج بعضها ببعض؛ وكذا اختلاطها مع وظائف النص وأركان التواصل الأخرى كالإعلانات، واللوحات الإشهاريّة، ولافتات المحلات وغيرها ممّا جعلته السيمياء ميدانا لها. لذلك سأحصر هذه الوظائف في أربع وظائف رئيسة هي(التعيينيّة والوصفيّة والدلاليّة والإغرائيّة) حيث يمكن سحب هذه الوظائف على معظم العناوين الشعريّة والنثرية.وفيما يأتي تفصيل لهذه الوظائف:

أ- وظيفة التعيين

تعتبر هذه الوظيفة من أبرز وظائف العنوان، فهي وظيفة تشترك فيها الأسامي أجمع وتصبح بمقتضاها مجرَّد ملفوظات تفرِّق بين المؤلّفات والأعمال الفنيّة، بل هي رواسم تهدي إلى الكتاب أو

([1]) ينظر: فرج مالكي ، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينيّة ، 41
([2]) رشيد يحياوي ، الشعر العربي الحديث ؛ دراسة في المنجز النصّي ، 107 .
([3]) فرج مالكي ، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينيّة ، 41 +42 .وينظر: رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث ؛ دراسة في المنجز النصّي، 107 . وينظر: محمود الهميسي ، براعة الاستهلال أو في صناعة العنوان، 7+ 8 .وينظر: بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 44- 51 .وينظر: الهاشم أسمهر،عتبات المحكي القصير، 105 +106. وينظر:شعيب حليفي ، إستراتيجيّة العنوان ، 98- 100.

المنحوتة أو الرسـم، ولكنّ هذه الوظيفة تقف قاصرةً أمام اجتهاد المؤلِّف واختياره، وأمام جدِّ المسؤول أو القارئ العارف[1] فيقوم هذا العنوان حسب هذه الوظيفة بتعيين جنس النص وهويته، ويساهم في إبراز انتمائه، ويجعل القارئ يعتقد أنّه أمام ديوان شعريّ، وليس رواية أو سيرة ذاتية.

ويجد الباحث أسماء أخرى لهذه الوظيفة، حيث أشار بعضهم إلى أنّها وظيفة التعيين والإعلان عن المحتوى، أو إلى وظيفة التجنيس؛ أي التي تكشف عن نمط النص أو جنسه أو نوعه، وبعضهم أطلق عليه العنوان الغرضيّ تفريقا له عن العنوان الفنّي، وحتّى هذا التفريق من الصعب أن يخلو من اللمز أو العطب؛ لأنّ العنوان أحيانا قد يؤدّي الوظيفتين معا، ولكنّ (جيرار جينيت) سمَّى هذه الوظيفة كلّها" وظيفة العرض "سواء أعينت المحتوى أو الشكل أو كليهما" [2]

"يؤدّي العنوان الفنّي في الرواية والشعر هذه الوظيفة، ولكنّه يعتمد في نجاحه أو إخفاقه على ماهيَّته، وثقافة المتلقّي، ومع أنّه ليس من الصعب التمييز بين عنوان الرواية وعنوان الشعر؛ حيث العنوان يملك قدرته على التعيين، ولكنّ المسألة ليست دائما بهذه البساطة، خاصّة في العنوان الحديث حيث التشابه بين الشعر والنثر في الاتكاء على الاستعارة في تركيب العنوان"[3] ويعتبر كثير من الدارسين والنقاد أنّ الوظيفة التعيينيّة ووظيفة التسمية هما وظيفة واحدة وإن اختلفت التسمية .

ب–الوظيفة الوصفيّة /الإشاريّة

هي "وظيفة (براجماتيّة) محضة، ويطلق عليها الوظيفة اللغويّة الواصفة، ويسعى العنوان عبرها إلى تحقيق أكبر مردوديّة ممكنة؛ وهو ما يجعلها المسؤولة عن الانتقادات الموجّهة للعنوان، والصادر عن عدد لا بأس به من المبدعين والمنظرين، الذين أبدوا دوما انزعاجهم أمام التأثير الذي يمارسه العنوان عند تلقّي النصّ بفعل خاصيته التثقيفيّة الموجّهة إلى القارئ . حيث تكتفي العناوين بالإشارة والوصف في حياد تامّ، فتحدِّد هذه العناوين لنفسها بُعدا مرجعيّا، يتجلّى في جنس الخطاب، وموضوع الجنس الأدبيّ على حدٍّ سواء، كما أنّها في الوقت ذاته تفتح قناة اتصال مع المتلقّي" [4]

([1]) محمود الهميسي ، براعة الاستهلال أو في صناعة العنوان ، 7 + 8 .
([2]) بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 51 .
([3]) فرج مالكي ، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينيّة ، 42 +43 .
([4]) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 105 .

ت–الوظيفة الإغرائيّة /الإقناعيّة

تقوم هذه الوظيفة على إغراء المتلقي واستمالته، وتحرك فضوله وتدفعه إلى كشف أسرار النص الذي يشير إليه العنوان، وقد يغريه العنوان إلى شراء الكتاب وقراءته.

" ويسعى الأديب إلى استمالة المتلقّي بطريقتين: الأولى تتجسد في اقتراع موضوعات ترتبط بالشعر والحكمة والمستجدات الحياتية والوقائع السياسية؛ وهي موضوعات تشدّ الانتباه لا شكّ . الثانية: تكمن في الإغراء البلاغيّ؛ إذ أنّ أغلب هذه العناوين ينهض على لعبة التجانس الصوتي والتركيبي، وإنّ أهمَّ خصيصة لهذه العناوين هي التصريح والإعلان الواضح بأن المتلقي لن يخرج من سيرورة القراءة خاويَ الوفاض، إنّها عناوين نفعية تراهن على استمالة المتلقي إلى فضاء الحكي عن سبق وإصرار وترصّد، وبجرأة بارزة، وباختصار فهي خطابات عنوانية تؤسّس وتضع ميثاقي الكتابة والقراءة جنبا إلى جنب قبل الولوج في عوالم النصوص والأخبار " [1]

ويعتبر حمداوي وظيفة الإغراء وظيفة انفعاليّة، حيث يقول: " وهي وظيفة ذات طابع ذاتيّ، تحمل في طيّاتها انفعالات ذاتيّة وقيما ومواقف عاطفيّة ومشاعر يسقطها المتكلِّم عن موضوع الرسالة المرجعيّ فتحسُّه جيدا سننيا (معجميّا) جميلا أو قبيحا؛ مرغوبا فيه أو مذموما أو محترما أو مضحكا"[2]

ترتكز الوظيفة الإقناعية على جانب الإغراء فيكون العنوان هنا مطيّة لتداول الكتاب أو النصِّ ورواجه،؛ ويتعلّق الأمر بالعمليّة التجاريّة، وعندما تكون الإثارة قويّة يكون التلقّي واسعا والمقروئيّة كبيرة والكتاب متداولا، ومن هنا يحقِّق العنوان في جوانب عدَّة أغراضا تجاريّة. [3]

" وتتحقق وظيفة الإغراء عن طريق تحريض المتلقي وإثارة انتباهه وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وتتحقَّق بالطرق الآتية مجتمعة أو متفرقة: أ_الغرابة اللفظيّة ب–المأساويّة ت–الاستعارة ث– التساؤليّة " [4]

([1]) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 106 .
([2]) جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، 101 .
([3]) ينظر:رشيد بن مالك ، السيميائيّات السرديّة ، 57 .
([4]) فرج مالكي ، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينيّة ، 43-44 .

أخلص في الأخير إلى أنّ الوظيفة الإقناعيّة الإغرائيّة تكاد تكون سمة عامّة في معظم العناوين الفنيّة (الشعر والنثر)، ويبقى المبدع واضعا في حسبانه ونصب عينيه ذوق المتلقّي؛ لذلك نجده يميل إلى أقرب العناوين إلى عقل وقلب المتلقّي ليستميله إلى كتابه أو نصّه؛ رغبة في انتشار هذا الكتاب أو النصّ وتداوله .

ث- **وظيفة الدلالة أو الإحالة أو الإيحاء .**

يتمُّ من خلال هذه الوظيفة الإشارة إلى المحتوى والمضمون، وتنعكس وظيفة الدلالة للعنوان بوصفه نصّا صغيرا، أو ابنا للنصّ الكبير يشير إلى العمل الإبداعيّ، فهو اعتصار واختصار مُكثّف لنصٍّ قادم؛ وكأنَّ العنوان يشفّ عن الموضوع أو قد يصرف المتلقي إلى المكان الذي يشكّل الفضاء الشعريّ أو النثريّ، وتأتي الوظيفة الدلالية مصاحبة للوظيفة الوصفيّة، وتحمل بعضا من توجّهات المؤلّف في نصّه .[1]

ويقصد بالإيحاء : "الإشارة الضمنيّة إلى موقف إيجابيٍّ أو سلبيٍّ من موضوع الإخبار ومداره بدءا من العنوان"[2] وتعتمد الوظيفة الدلاليّة /الإيحائيّة على مدى قدرة المؤلّف على الإيحاء والتلميح من خلال تراكيب لغويّة بسيطة .

يعتني النقد الحديث بالدلائلية، وقد تأتي دلالة العنوان رمزيّة أو إيحائيّة تحتاج معها إلى حسن تلطُّف في التأويل، وقد تكون إحاليّة أو مرجعيّة، أو غير ذلك من الصور الدلاليّة."وإذا كانت العنونة في الشعر كثيرا ما تميل إلى الإيحاء، وتطيح بتوقعات المتلقي، وتتكتّم على نفسها، وتراوغ وتتمنّع، فإنَّ بعض العنونة في حقل النثر سواء أكان علميا أو أدبيا، تبدو أكثر إخلاصا إلى الإحالة والتعيين وأقل رغبة في المراوغة والتكتُّم، وإن كنّا لا نعدم حضور مثل هذه الصفات...؛ ومن هنا فإن مقاربة العنوان في حقل النثر قد تبدو أقلّ صعوبة من مقاربتها في حقل الشعريّة"[3]

(1) بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 117 . وينظر : فرج مالكي ، م . س . ، 44 .
(2) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 106 .
(3) بسّام قطّوس ، م . س . ، 117 .

" تعتبر الوظيفة الدلاليّة ذات طابع موضوعيّ معرفيّ، تتمركز في المرجع النصّي، وتركّز على موضوع الرسالة، ويحقّق العنوان هذه الوظيفة نظرا لوجود الملاحظة الواقعيّة، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر " [1]

وتبدو الخطابات العنوانيّة حسب هذه الوظيفة " أقلّ جرأة على التصريح بمقاصد الكتابة ورهانات الإخبار؛ وقد يكون في الأمر احتراز من الظهور أمام المتلقي بمظهر الفارض وصاية عليه . ولكن إذا دقّقنا النظر قليلا فسيتضح أنّها تخفي بمنزعها الإيحائيّ رغبة في الاستدراج أقوى من الإغراء الواضح؛ أي أنّ التلميح قد يكون أجدى من التصريح، حينما يجد المتلقي نفسه مجبرا منذ البداية على تشغيل آلياته التأويليّة، وبذل جهد لبناء أفق انتظاره، بدلا من ترك المصنّف يؤثثه له بالنيابة عنه "[2]

إنّ العناوين هي رسائل مسكوكة مضمّنة بعلامات دالّة مشبعة برؤية العالم، يغلب عليها الطابع الإيحائيّ؛ لذا فعلى السيميائيّة أن تدرس العناوين الإيحائيّة قصد فهم القيم التي تزخر بها،وعدم الاكتفاء بردِّ الفعل الأوّلي، والحكم الذي يصدره المتلقي أوّل الأمر، وعلى الناقد التسلّح بالأدوات اللازمة لإصدار الحكم الصحيح.

تحديد وظيفة العنوان:

يؤدي العنوان تلك الوظائف مجتمعة، ولكن بتفاوت في الدرجة والمستوى، ويمكن معاينتها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، وتكون وظيفة ما غالبة على الأخرى حسب نمط الاتصال " ولا بدّ من وجود قيمة مهيمنة؛ لأنّ العنوان في نصٍّ ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون الأخرى"[3]

ويأتي هذا التفاوت ضمن مستويين : الأول الابتدائي : يجد تعبيره في وظائف التسمية والإغراء والجماليّة والبصريّة؛ وذلك لأنّ هذه الوظائف أوليّة تنظر إلى العنوان بوصفه نصّا متجسّدا بذاته . والثاني تناصيّ : يتمثّل في وظائف الوصف والتعيين والدلالة والتواصليّة، حيث لا يمكن

([1]) جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، 102 .
([2]) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 107 .
([3]) جميل حمداوي ، م . س . ، 104 .

تقييم النجاح في تحقيق هذه الوظائف إلا بعد دراسة العلاقة الجدليّة بين نصّ العنوان والنص الرئيس المتمثِّل في جسد النصّ، وهنا يتحوّل العنوان إلى نصٍّ ثانٍ تكشفه القراءة. [1]

إنّ تحديد وظيفة العنوان ليس بالأمر السهل، ولا يتأتّى للمتلقي والناقد بالسذاجة أو العشوائيّة؛ وإنّما لا بدّ من منهج ومعيار لذلك وسوف يظهر ذلك من خلال المعالجة للعناوين، ورصد الوظائف فيها وتبويبها وترتيبها في قادم الصفحات . ولا بدَّ للمتلقي أن يتسلّح بالمعلومات الكافية والمنهج القويم للكشف عن وظيفة العنوان الذي يترأس العمل الأدبي، وللشعر مزايا وخصائص تختلف عن الأنواع الأدبية الأخرى، والمبدع للقصيدة يختار عناوين أكثر شاعرية وأكثر اختزالا، ولا تخلو تلك العناوين من الانزياح والعدول والإيحاء بطرق مختلفة ؛ حتى أن تلك العناوين تحتاج إلى أكثر من قراءة قبل أن يحكم الناقد والمتلقي إلى أيّة وظيفة ينتمي العنوان . ولقد أتاح الشعر الحديث (الشعر العمودي وشعر التفعيلة) مساحة كبيرة للمبدع، واتّسعت الآفاق أمام الشاعر، ومن هنا تأتي ضرورة تعدُّد القراءة قبل تحديد وظيفة العنوان .

المبحث الثاني : وظائف العناوين الخارجيّة عند يوسف العظم

يطلق على العناوين الخارجيّة للأعمال الأدبيّة والإبداعيّة مسمّيات مختلفة، فنجد من يطلق عليها اسم العناوين الضامّة، أو العناوين الرئيسة، أو عنوان الديوان، أو عتبة العنوان أو اسم الديوان . ومع اختلاف هذه المسميّات إلا أنّها تصبّ في جدول واحد؛ وهذه المسميات تكشف عن أوّل وظيفة للعنوان حسب الجنس الأدبيّ، وهي تكشف عن هويّة العمل الإبداعيّ، وتمثّل تلك المسميات وظيفة تشترك فيها جميع العناوين (وظيفة التسمية) .

حدّد يوسف العظم العناوين الخارجيّة (عناوين الدواوين) وعلّل في كثير من الأحيان سبب التسمية، وكشف عن سبب العنونة في مقدّمات الدواوين الشعريّة وكشفنا عن ذلك في أكثر من موقع في الدراسة .

ضمّت الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم تسعة دواوين، سأتناول هذه العناوين بالتفصيل في وظائفها المختلفة، وسنرى ما ستؤول إليه النتائج فيما يخدم السيميائيّة والبلاغة العربيّة .

---

(1) فرج مالكي ، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينيّة ، 45+46 .

العنوان الأول : في رحاب الأقصى

يسم الشاعر يوسف العظم باكورة دواوينه الشعريّة بعنوان يكشف عن قضيّة مركزيّة تمتدُّ ظلالها عبر الزمان والمكان، عنوان(في رحاب الأقصى) يكشف عن القضيّة الفلسطينيّة في كلّ أبعادها .يصدر الشاعر ديوانه الأول عام (1970م) بعد النكسة بثلاث سنوات في إشارة واضحة لمدى معاناة الشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال الإسرائيليّ، تلك المعاناة فجّرت لدى الشاعر المشاعر، فترجمها شعرا ملتزما بتلك القضيّة المركزيّة. واختار الشاعر لديوانه الأوّل ذلك العنوان المركزيّ، ويقصر شعره على القدس ومدينتها المقدسّة ومسجدها الأقصى، ويسجِّل الشاعر بيده الدوافع والأسباب لكتابة ذلك الديوان، وهو ما ورد في مقدمة الديوان .

يقف الدارس أمام سؤال مهم ألا وهو: ما وظيفة هذا العنوان؟ وما الذي يكشفه عنوان **(في رحاب الأقصى)؟**

يكشف العنوان**(في رحاب الأقصى)** في تركيبه النحويّ ونمطه وأسلوبه عن أكثر من وظيفة؛ فوظيفة التسمية حاضرة . يؤدّي العنوان هذه الوظيفة ليميّزها عن غيرها من الأجناس الأدبيّة، ويعلن عن ميلاد ديوان شعريّ خاصّ .

وتظهر وظيفة التعيين من خلال العنوان ويستطيع المتلقّي تحديد نوع العمل الأدبيّ؛ ويكشف القارئ من خلال العنوان أنّه أمام ديوان شعريّ وليس أمرًا آخر ،حيث جاء على صفحة الغلاف العنوان متبوعا بلفظة(شعر).

وتظهر وظيفة الدلالة والإيحاء؛ حيث يشير العنوان بكلِّ صراحة إلى مضمون الديوان ومحتواه، ويمثِّل العنوان**(في رحاب الأقصى)** نصّا صغيرا يشير إلى النّصّ الكبير، ويصرف العنوان المتلقّي إلى المكان الذي يشكِّل الفضاء الشعريَّ؛ واستطاع الشاعر تحقيق هذه الوظيفة من خلال تركيب لغويٍّ بسيط، وبألفاظ معدودة، ونمط لغويّ بسيط .

يسجّل العنوان تلك الوظائف السابقة مجتمعة بدرجات متفاوتة، ولكنّ حضور تلك الوظائف يبدو خافتا، وتتمظهر الوظيفة الإقناعيّة الإغرائيّة وتعلن حضورا مميّزا في عنوان الديوان الأول؛ ولتغليب هذه الوظيفة على أخواتها أسباب ومبرّرات، ويستبين الأمر عند تشريح العنوان كالآتي :

_ يرتكز العنوان على الوظيفة الإقناعيّة باعتماده على الإغراء، حيث جاء العنوان مطيّةً لتداول الديوان ورواجه، وشكلّ إعلانا إشهاريّا محفّزا للقراءة، يستثير الشاعر بهذا العنوان نفسيّة المتلقّي بغية استمالته لقراءة الديوان بطريقة إغرائيّة تثير في المتلقّي غريزة القراءة .

_ يكشف العنوان عن تحريض من قبل الشاعر للمتلقّي وإثارة انتباهه وإيقاظه؛ حيث ضمّن الشاعر عنوانه المسجد الأقصى، وركّز الحديث في ديوانه على ما يدور في رحاب المسجد الأقصى، وعالج في هذا الديوان ما يدور على أرض الإسراء والمعراج، ويكفي الشاعر اتكاءه على القضيّة الفلسطينيّة لتحقيق الوظيفة الإقناعيّة والإغرائيّة، ويدرك الشاعر مدى تعطّش جمهور المتلقّين إلى الحديث عن القدس والمسجد الأقصى .

_ يميل الشاعر إلى عنوان قريب إلى عقل المتلقّي وقلبه ؛ ليستميله رغبة في انتشار هذا الديوان وتداوله . وهذا ما تحقّق للشاعر فقد طبع الديوان مرّات عدَّة، وانتشر الديوان في الأردن وخارجها، كما أن الديوان أعطى للشاعر بطاقة عبور إلى الانتشار في عالم الشعر والشعراء .

_ نجح الشاعر في استمالة المتلقّي بالطريقتين : الأولى عن طريق اختيار الموضوع المرتبط بالمستجدّات الحياتيّة والوقائع السياسيّة، عنوان يرتبط بقضيّة مركزيّة تقضّ مضاجع العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . والثانية عن طريق الإغراء البلاغيّ؛ حيث نهض العنوان على تركيب بلاغيّ خاصّ، فيه الإيجاز بالحذف.وفيه تقديم وتأخير.

– حقَّق العنوان هذه الوظيفة الانفعاليّة حين أسقط الشاعر موضوع هذه الرسالة فأثار بها العواطف، ونجح الشاعر في إغراء المتلقّي واستمالته وتحريك فضوله للكشف عن أسرار النّصّ الذي يشير إليه العنوان. قام الشاعر بذلك عن طريق مخاطبة النفس والعقل فحقّق بذلك الإغراء والإيحاء.

العنوان الثاني : عرائس الضياء

يحمل الديوان الثاني عنوانا مختزلا وموجزاً، يعتمد على التركيب الإضافيّ، يحمل العنوان دعوة للبهجة والفرح، ويعتمد العنوان على المجاز فليست العرائس فتيات تُزفّ إلى بيوت أزواجها، وإنّما هي قصائد شعريّة تحمل في طيّاتها رسالات كأنّها العرائس التي تنشر الضياء والنور .ويثير العنوان مجموعة من التساؤلات في عقل المتلقّي ووجدانه.

إنّ القارئ للعنوان(**عرائس الضياء**)يقف على عدّة وظائف، يكشفها العنوان. فالوظيفة التعيينية حاضرة ووظيفة التسمية كذلك، ونجد إغراءً وإقناعا من خلال الإغراء البلاغيّ الناتج عن التركيب اللغويّ والنَّحويّ، ونجد الوظيفة الدلاليّة حاضرة في العنوان؛ حيث صرف الشاعر المتلقّي إلى المكان الذي يشكّل الفضاء الشعريّ، وانعكست هذه الوظيفة من خلال التركيب اللغويّ البسيط.

يضطلع العنوان **(عرائس الضياء)** بتلك الوظائف المتعدّدة بصفة متزامنة، ولكن لا بدَّ من وجود وظيفة محدّدة تمتاز بالهيمنة على باقي الوظائف، والوظائف السابقة لا تشفي غليل الدارس ولا تعكس الوظيفة الحقيقيّة .

تتجلّى الوصفيّة في العنوان(**عرائس الضياء**) من خلال وصفها لمحتوى الديوان الذي تسمه من غير مراوغة ولا تضليل، كما تمنح القارئ فكرة عامّة عن محتواه قبل قراءته والاطِّلاع عليه .

تهيمن على العنوان الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة؛ لأنّ هذه الوظيفة تهتمُّ بالإخبار من دون إعلان أيّ مقصد، أو فرض توجيه؛ لذلك فالعنوان هنا يمتاز بالمحايدة كما أنّه يفتح قناة اتصال مع المتلقّي، وتبدو هذه الوظيفة واضحة في العنوان لاعتبارات نذكر منها :

_ يكتفي العنوان بالإشارة والوصف في حياد تامٍّ، وحتّى إن كان فيها شيء من الإغراء والإيحاء فإنَّ ذلك يتاخم ويقارب درجة الصفر . وبذلك يكون مفهوم هذا العنوان : هذه عرائس الضياء .

_ يبدو العنوان كما لو أنّه يقدّم إلى المتلقّي تحصيل حاصل الاستقصاء والاستخبار، ويترك للمتلقّي حريّة فهمها كما يشاء، من دون فرض وصاية أو ميثاق للقراءة قد يؤثّر ويوجّه عملية الإدراك .

_ يحدِّد العنوان لنفسه بعدا مرجعيّا يتجلّى في جنس الخطاب وموضوع الإخبار على حدٍّ سواء، كما أنَّه يفتح مع المتلقّي قناة اتِّصال ولا تفرض عليه وجهة محدَّدة في التأويل والتمثيل . [1]

العنوان الثالث : قناديل في عتمة الضحى

يتجاوز الشاعر في عنوان ديوانه الثالث(**قناديل في عتمة الضحى**)الوظائف الأوليّة والبسيطة، كوظيفة التسمية ووظيفة التعيين والوظيفة الوصفيّة الإشاريّة. بل يقوم العنوان على تشويش الأفكار من خلال التركيب اللغوي القائم على الاستعارة، ووجود الغموض الواضح من خلال العتمة التي تتجلّى في ساعة النور، أيّة عتمة في وقت الضحى؟يستقبل المتلقّي هذا العنوان بدهشة واستغراب وتكثر في رأسه التأويلات،وتتوالى الأسئلة للكشف عن كُنه العنوان، وخاصّة إذا لم يقرأ المتلقّي ما جاء في المقدِّمة؛ التي اجتهد الشاعر فيها تعليل التسمية وليته لم يفعل .

إنّ تشويش الأفكار يسمح للمتلقّي بتعدُّد القراءات وانفتاحها، وبالتالي رواج الديوان وانتشاره؛ ممّا يعني حضور وظيفة أخرى وهي الوظيفة الإغرائيّة الإيحائيّة. ولكنّ الشاعر تجاوز هذه الوظيفة بسبب المراوغة في العنوان القائم على ألفاظ بين النور والعتمة، وبين الشيء وضدّه (العتمة والضحى) .

يحمل العنوان(**قناديل في عتمة الضحى)** بعضا من توجّهات المؤلّف في نصوصه، ويجد المتلقّي أنّ العنوان يشير ضمنيّا إلى موقف إيجابيّ، يتمثّل هذا الموقف في إشاعة النور وتحطيم الظلام . لذلك ومن خلال هذا النّصّ الصغير تتجلّى الوظيفة الإيحائيّة الإحاليّة لتهيمن على باقي الوظائف، وتَحقَّقَ حضورُ هذه الوظيفة من خلال ما يأتي :

_ إيحاء العنوان غير المباشر عن المتون ومضمون القصائد، فالعنوان لا يصف الموضوعات كلَّ الوصف، ولكنَّ الألفاظ تجعل القارئ يستشعر نوع النّصِّ وموضوعه .

_ الوظيفة الدلاليّة تحتوي قدرا من الجماليّة والجاذبيّة، ممّا يمكِّنُها من إغراء الجمهور المقصود ، وتحقَّق ذلك من خلال المجاز الذي يغلِّف العنوان .

([1]) ينظر : الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 105 .

_ إشارة العنوان إلى موقف إيجابيّ أو سلبيّ؛ وهذا ما كشفه العنوان .

_ غياب التصريح بما يقصده الشاعر وعدم الظهور أمام المتلقّي بمظهر الفارض وصاية عليه . وقد يتحقّق بالتلميح ما لا يتحقَّقُ بالتصريح .

_ مثَّل العنوان رسالة مسكوكة مُضمَّنة بعلامات دالّة مشبعة برؤية الشاعر، يغلب عليها الطابع الإيحائيّ، ووجّه ذلك لخدمة قيمة معيّنة يستنتج المتلقّي أنّها إيجابيّة .

العنوان الرابع : الفتية الأبابيل

إن عنوان(**الفتية الأبابيل**) يسم مجموعة من القصائد حول بؤرة الصراع العالميّ؛ ولذلك يتجاوز العنوان البساطة والسذاجة، ويتخطّى الوظائف البسيطة مع حضورها الخافت، ويتّكئ الشاعر على ثقافته الدينيّة، ويستحضر حادثة الهجوم على الكعبة على يد أبرهة الأشرم وجنوده، تلك المعركة التي صوّرها القرآن الكريم في سورة الفيل . ومن هذا المنطلق يعقد الشاعر المشابهة بين حجارة الفلسطينيّين وحجارة الملائكة المسوّمة على الكافرين .

تحضر في عنوان(**الفتية الأبابيل**)الإحالة إلى القرآن الكريم، وتشي الألفاظ المؤلّفة للعنوان بالنزعة الإسلاميّة والمعنى الدينيّ؛ إنَّ هذه الإحالة تجعل المتلقّي يطمئنُّ منذ العنوان إلى أنَّ موضوع الديوان دينيٌّ محض، ممزوج بروح وطنيّة عالية، وهذا ما تؤكّده قصائد الديوان بعد الولوج إليها .

تهيمن الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة على عنوان الديوان، وهذا ما تكشفه الألفاظ المكوّنة للعنوان، حيث أنّها تجعل القارئ يستشعر نوع النص وموضوعه، مع أنّها تقترب من الوظيفة الوصفيّة وتبتعد عن التعيين، وينتج ذلك بسبب إيحاء العنوان غير المباشر على متن الديوان .

يدلّ العنوان دلالة ضمنيّة على أنّ قصائد الديوان مفعمة بالروح الثوريّة والنزعة الجهاديّة، وهذا ما تؤكّده العناوين الفرعيّة **(يا عرينا به الجهاد تباهى) (الله أكبر تعلو من مآذنها) (ثورة المساجد) (فالطفل فينا مارد جبّار)** .

تشكّل هذه العناوين وغيرها إحالة على بؤرة الجهاد العربيّ والإسلاميّ في الزمن المعاصر ألا وهي فلسطين، هذه القصائد تسعى إلى شحذ الهمم، وحثِّ النفوس من أجل تحرير أرض الإسراء والمعراج، ويتغنّى الشاعر بالحجر المقدَّس كسلاح فتّاك، يستحضر الحدث قول الله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [1] .

تَكشَّفت الوظيفة الدلاليّة من خلال التركيب البسيط الذي يحيل إلى موقف عظيم وقيمة أصيلة، ويمتلك العنوان قدرا عاليا من الجماليّة والجاذبيّة يغري الجمهور ويجعله يبحث عن قصد الشاعر من العنوان، واستطاع الشاعر صرف المتلقّي إلى المكان الذي يشكّل الفضاء الشعريّ .

العنوان الخامس : لو أسلمت المعلقات

يتعدّى العنوان**(لو أسلمت المعلقات)** وظيفتي التسمية والتعيين، مع حضور للوظيفة الإغرائيّة من خلال التحدّي الذي اختاره الشاعر، عندما يستثير القارئ ليقرأ القصائد الجديدة ويدفعه ذلك إلى مقارنتها مع القصائد الأصليّة، وبالتالي إعطاء الحكم على مدى تحقيق الشاعر لهدفه من خلال هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر، وهل كان موفَّقا في معارضاته أم لا؟.

إنّ العنوان **(لو أسلمت المعلّقات)**لا يعدو أن يكون اختزالا ووصفا لموضوع قصائد الديوان، ويخلو العنوان من الانزياح؛ لذلك تسيطر الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة عليه، ولا تختلف هذه الوظيفة عن الوظيفة التعيينية من حيث عدُّها وسما مباشرا لمحتوى النصّ أو لجزء منه، ولكنّها تتخلّى عن سلبية الوظيفة التعيينيّة وجفافها؛ حيث إنّها لا تقيِّد القارئ ولا تحدُّ من حريّة تأويله للعنوان .

وتتجلّى الوصفيّة في العنوان من خلال وصفها لمحتوى الديوان الذي تسمه من غير تضليل ولا مراوغة، كما أنّها تمنح القارئ فكرة عامّة عن محتوى الديوان قبل الاطلاع عليه .

وظهرت الوظيفة الوصفيّة في العنوان من خلال بنيته التركيبيّة؛ تركيب منطقيّ لا انزياح فيه، واتّكأ الشاعر على نصوص القصائد التي لم تكن سوى ترديدٍ وتفسير لعناوينها .

([1]) سورة الأنفال ، 8 / 17 .

العنوان السادس : قبل الرحيل

يحمل الديوان السادس عنوان**(قبل الرحيل)** ونترك للشاعر أن يذكر الأسباب والدواعي لوسم الديوان بهذا الاسم . يقول يوسف العظم :" قصائد الديوان جمعتها ممّا لم ينشر في ديوان من قبل، سوى قصيدة أو اثنتين كنت قد نشرتها في دواوين سابقة... وخاصّة أنَّ القصائد تكاد تكون آخر ما قلت من شعر، أو تَغنيْتُ به من قصيد. وعنوان الديوان كما هو واضح (قبل الرحيل) اختاره شاعر يودّع الدنيا وقد شرف على السبعين، فإن رحلت قبل صدور الديوان فقد أوصيت الناشر الكريم أن يبدّل كلمة واحدة من اسم الديوان ليصبح بعد الرحيل" [1]

يُقرَأ الديوان من عنوانه، ويختصر الشاعر ما يجيش في صدره، ويمنح القارئ فكرة عامّة عن محتوى الديوان قبل الاطّلاع عليه، وتأتي العناوين الداخليّة ترجمة وتوضيحا للعنوان الرئيس ، ومن هذه العناوين: **(رحماك ربي)، (إن كان في العمر بقيّة) (عود إلى الله) (أرأيتم كيف تنداح الدوائر؟) (ضراعة داعية) (الصراع بين الحقِّ والباطل) (منهج ربانيٌّ متكامل) (كيف نحيا يا قوم من غير قدس ؟)**

تتنوّع قصائد الديوان**(قبل الرحيل)** وتمثّل خلاصة ما وصل إليه الشاعر، وتشكّل في مجموعها رسائل مسكوكة يبعثها الشاعر في اتّجاهات متعدّدة؛ تنقسم قصائد الديوان بين المناجاة والثوريّة والعاطفة والألم والأمل؛ إنّ هذا الانقسام أجبر الشاعر على اختيار عنوان يصف الموضوعات ويمثّلها دونما إقصاء لأيّ طرف؛ لذلك جاء العنوان وصفيّا خاليّا من أيِّ إغراء أو غواية؛ ولذلك اضطرّ الشاعر إلى الوصفيّة في العنوان باعتبارها الأمثل والأشمل .

كشف العنوان عن الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة كوظيفة مهيمنة على عنوان الديوان، وأظهرت الوصفية أنّ عنوان الديوان **(قبل الرحيل)** يتولّى مَهمَّة وسم مجموعة من القصائد. ويظهر العنوان منطقيّا لا انزياح فيه، انطلاقا من بنيته التركيبيّة، واتّكاءً على نصوص قصائد الديوان؛ التي لم تكن سوى ترديد وتفسير لتلك العناوين .

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 289 .

اكتفى العنوان بالوصف والإشارة في حياد تامّ، وفتح العنوان قناة اتّصال مع المتلقّي يدعوه إلى قراءة ما جاء في الديوان؛ وبذلك ينجح الشاعر في العنونة حيث إنّ العنوان لم يحد عن الرسالة المنوطة به، ويصفها وصفا دقيقا، وكلّ القصائد ما هي إلى رسائل أراد الشاعر المودِّع للحياة أن يبثَّها إلى المتلقّي؛ وبذلك تجلّت الوظيفة الوصفيّة في عنوان الديوان(**قبل الرحيل**) حيث اكتفى العنوان بالإشارة والوصف في حياد تامّ، فيكون مفهوم العنوان على الشكل التالي: (قصائدي قبل الرحيل) .

الديوان السابع : على خطا حسان .

وسم الشاعر ديوانه السابع بعنوان (**على خطا حسّان**)، حسّان بن ثابت الأنصاريّ شاعر الدعوة الإسلاميّة، وشاعر الرسول الأمين (صلّى الله عليه وسلّم)، ويعلن يوسف العظم في هذا العنوان أنه سيمشي على أثره، ويتبع خطاه زمن الدعوة، سيسير في ركب الدعوة جنديّا مخلصا وفيّا، سلاحه القلم والشعر؛ ولشدّة حبّه للدعوة الإسلاميّة ولشعرائها؛ فإنه اختار علما بارزا، وشاعرا فحلا ليتأسّى به، ويجعله قدوته مع اختلاف الزمان والمكان والحدث؛ لعلَّ ذلك يؤهِّله ليكون رقما صعبا بين شعراء الدعوة الإسلاميّة يوجّهه إلى تلك المكانة ما حلّ بالأمّة من انكسار وهزائم وويلات ورجوع القهقرى . فتلمّس الشاعر طريق سابقيه من شعراء الدعوة، وحمل لواء الدفاع عن القدس والأقصى، وأعلن عن نفسه جنديّا وفيّا ومخلصا لهذه الدعوة.

يُعبّر يوسف العظم عن هذا الانتماء الإسلاميّ، ويرفع لواء الدفاع عن دينه وتعاليمه، ويتغنّى بحسّان بن ثابت الذي سكن روحه فسار على خطاه، يعبّر عن ذلك في باكورة قصائد الديوان تحت عنوان (**راية الشعر**) . ويقول [1] :

وَرايَـةُ الشِّـعْـرِ للإسْـلامِ أرْفَعُـهـا كالشَّمـسِ يُشْرقُ مَجْلُوّاً بِأَوْزانِ **[البسيط]**

يَعيشُ حَسّانُ في قَلْبي وفي قَلَمي فَهَلْ بَلَغْتُ بِشِعْري روحَ حَسّانِ

يتجاوز العنوان (**على خطا حسّان**) وظيفتي التسمية والتعيين، مع التأكيد على وجودهما الخافت، ويخلو العنوان من الإغراء والإيحاء، فالغواية والإغراء تصل درجة الصفر في هذا العنوان،

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 235 .

ويحيل العنوان من خلال وجود حسّان بن ثابت إلى موضوع الديوان، ويجعل العنوان القارئ يطمئنُّ من العنوان إلى أنّ موضوع الديوان دينيّ محض، ويشي العنوان بالنزعة الدينيّة والمنحنى الدينيّ للطرح، وبذلك تتجلّى الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة ولكن بدرجة ضعيفة؛ لأنّ العنوان مباشر في طرحه يغيب عنه الإيحاء غير المباشر الذي يميّز الوظيفة الدلاليّة .

تهيمن الوظيفة الوصفيّة على عنوان الديوان ويظهر ذلك جليّا واضحا، حيث إنّ العنوان يصف الديوان وصفا دقيقا، وتتجلّى الوظيفة الوصفيّة من خلال وصفها لمحتوى الديوان الذي تسمه من غير مراوغة ولا تضليل، كما أنّها تعطي القارئ فكرة عامّة عن محتوى الديوان قبل قراءته والولوج إلى نصوصه .

يقدِّم العنوان تبعا للوظيفة الوصفيّة تحصيل حاصل الاستقصاء والاستقراء؛ وتترك هذه الوظيفة للمتلقّي حريَّة فهم العنوان كيف يشاء، من دون فرض وصاية عليه. ويحدّد العنوان(**على خطا حسّان**) لنفسه بُعدا مرجعيّا، يتجلّى في جنس الخطاب(شعر) وموضوع تلك القصائد على حدٍّ سواء .

العنوان الثامن : أناشيد وأغاريد للجيل المسلم .

يوجّه يوسف العظم هذا الديوان إلى فئة مهمّة في المجتمع، وشريحة تحتاج إلى عناية خاصّة، هذه الشريحة تحتاج الأناشيد والأغاريد وتحتاج جوّا يسوده الفرح والمرح، ويعكس العنوان فوائد تربويّة عظيمة يستقرؤها كلّ من خاض العمليّة التعليميّة؛ والأطفال يتعلّمون عن طريق الأنشودة ويستفيدون منها وهم بعيدون كل البعد عن الرتابة والتقاليد الصارمة. إنّ فكرة التعليم عن طريق الإنشاد واللعب هي فكرة خلاّقة تستحقّ المتابعة، وأن توضع على محمل الجد والأهميّة والمتابعة؛ ولكن ضمن منهجيّة علميّة وتربويّة صحيحة .

يعلِّل الشاعر سبب كتابته لهذا الديوان في المقدِّمة تحت عنوان " **كلمة لا بدَّ منها** " ولنقرأ ما كتبه الشاعر : "عشت مع الصغار ولهم، أرقب همس الشفة، ورعش الجفون، ووميض البراءة في العيون النقيّة الصافيّة، ومن لثغات الألسن، ورعش الجفون، وبراءة العيون انطلقت أكتب لأجيال الغد المؤمنة : عقيدة وعبادة وتراثا وسلوك حياة . وما من شيء أبتغيه، ولا غاية أرتجيها سوى رضوان

الله . هذه الأناشيد والأغاريد ليست خاصّة بمدرسة دون أخرى، ولا بأسرة دون أخرى ؛ بل هي لكلّ مسلم يحبّ له أبواه أن ينشأ النشأة الإسلاميّة الخالصة " [1]

يسم العنوان مضمون النصِّ بكلِّ دقّة، وبأقلّ ما يمكن من احتمالات اللَّبس، ولا يمكن للقارئ أن يتخيّل أنَّ مضمون الديوان مخالف لما جاء في العنوان، وجاءت قصائد الديوان أناشيد يتغنّى بها الأطفال حول مواضيع ترتبط بعقيدتهم وحياتهم وأخلاقهم وذكرياتهم وأعيادهم . وهذه طائفة من العناوين الداخليّة تثبت صحّة ما توصّل إليه الباحث :**(الله ربي) (الوضوء) (الصلاة) (الزكاة) (صوم رمضان) (العيد) (الإسراء والمعراج) (الهجرة) (فتح خيبر) (معركة اليرموك) (أمّي) (أبي) (نشيد الورد) (من مبدع الكون سواه ؟!)**

تحضر الوظيفة التعيينيّة بشكل لافت في عنوان الديوان؛ ولا يتعدّى هذا العنوان طبيعة التعيين والتسمية، ويعود سبب اعتماد الشاعر على وظيفة التعيين؛ أنّ طبيعة الموضوع لا تحتاج إلى عنصر الإغراء لجلب القرّاء، بل يكفي أن يذكر أنّ قصائد الديوان ما هي إلا أناشيد تتعلّق بحياة الطفل المسلم، ومن هنا يكتسب العنوان هيبته ووقاره وجاذبيّته؛ فتجلب إليه القراء .

تهيمن الوظيفة التعيينيّة؛ لأنها تكشف عن وفاء العنوان لنصوصه، وتُخْلِص في وسم مضامينه، يجدها المتلقّي سلبيّة جافّة، تفرض مسارا واحدا للقراءة، هذه الوظيفة تقيّد من حريّة التأويل، وتعتمد على المباشرة للكشف عن المحتوى.

الديوان التاسع : قطوف دانية

يقف المتلقّي أمام هذا العنوان الذي يقوم على نكرة موصوفة، حذف فيه أحد ركني الجملة الاسميّة (المسند والمسند إليه)، وتركيب مجازيّ ينضح بالبلاغة والبيان، يقف القارئ محتارا تكثر في رأسه الأسئلة ؛ ويجد فضاءً واسعا للتأويل، ويستشعر القارئ الجماليّة والجاذبيّة، ويغريه العنوان ولو بدافع الفضول إلى الدخول إلى عالم النصوص .

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 377 .

تشي الألفاظ المؤلّفة للعنوان بالمنحى الدينيّ والنزعة الإسلاميّة؛ وذلك انطلاقا من ألفاظ العنوان المقتبسة من القرآن الكريم، إنّ هذا الاقتباس القرآنيّ يجعل القارئ يطمئنّ إلى أنّ موضوع الديوان دينيٌّ محض، وإذا رُبط العنوان بمبدع الديوان فإنّ المتلقّي لا يحتاج إلى كبير جهد للتوصّل إلى تلك الحقيقة، بل وبإمكانه إصدار الحكم الملائم على موضوع الديوان .

يتخلّى الشاعر في عنونة هذا الديوان عن الوظيفة الوصفيّة، التي حضرت في أغلب عناوين دواوين الشاعر، ولجأ إلى الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة مُتّكِئا على إحالة قرآنيّة .

تهيمن الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة على العنوان(**قطوف دانية**) من خلال اعتماد المؤلِّف على تركيب لغويّ بسيط يكشف عن قدرة عالية على الإيحاء والتلميح، والعنوان بما حواه من رمزية وإيحائيّة فإنّه يحتاج إلى حُسْنِ تَلطُّفٍ في التأويل .

يتمُّ من خلال الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة الإشارة إلى المحتوى والمضمون؛ وتنعكس هذه الوظيفة من خلال اعتبار العنوان نصّا مصغَّرا، وابنا صغيرا للنصِّ يشير إلى العمل الإبداعيّ، ويحمل العنوان تبعا لهذه الوظيفة بعضا من توجّهات الشاعر في نصوصه .

إنّ ما يميّز الوظيفة الدلاليّة عن بقيّة الوظائف– ورغم اقترانها بوظائف أخرى– هو الإيحاء غير المباشر عن متن الديوان، والعنوان(**قطوف دانية**) لا يعيِّن نصّا معيّنا، ولا يكشف عن هيمنة الوظيفة التعيينية ، وكذلك لا يصف العنوان النَّصَّ كلَّ الوصف تبعا للوظيفة الوصفية ؛ لكنّ الألفاظ تجعل القارئ يستشعر نوع النّصِّ وموضوعه. كشفت فيما سبق وظائف العنوان الخارجيّة، عناوين تسعة دواوين شعريّة ليوسف العظم، نلخِّص حضور هذه الوظائف في الجدول الآتي :

الوظيفة	عدد العناوين	النسبة المئوية
الوظيفة التعيينيّة	1	%11.11
الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة	3	% 33.33
الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة	4	% 44.44
الوظيفة الإغرائيّة	1	% 11.11
المجموع	9	%100

مزج يوسف العظم في عناوينه الخارجيّة بين مختلف الوظائف مع التباين الواضح بينها في نسبة الحضور، مع الإشارة إلى أنّ وظائف العنوان في الشعر عموما، وفي شعر يوسف العظم لا تتوقّف عند هذا الحدّ، ولكننا اقتصرنا على أشدِّ تلك الوظائف ظهورا وجلاء وهي الوظائف الأربعة التي ذكرناها في معالجة وظائف العناوين الخارجيّة، وأمّا بقيّة الوظائف كالانفعاليّة والاختزاليّة والشعريّة والبصريّة والتناصيّة والأيدلوجيّة، فإنّها مُضمّنة في الوظائف السابقة؛ وهذا يرجعنا إلى قول بسّام قطّوس حول صعوبة حصر وظائف العنوان في الأعمال الإبداعيّة حيث يقول :" وهكذا لو أردنا أن نرصد الوظائف التي انيطت بالعنوان لوجدناها تجلّ عن الحصر ... " [1]

كانت الغلبة في وظائف العنوان للوظيفة الوصفيّة كما يظهره الجدول السابق، وبلغت نسبة حضورها (44.44%) في مقابل (33.33%) للوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة، و (11.11%) للوظيفة التعيينيّة، و(11.11%) للوظيفة الإغرائيّة، وبعد هذه القراءة في وظائف العناوين الخارجية نستنتج الأمور الآتية :

1- يظهر ترتيب الوظائف ونسبة حضورها غلبة الوظيفة الوصفيّة، ونرجع ذلك لأسباب منها :

أ-طبيعة الموضوعات التي عالجها يوسف العظم في دواوينه، تلك الموضوعات التي غلب عليها الموضوع الدينيّ والوطنيّ؛ لذلك آثر المؤلف اللجوء إلى الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة؛ ليفتح قناة اتصال مع المتلقّي مع توجيه خفيّ من المؤلف نحو القيمة والغرض الذي يريده الشاعر.

ب-إنّ سيادة الوظيفة الوصفيّة وهيمنتها تعكس حال الشاعر يوسف العظم، وتكشف عن ثقافته الدينيّة الملتزمة، حيث نجده مناصرا للمدرسة التقليديّة؛ أراد الشاعر بذلك تقديم رسائل واضحة ومعينة بدون غواية لفظيّة أو إيحاءات بعيدة عن الواقع، وكأنّ المقام يحتاج إلى الوصفيّة في العنوان، وهو الأمر الذي يظهر غياب الضغط عن الشاعر، وعدم حاجته إلى الغموض والتعمية.

ج- لم يعمد الشاعر إلى تشويش فكر المتلقّي ومشاكسته، ممّا يقلّل من شاعريّة العنوان مع احتفاظ العنوان بصفة الجمال، ولا تنقص الشاعر المعرفة بالحلل اللفظيّة والصور المجازيّة والرموز التي يعتمد عليها العنوان الحديث، فجعل العلاقة بين المرسل والمتلقّي حياديّة، نتجت هذه الحياديّة بسبب

([1]) بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 25 .

هيمنة الوظيفة الوصفيّة على عناوين أربعة دواوين من أصل تسعة، ويبتعد الشاعر في هذه العناوين عن المراوغة ويقترب من المباشرة بدرجة كبيرة .

2- تظهر العناوين ذات الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة بوضوح في عناوين يوسف العظم، وسجّلت حضورا بنسبة (33.33%) في المرتبة الثانية مقارنة بالوظيفة الوصفيّة، ولظهور هذه الوظيفة والوظيفة الإغرائيّة أسباب نستقرئها كما يأتي :

أ-حرص الشاعر على جماليّة العنوان، لذلك اعتمد على الوظيفتين الوظيفة الدلاليّة الإيحائيّة والوظيفة الإغرائيّة، حيث بلغت نسبتهما معا (44.44%)، والعنوان لا بدَّ وأن تعلوه سمة الجماليّة؛ ليكون مغريا وجذّابا يوقظ حبَّ الاستطلاع ويؤجّج رغبة الكشف لدى المتلقّين .

ب- سعي الشاعر الحثيث إلى لفت انتباه القرّاء إلى الموضوعات التي يعالجها، موضوعات تهمُّ الأمّة جمعاء، سواء أكانت دينيّة أو وطنيّة، ولعلَّ أقصر الطرق وأنجعها هي سياسة الإغراء والإيحاء عبر العناوين، لذلك ظهرت الوظيفتين الدلاليّة والإغرائيّة بسبب طبيعة المواضيع .

ج- يتكئ الشاعر على الوظيفة الدلاليّة والإغرائيّة من خلال اختيار أجمل العناوين صياغة وأشدّها إغراءً، يسم بها دواوينه ويضعها على رؤوس الدواوين؛ كي تكون عوامل جذب واستقطاب للقرّاء، يستخدم الشاعر تلك الوظائف لتكون الشرك الذي ينصب لاقتناص المتلقّي ودعوته إلى دخول عوالم النصوص واستكناه أسرارها .

د- تعتمد الوظيفتان (الدلاليّة والإغرائيّة) على الانزياح والانحراف، وتشكّل عامل جذب للمتلقّي، وتثير لديه كثيرا من الأسئلة يجد إجابتها من خلال الاطلاع على الديوان .

إنَّ حضور هذه الوظائف المختلفة يعكس سلطة العنوان وأهميّته، ويكشف عمّا يناط به، يقف العنوان متسيّدا للديوان الشعريّ؛ بألفاظه المختزلة يكشف عن علاقة مُهمّة ومعيّنة بين المرسل والمستقبل .

وتحضر السيميائيّة وتعلن وجودها في العنوان؛ حيث يظهر العنوان كعلامة دالّة من خلال اللفظ، وتظهر الوظائف من خلال ذلك النظام كمدلولات لدوالّها وإشارة عليها، والسيميائيّة في أبسط صورها هي علم الإشارة الدالّة تنعكس عن اللفظ في هذا المقام العنوانيّ .

المبحث الثالث : وظائف العناوين الداخليّة عند يوسف العظم

أنتقل بعد تلك الجولة مع وظائف العنوان الخارجيّة إلى العناوين الداخليّة، أو العناوين الفرعيّة، أو عناوين القصائد، تلك العناوين التي تتّصل مباشرة بنصٍّ واحد تُمثِّله، وتعلن عن محتواه، وتكشف عن وظيفة خاصّة تتعلّق بذلك العنوان الصغير . والعنوان الداخليّ يختصّ بنصٍّ واحد على عكس العنوان الخارجيّ الذي يمثّل مجموعة من القصائد على اختلاف موضوعاتها؛ يشكّل العنوان الخارجيّ إطارا جامعا للعناوين الداخليّة؛ وبذلك تكون مَهمّة الشاعر أصعب مع اختيار عنوان للديوان، وتبدو المَهمّة أسهل في اختيار العنوان الفرعيّ .

يقف القارئ في الأعمال الشعريّة الكاملة ليوسف العظم ملاحظا تحوّلات العنونة، وتشكّلاتها من قصيدة إلى أخرى؛ حيث يقف القارئ أمام ثلاثمئة عنوان ونيِّف، تكشف تلك العناوين عن وظائف مختلفة تتباين في نسبة حضورها، سأحدِّد تلك الوظائف معتمداً على هيمنة وظيفة محدّدة على باقي الوظائف، مكتفٍ بما يبدو أكثر ملاءمة، وسأقصر الوظائف في الوظائف الأربعة التي تناولتها في العناوين الخارجيّة . ويمكن لي بعد هذه التوطئة أن أطرح السؤال التالي : إلى أيِّ مدى يمكن إسقاط هذه الوظائف على عناوين يوسف العظم ؟

المبحث الرابع : الوظيفة التعيينيّة في العناوين الداخليّة

تحضر الوظيفة التعيينيّة بشكل واضح ولافت في العناوين الداخليّة، بخلاف عناوين الدواوين التسعة التي سيطرت عليها الوظيفتان الوصفيّة والدلاليّة؛ كما أوردت سابقا . وقد يقلِّل البعض من قيمة الوظيفة التعيينيّة ولكنّ هذا الكلام فيه نظر؛ لأنّ هذه الوظيفة تبارك القصيدة وتجعلها متصلة بعنوانها الذي يعلن عنها، حتى وإن لم يُحفظ شيئا من أبياتها، ومثال ذلك عندما نتحدث عن قصيدة البردة للبوصيري، أو سينيّة شوقي، أو قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم، والأمثلة كثيرة، فنحن في كثير من الأحيان نقف عند حدود العنوان ولا نتعدّاه؛ وبذلك تعدُّ الوظيفة التعيينيّة بمثابة اسم على

مسمّى، تمثّل تحديدا لهويّة النصِّ، وتبدو إلزاميّة مع ارتباطها الوثيق بالوظائف الأخرى؛ لدرجة عدم الانفصال عن تلك الوظائف، ويعتبرها النقاد أولى الوظائف وأشهرها حيث تتكفّل هذه الوظيفة بتسمية العمل ومباركته .

إنّ اعتماد الشاعر وظيفة التعيين في عناوين القصائد مع عدم استغنائه عن باقي الوظائف كما سيمرُّ معنا يعود إلى طبيعة موضوع القصائد، وكثيرة هي الموضوعات التي لا تحتاج إلى الإغراء والإغراق في الدلالة؛ وبذلك يكتفي العنوان بالوظيفة التعيينيّة، وقد يؤخّر الشاعر السحر والإغراء ويكشف عنهما من خلال متون النصوص؛ حيث المساحة الواسعة للتَّلاعب اللفظيِّ واستحضار الصور الفنيّة الرائعة والرموز الفاتنة؛ وبذلك يظهر العنوان المعتمد على الوظيفة التعيينيّة أكثر إخلاصا وولاءً للنصِّ .

يمثّل الجدول الآتي طائفة منتخبة من العناوين التي تحضر فيها الوظيفة التعيينيّة بوضوح ، تَوصَّلت إلى هذه النتائج بعد قراءة مستفيضة للعناوين الداخليّة للشاعر يوسف العظم، وهذا ما نلاحظه من خلال العناوين الآتية :

العنوان	الديوان	الصفحة
المولد وعام الفيل	في رحاب الأقصى	46
الرضاع وحليمة السعديّة	في رحاب الأقصى	59
عند الطبيب	في رحاب الأقصى	95
مرحبا رمضان	في رحاب الأقصى	99
حَماة يا أغرودة المجد	عرائس الضياء	132
ولدي	عرائس الضياء	134
لبيك	قناديل في عتمة الضحى	164
أمّك	قناديل في عتمة الضحى	176
بين يدي البشرى بميلاد ولدي محمد	قناديل في عتمة الضحى	180
أمام شلالات نياجارا	قناديل في عتمة الضحى	188
الشقيقة المسلمة لمعلقة لبيد	لو أسلمت المعلقات	248
رحماك ربّي	قبل الرحيل	291
السودان الشامخ	قبل الرحيل	311

في زيارة عابرة لزحلة جارة السوء	قبل الرحيل	315
بطاقات تمنّيات	قبل الرحيل	327
على خطا حسّان	على خطا حسان	336
على شاطئ بحيرة نيواورليانس	على خطا حسان	356
لكنّ الله يا أغلى الأماني إلى بناتي	على خطا حسان	366
نشيد الهجرة	على خطا حسان	367
الوضوء	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	385
صوم رمضان	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	387
حروب الرِدّة	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	392
معركة القادسية	أناشيد وأغاريد للجيل المسلم	393
عواطفي	قطوف دانية	404
بناتي	قطوف دانية	408
تنبيه لولدي محمّد	قطوف دانية	413
حَيِّ أرض العراق	قطوف دانية	430
البترا	قطوف دانية	434

سجلت الوظيفة التعيينية حضورا لافتا في العناوين الداخليّة، وذلك بعد رصد الوظائف للعناوين الداخليّة وفرزها وجدولتها، حيث هيمنت الوظيفة التعيينيّة على تسعة وثمانين عنوانا من أصل ثلاثمئة وعنوانين بنسبة (29%)، وهي نسبة تأتي في المرتبة الثانية من حيث حضور الوظائف المختلفة .

إنّ كلَّ عنوان في الجدول السابق يسم مضمون نصّه بدقّة، ولا يحيد عنه ولا يترك مجالا للالتباس، ولا يمكن للمتلقّي أن يتخيّل أن مضمون القصيدة مخالف لما جاء في العنوان، يجد المتلقّي تلك العناوين مخلصة في رسم مضامينها، ويجدها سلبيّة جامدة تقيّد من حريّة التأويل، وقد تؤثِّر سلبيا على إستراتيجيّة القراءة؛ لأنّها تفرض على المتلقّي مسارا واحداً للقراءة .

يستطلع الباحث تلك العناوين ليرى صحَّة ما ذهب إليه في أنّ الوظيفة التعيينيّة ما هي إلا وسم لمحتوى النصِّ أو لجزء منه، فالعناوين **(ولدي) (أمك) (أبوك) (عواطفي) (بناتي) (تنبيه لولدي محمد)**؛ تعكس هذه العناوين صفحات من حياة الشاعر كزوج ووالد يرتبط بأسرته بأواصر المحبّة؛

يظهر ذلك من خلال العناوين المختزلة، ويوضّح تلك العناوين من خلال أبيات القصائد. فالقصائد لا تعدو إلا شرحا لعناوينها وبيانا لها .

وننتقل إلى قصيدة **(المولد وعام الفيل)** فموضوعها لا لَبس فيه، يتحدّث عن ميلاد الحبيب (صلّى الله عليه وسلّم). وقصيدة **(الرضاع وحليمة السعدية)** فموضوعها هو تلك الفترة الزمنية التي قضاها رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)في بني سعد، عند مرضعته حليمة السعديّة . وقصيدة **(عند الطبيب)** فهي تعكس حالة من ضعف الشاعر وهو على سرير المرض. وقصيدة**(مرحبا رمضان)**ما هي إلا ترحيب بضيف عزيز على قلب كلِّ مؤمّن موحّد ؛ يستشعر الخير العظيم في شهر القرآن. وقصيدة**(حَماة يا أغرودة المجد)** تحكي لنا عن صمود تلك المدينة السوريّة التي تمتدّ جذور الشاعر إليها، فيعبّر عن تلك المدينة كقيمة وطنيّة تقف في وجه أعدائها. وقصيدة **(لبيك)** يصف الشاعر فيها أشرف زيارة يقوم بها المؤمن، حين يقصد بيت الله حاجّا، فيلهج اللسان بلبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك .

ويتابع الشاعر في عنونة قصائده على النمط نفسه ويذكر مُدُنا ودُولا كانت ساحات للفتن والاحتلال، كأفغانستان والسودان والعراق؛ وهي قصائد تدور حول جهاد أهل تلك البلاد وصمودها أمام التحديّات .

وتعكس بعض العناوين إعجاب الشاعر ببعض الأماكن التي زارها في دول العالم، فيكتب الشاعر **(أمام شلالات نياجارا)** ويكتب **(في زيارة عابرة لزحلة جارة السوء)** ويكتب**(على شاطئ بحيرة أورليانس)**هذه العناوين تعكس موضوعات محدّدة وتتّصل بها مباشرة، وتحرِّك تلك العناوين بطرف خفيّ فضول المتلقي ليقرأ ما رسمته كلمات الشاعر من صور وانفعالات تنعكس عنها .

يلاحظ القارئ لدواوين الشاعر خصوصا عناوين القصائد ومتونها أنّ الوظيفة التعيينيّة توزّعت في جميع دواوين الشاعر ما عدا ديوان**(الفتية الأبابيل)** ذلك الديوان الذي يعكس عنوانه موضوعه ومضمونه .

ويلاحظ القارئ هيمنة الوظيفة التعيينيّة بالكامل على ديوانين وهما **(لو أسلمت المعلّقات)** و**((أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** .

إنَّ ديوان **(لو أسلمت المعلّقات)** يسلِّم نفسه للمتلقي بسهولة، ويكشف العنوان عن موضوعه بيسر، فقصيدة**(الشقيقة المسلمة لمعلّقة لبيد)**ما هي إلا معارضة لها، ولكنّ الشاعر صبغها ووسمها بصبغة دينيّة إسلاميّة، وكذلك فعل تحت عنوان**(الشقيقة المسلمة لمعلّقة امرئ القيس)** وعمر بن كلثوم وغيرهم من شعراء المعلّقات.

ولكن يميّز هذه القصائد الموسومة بتلك العناوين هو روح التحدي والمغامرة اللتان أذكاهما الشاعر . ثم كانت الدعوة مفتوحة من الشاعر لإعطاء الآخرين الحكم على ما أقدم عليه، حين عارض تلك القصائد التي تعلّقت بها النفوس من عصر الجاهليّة إلى يومنا هذا .

أمّا ديوان**(أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** فموضوعات الديوان لن تخرج عن العنوان الرئيس، فأنشد الشاعر للعبادة من: صلاة وصوم وحجّ وزكاة. وأنشد في أمر العقيدة التي تقوم على الوحدانيّة ومبدع الكون. ثمّ قدّم أناشيد لمجموعة من المعارك والغزوات؛ تلك المعارك التي تبثّ الشجاعة في نفوس الأطفال، وتجعلهم يستشعرون عظمة دينهم وقادتهم. ثم ينشد الشاعر للزهر بأنواعه وألوانه. واحتوى الديوان على ثمانية وعشرين قصيدة موجّهة إلى أطفال المسلمين؛ ليكونوا جيلا مسلما نافعا .

لاقى ديوان أناشيد وأغاريد للجيل المسلم رواجا كبيرا في صفوف الأطفال، في الأردن والكويت ولبنان وفلسطين والمملكة العربيّة السعوديّة وغيرها من ديار الإسلام، وطبع الديوان أكثر من مرّة، وهذا الديوان يشغل مكانة خاصّة لدى الشاعر؛ ولذلك تَمنّى الشاعر يوسف العظم: " أن يرافق القصيدة في طباعة أحرفها، طباعة لحنها الموسيقي ممّا يُهيّئ للطفل جوّا عذبا من الأغاريد والأناشيد، بعد أن كانت قصائد شعريّة بلا لحن ولا نغم" [1]

خلاصة : ظهرت الوظيفة التعيينيّة في العناوين الداخليّة (عناوين القصائد)، وهي وظيفة بارزة تهدي إلى النّصِّ وتساهم في إبراز انتمائه إلى جنسه الأدبيّ وهُويّته، تتميّز هذه الوظيفة بأنّها تعيّن المحتوى، وتعلن عنه وتجعله معروضا أمام المتلقّي، وتعيّن هذه الوظيفة التي يطلق عليها (وظيفة العرض) المحتوى أو الشكل أو كليهما كما أشار إلى ذلك جيرار جينيت [2]

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 379 .
([2]) ينظر:بسّام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 51 .

المبحث الخامس : الوظيفة الإغرائية في العناوين الداخليّة

يجتهد كلُّ أديب وشاعر أن يعنون قصيدته بعنوان يثير فضول القارئ ويفتح شهيّته للقراءة ويستحثّه من خلال العنوان الولوج إلى عالم النص، والشعراء المحدثون يتغنّون في العنونة معتمدين على الإغراء والإمتاع من خلال التركيب اللغويّ الذي لا يخلو من التلاعب اللفظيّ، أو اعتماده على الاستعارة والمجاز، أو عن طريق اعتماد العنوان على سؤال ما يستثير فضول القارئ . والعنوان– تبعا للوظيفة الإغرائيّة– يعكس ردَّ الفعل الأوليّ لدى المتلقّي عندما يترك أثرا فيه طال ذلك الأثر أو قصر. والعنوان في هذه الحالة لا بدَّ أن يكون بسيطا مختزلا؛ وعليه أن يعطي فكرة تامّة قدر الإمكان عن المحتوى مُصِرّا مع ذلك على إثارة فضول القارئ التوّاق؛ ليشبع فهم عينيه وعقله وقلبه .

يختار كثير من الشعراء عناوينَ لقصائدهم لأسباب إغرائيّة، يكشف ذلك الاختيار أسبابا مختلفة منها : كسر الجمود السائد، أو خلق حالة من التمرّد على المألوف، أو من أجل اكتساب شهرة معينة؛ وهو ديدن عدد من الشعراء الذين اتجهوا إلى الإعلان عن أنفسهم من خلال قصائد تثير الشهوة، أو تحمل علامات التمرّد . ومن أمثال هؤلاء نزار قباني ومظفر النواب، وما أشبه اليوم بالأمس فبالأمس وقف شعراء النقائض (الفرزدق والأخطل وجرير) وقفوا ليهتكوا العورات وليتفنّنوا في هجاء بعضهم بعضاً، فشغل الناس بهم وتتبّعوا أقوالهم وأحوالهم .

ترتكز هذه الوظيفة على ركنيّ الإقناع والإغراء، يأتي الإغراء عن طريق ارتكاز العناوين على البعد النفسيّ؛ من حيث إنّها تخلق لدى المتلقّي أفق انتظار وتجعله يتوقّع أنّه سيخرج من سيرورة القراءة منشرح الصدر، رضيّ المزاج، مطمئنّ النفس. إنّها عناوين تصرّح بمقاصدها الوجدانيّة فهي عناوين تغري أكثر ممّا تقنع، أو لنقل إنّها تتوسّل بالإغراء سبيلا إلى الإقناع . أمّا الإقناع فهو يعكس ميل العناوين إلى مخاطبة البعد العقليّ لدى المتلقّي، فيقبل المتلقّي على القراءة بكلِّ ثقة واطمئنان، وخصوصا عندما يقدمها المبدع على أنّها أقوال فاصلة لا محيد عنها ولامناص منها. [1]

([1]) ينظر : الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 219 +220 .

يرى الناقد رحيم عبد القادر أنّ الوظيفة الإغرائيّة تكاد تكون سمة عامّة في معظم العناوين، فما دام المبدع يضع في الحسبان ذوق المتلقّي، إضافة إلى متطلبّات الكتابة، فإنّه يميل إلى أقرب العناوين إلى نفسيّة المتلقّي ليستميله إلى كتابه ؛ رغبة منه في انتشار هذا الكتاب /النّصّ وتداوله.[1]

يلاحظ القارئ للعناوين الداخليّة عند يوسف العظم قلّة العناوين التي تقوم على الإغراء والإمتاع، حيث لم تتغلّب الوظيفة الإغرائيّة على بقيّة الوظائف، ولكنَّ أصول الدراسة والتحليل تقتضي منّي انتخاب عيّنة حتى أضعها على محكِّ التجربة، أُمثّل هذه العيّنات في الجدول الآتي:

العنوان	الديوان	الصفحة
جواب على سؤال	في رحاب الأقصى	30
إنّا للقدس	في رحاب الأقصى	34
اللعوب الفارس	في رحاب الأقصى	73
خدّريهم يا كوكب الشرق	في رحاب الأقصى	79
صفعة	في رحاب الأقصى	96
هائمة تبحث عن مستقرّ	عرائس الضياء	125
هوية الأقصى لمن أضاع هويته	قناديل في عتمة الضحى	158
متى ؟	قناديل في عتمة الضحى	179
يا سرايا الجهاد	الفتية الأبابيل	216
أين قلبي ؟	قبل الرحيل	295
عشاق الظلام	قبل الرحيل	298
كيف نحيا يا قوم من غير قدس ؟	قبل الرحيل	299
ترنيمة عاقر	قبل الرحيل	310
طاغية	قبل الرحيل	324
هل أضاعوني حقا	عن خطا حسان	362
لو حكمت حواء	قطوف دانية	406
انطلاقة أمّة ومسيرة جهاد	قطوف دانية	414
ذلّ فينا النهي	قطوف دانية	421

([1]) رحيم عبد القادر ، وظائف العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري ، 8+9
(http:// www.adablabo.net/ rahim.htm)

تأتي الوظيفة الإغرائيّة في المرتبة الأخيرة مقارنة بحضور الوظائف الأخرى، حيث بلغ عدد العناوين التي تهيمن عليها هذه الوظيفة ثلاثة وثلاثين عنوانا، بنسبة مئويّة تقرب من (11%)، تخاطب هذه العناوين القلب والعقل والنفس البشريّة، تمتلك هذه العناوين حضورا خاصّا ، تجذب المتلقّي إليها وتستميله ليقرأ نصوصها، تثير المتلقّي للوهلة الأولى، وتجعله يحلّق في فضاءات متّسعة ثمّ تردّه إلى واقعه، وتدعوه لتناول وجبة مغريّة، ويحاكي المبدع صائد السمك يلقي طعمه في الماء ليجلب السمك إلى ذلك الطعم الجذّاب .

تكمن إغرائيّة العناوين السابقة – المُجَذْوَلة – للشاعر في اختياره المحكم والدقيق للعناوين المستفزّة؛ تلك العناوين تُحرِّك رغبة التواصل والاستكشاف وتجعل المتلقّي مستسلما للدخول إلى عوالم النصوص، وتحضر الإغرائيّة بدرجات متفاوتة. وكيف للمتلقّي أن يطّلع على العناوين التالية ولا تحدِّثه نفسه باستكشاف نصوصها **(اللعوب الفارس)**، و**(خدّريهم يا كوكب الشرق)** ، و**(عُشّاق الظلام)** ، و**(كيف نحيا يا قوم من غير قدس؟)**، و**(ترنيمة عاقر)**، و**(لو حكمت حواء)** .....

إنّ مركز الجاذبيّة والفتنة في العناوين السابقة يكمن في براعة الانزياح والانحراف وقراءة ما بين السطور، يثير الانحراف والانزياح فينا مجموعة من الأسئلة لا نلقى لها إجابات إلا بعد الإطّلاع على القصيدة، هذا الانزياح الذي يخوِّل للشاعر أن يجعل العاقر تترنّم، ويجعله يتعارض مع كوكب الشرق، ويجعل من أغانيها مخدّرات تجعل الأمّة سارحة في الخيال. وما بال تلك اللاجئة الهائمة التي تبحث عن وطن تستقرّ فيه ؟ وماذا لو حكمت حواء ؟ وكيف للنهي أن يُذَلَّ كإنسان صاغر ذليل .

إنّ الانزياح في العنوان غواية تبعث في نفس المتلقّي قلقا سيمولوجيّا (سيميائيّا) لا يمكن التخلّص منه إلا بالوقوف على النصّ؛ ولعلّ سبب هذا القلق السيمولوجيّ هو حرقة الأسئلة التي يثيرها العنوان. من هذا المنطلق يمكن أن نستخلص من عناوين العيّنة المنتخبة الأسئلة الآتية :

ما السؤال المطروح ويحتاج إلى إجابة ؟

ماذا يحدث للقدس ؟

كيف يجتمع الهوى والغناء مع المأتم في مكان واحد ؟

من هي اللعوب التي تمتاز بصفة الفروسيّة ؟

ما نوع المخدّر الذي تروّجه كوكب الشرق، وكيف تروّجه؟

من هي الهائمة الباحثة عن مستقر ؟

ما الصفعة التي يقصدها الشاعر ؟

من أضاع هوية الأقصى ؟

ماذا يقصد الشاعر بسؤاله عن الزمان بمتى ؟

ما المطلوب من سرايا الجهاد ؟

من الطاغية ؟

هل أضاعوا الشاعر حقّا، كيف ذلك ؟

كيف تنطلق الأمّة ؟

كيف يذلُّ النهي فينا ؟

تنبجس إغرائيّة عناوين العظم من هذه الأسئلة، التي تُعدُّ بحقّ الشرك الذي ينصب لاقتناص المتلقّي، فلا يجد المتلقّي مناصا بعد هذه الإغرائيّة إلا دخول عوالم النصوص، واستكناه أسرارها حتى وإن بدت تلك العناوين وكأنّها موجّهة إلى فئة معيّنة ومحدّدة؛ لأنّها مغموسة بالحسِّ الدينيّ .

توزّعت العناوين ذات الوظيفة الإغرائيّة في أغلب الدواوين ما عدا ديوان**(لو أسلمت المعلّقات)** وديوان**(أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** مع ضرورة الإشارة إلى وجود الإغراء والإمتاع في تلك العناوين، وفي عناوين القصائد الداخليّة ، ولكنّه ليس المقصود بعينه. فالديوانان يخاطبان العقل ويلمسان الفؤاد والنفس البشريّة ويمثّلان طُعما جاذبا للقارئ للغوص داخل النصوص، ومعرفة ما يحتويه الديوان الأول**(لو أسلمت المعلقات)** وهي دعوة مشروعة للقراءة وإعطاء الحكم على رسائل

الشاعر الإسلاميّة؛ أبدعها الشاعر على غرار المعلَّقات الجاهليّة. والديوان الثاني(**أناشيد وأغاريد للجيل المسلم)** يستفزّ العنوان فئة ليست بالقليلة في المجتمع، بل وتتعدّى فئة الأطفال لتستفزّ آباءهم وأمّهاتهم تشدُّ انتباههم وتحملهم على المتابعة؛ ولذلك كان رواج الديوانين والإقبال عليهما أكبر دليل على وجود الإغرائيّة والإقناعيّة، عكستها العناوين الخارجيّة والداخليّة . تثير تلك العناوين فضول القارئ وتخضعه لإغراء العنوان وتشبع نهم عينيه وقلبه؛ فيبتاع القارئ الدواوين بسبب تأثّره اللامحدود بالعنوان . وهذا يعيدنا إلى ما ذهب إليه رحيم عبد القادر في أنّ الوظيفة الإغرائيّة تكاد تكون سمة عامّة في معظم العناوين، ما دام المبدع يضع في الحسبان ذوق المتلقّي ومتطلَّبات الكتابة .

أعود إلى العناوين التي انتخبتها في الجدول السابق لأستطلع تلك العناوين وأقف عند مراكز الإثارة والإغراء .

يسم الشاعر قصيدته بالعنوان **(جواب على سؤال)** معتمدا على التنكير الذي يفيد الإبهام والتعمية من السؤال وما جوابه ؟ تنبجس الإغرائيّة في هذا العنوان من تركيبه اللغويّ الذي يثير فضول المتلقّي لمعرفة السؤال والجواب فيشرع المتلقّي بالقراءة للحصول على الإجابة .

يأتي العنوان الثاني(**إنّا للقدس)** مليئا بالإغرائيّة، مركز تلك الإغرائيّة هو القدس أولا؛ لأنّها تشكِّل قبلة المؤمنين، وشغلهم الشاغل في الوقت الحاليّ، أمّا الأمر الثاني فهو التوكيد(بإنّ)، حيث يؤكّد الشاعر على صدق الانتماء إلى قضيّة شريفة وبلد مقدّس، وزاد العنوان بهاءً الإسناد إلى ضمير الجماعة، إنّه يؤكّد على أنّ القدس عقيدة ووطن .

وتأتي الإثارة مضاعفة في عنوان(**أنغنّي للهوى في مأتم؟)** تأتي الإغرائيّة من وجود الأضداد غناء العشق والهوى والمأتم، يُخبِّئ العنوان انزياحا وانحرافا يثير لدى المتلقّي فضولا لمعرفة شيء من فصول الحكاية، ويخاطب العنوان عقل المتلقّي، ويلمس شغاف قلبه حين جمع الشاعر الغناء والفرح مع الحزن والمأتم، وتنبجس الإغرائيّة في هذا العنوان من خلال اعتماده على الاستفهام الإنكاريّ الذي يغلّفه الاستغراب والتعجّب، كلّ ذلك يترك في نفس المتلقّي حاجة لمعرفة كُنْه النصّ وماهيّته معتمدا على الإغراء .

ويثير العنوان(**اللعوب الفارس**) المتلقّي، ويستدرجه لمعرفة ما يخفيه العنوان، يستثيره العنوان ويحرّك فضوله لمعرفة من هي هذه اللعوب، وتأتي الاستعارة التنافريّة في تركيب العنوان (لعوب وفارسة) لتكون مركز الجاذبيّة والإغراء .

ويعلن الشاعر في عنوانه (**خذّريهم يا كوكب الشرق**) عن تعارضه مع المطربة أمّ كلثوم، ويصرف انتباه الأمّة عن الطرب وحالة الخدر ويوجّههم كي يستفيقوا وأن يجمعوا أمرهم من أجل توحيد كلمتهم في مواجهة أعدائهم بالفكر والعمل . في هذا العنوان دعوتان . الأولى : رفض حال الأمّة وهوانهم . والدعوة الثانية : وضع الأمور في نصابها ومسارها الصحيح . وهل أشدّ من ذلك إغرائيّة جاءت مختزلة في أربع كلمات لا غير .

ويستفزُّ الشاعر المتلقين في العناوين(**صفعة**) (**متى**)(**عشاق الظلام**)(**ترنيمة عاقر**)(**طاغية**) هذا الاستفزاز يجعل القارئ يدخل عوالم النصوص باحثا عن إجابات تشفي غليله، حيث إنّ هذه العناوين المختصرة جدّا والمكوّنة من كلمة واحدة أو اثنتين تترك المتلقّي في حالة من الإثارة، وتستثير نفسيّة المتلقّي بُغية استمالته لقراءة النصوص بطريقة إغرائيّة تثير فيه غريزة القراءة. هذه العناوين القصيرة تخفي وراءها كَمّا كبيرا من الأسئلة تحرّك في المتلقّي لذّة الاستكشاف والمعرفة .

ويأتي العنوان(**هائمة تبحث عن مستقرّ**) ليحكي لنا قصة الشقاء والتيه والسياحة في الأرض في حالة من عدم الاستقرار، جعل بطلة الحكاية امرأة هائمة على وجهها ضلّت طريقها، استخدم الشاعر لفظة هائمة المؤنثة ليزيد من الإثارة؛ لأنّ المرأة في معاناتها تحرّك المجتمع كلّه ؛ فكأنّ الشاعر يخاطب ضمائر الأمّة معتمدا على الجنس اللطيف الضعيف، ورحلة البحث عندها تكون أصعب من رحلة الرجل الذي يستطيع مجابهة الحياة بالصبر والكدّ والعمل، أمّا المرأة فهي تعكس حالة الضعف والانكسار، ثم يتساءل القارئ للعنوان: لماذا تبحث عن مكان للاستقرار؟ وأين وكيف ستجده ؟ كلّ هذه الأسئلة مع ما سبق ذكره يكشف عن مركز الإثارة والإغراء في هذا العنوان. وقد لا يقف الأمر عند هذا الحدّ لأنّ العنوان غارق بالرمزيّة والإيحاء، وتتعدّد معه القراءات، ويحضر الانزياح الناتج عن إستراتيجيّة إغرائيّة؛ قادرة على شدِّ انتباه القارئ وتحمله على المتابعة وقراءة النّصّ .

يضع الشاعر يده على جرح عميق في العنوانين:(**هُويّة الأقصى لمن أضاع هويّته**)و(**كيف نحيا يا قوم من غير قدس؟**). ففي هذين العنوانين يحرّك الشاعر عواطف الأمّة جمعاء ، ويدغدغ مشاعرها؛ لما تحمله القدس ومسجدها الأقصى من قدسيّة عند العرب والمسلمين . فتمثّل القدس والأقصى مركز الجاذبيّة والانتباه. وتحت هذين العنوانين يستشعر القارئ معاني العزّة التي تحوّلت إلى الهزيمة والمذلّة، ويرسم الشاعر طريق النجاة، ويخطّها شعرا يدعو إلى التمسك بالقدس والأقصى لأنّها الهويّة الحقيقية، ومن يستطيع العيش نكرة بلا هويّة؟ يُحرّك الشاعر بهذين العنوانين العقل والقلب والوجدان، يدفع المتلقّي بالإغراء إلى استكشاف ما يخفيه العنوانان في دعوة ضمنيّة أو تصريحيّة لدخول عالم النَّصّ وقراءة السطور التي تلي العنوان .

يعرف الشاعر ويدرك أهميّة الجهاد لنيل الحريّة وإرجاع الحقّ؛ لذلك يسم بعض قصائده بتلك اللفظة (الجهاد) لما لها من فعل السحر عند المتلقّي، يعنون الشاعر: (**يا سرايا الجهاد**) و(**انطلاقة أمّة ومسيرة جهاد**) فيدرك المتلقّي أنّ مركز الجذب والإغراء ينعكس عن تلك اللفظة (الجهاد)، ويحرِّك بها الهمم ويشحن بها الطاقات، يريد لأمّته أسباب المنعة والقوّة، يريد لها العزّة والحريّة، وكأنّي بالشاعر يقرأ قول الله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذا قِيلَ لَكُمُ انْفِروا في سَبيلِ اللهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ أَرَضيتُمْ بِالحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الآخِرَةِ فما مَتاعُ الحياةِ الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلا قَليلٌ ﴾ [1]

وكأنّي به يقرأ حديث الحبيب المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) :"إذا تبايعتم بالعينة، وأمسكتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" [2] . إنّ العنوان المرتبط بذروة سنام الإسلام بمثابة الطعم الذي لا يقاوم، يدعو القارئ بإلحاح إلى قراءة نصّه، واستكشاف ماهيّته ومكنونه.

ثمّ يُعبِّر الشاعر تحت عنوان(**أين قلبي؟**) و(**هل أضاعوني حقّا؟**)عن حالة من التيه تستوجب البحث عن مفقود ما، يثير التساؤل الذي اعتمد عليه الشاعر حالة من الإغرائيّة لدى المتلقّي ويستوقفه العنوان الأوّل والثاني. هل يبحث الشاعر عن قلبه أو جسده حقا؟ إنّ مركز الفتنة والجاذبيّة في هذين العنوانين يكمن في براعة الانزياح والانحراف الذي يثير في المتلقّي مجموعة من الأسئلة،

([1]) سورة التوبة ، 9 / 38 .
([2]) أبو داود ، سنن أبي داود ،3 / 658 .

ولا يلقى لها إجابات شافية إلا بعد الاطلاع على القصائد، هذا الانزياح الذي يخوّل للشاعر أن يسأل عن قلبه الكامن بين جنوحه، ويخوّل له السؤال عمّن أضاعه وهل أضاعوه حقا ؟.

ويقحم الشاعر المرأة مرّة أخرى، ليست تلك المرأة الهائمة على وجهها وتبحث عن مستقرّ، ولا تلك المرأة التي تخدِّر الشعوب بأغانيها، وإنّما المرأة الحديديّة، المرأة الحاكمة، تحت عنوان(**لو حكمت حوّاء)** يعود الشاعر للإغراء والإثارة . وتشي مفردات العنوان بالكثير بدءا من استخدام أسلوب التمنّي وانتهاءً بالاستغراب والتعجب الذي يشي بهما العنوان،وقد يحمل معنى الرجاء. علّمنا علماء النحو والبلاغة أنّ : لو حرف امتناع لامتناع يفيد الاستحالة . يلجأ الشاعر إلى التركيب النحويّ؛ ليعكس حالة من الإثارة والتهكّم، ويستثير الشاعر بهذا العنوان نفسيّة المتلقّي وعقله ويدعوه إلى قراءة النّصّ ليتعرّف إلى رسالة الشاعر وما قصده بذلك العنوان المستفزّ .

ويشخّص الشاعر النهي بإنسان ذليل صاغر، يأتي ذلك تحت عنوان " **ذلّ فينا النهي** "، يستثير هذا التشخيص فضول القارئ . ويُقَدَّم متعلق المسند إليه (شبه الجملة فينا) لإفادة التخصيص والحصر، ومن هنا تنبجس الإغرائيّة في هذا العنوان ويمثّل شَرَكا منصوبا للمتلقّي، يدعوه إلى دخول عالم النصّ واستكناه أسراره .

الخلاصة: تهيمن الوظيفة الإغرائيّة في العناوين السابقة، وفي غيرها من عناوين القصائد الداخليّة؛ حيث تتجلّى تلك الوظيفة من خلال التراكيب اللغويّة، ومن خلال براعة الانزياح والانحراف فيها، أو من خلال كثرة الأسئلة التي تثيرها، أو من خلال مدلولات بعض الألفاظ التي استخدمها الشاعر، وتعكس الوظيفة الإغرائيّة الإقناعيّة حالة من القلق السيمولوجي، لا يمكن التخلّص منه إلا بالوقوف على النصّ، واستكشاف أسراره . وتحقّق هذه الوظيفة غاياتها في أنّها إشهاريّة للنصّ تمنح القارئ الفكرة الأولى عنه، وهي وظيفة ذات طبيعة استهلاكيّة من خلال ترويج النّصِّ وبيعه؛ ويلجأ إليها المبدع والناشر للإيقاع بالقارئ، واستدراجه لاقتناء المدونة .

إنّ الوظيفة الإغرائيّة تكشف عما هو غير متوقع من الشاعر وإن تكشَّفت بعض أوراقه الفكريّة أو الدينيّة أو الثقافيّة، ففعل الصدمة لدى المتلقّي ينسيه الشاعر لوهلة، ويجعله مركّزا فيما بين يديه فتتجلّى الإغرائيّة في أجمل صورها .

المبحث السادس : الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة في العناوين الداخليّة

"إنّ لهذه الوظيفة جانبا إيجابيّا؛ وهو حريّة المرسل في أن يجعلها مختلطة أو مبهمة حسب اختياره للعلامات الحاملة لهذه الوصفيّة الجزئيّة المختارة دائما، وحسب ما يقوم به المرسل إليه من تأويل يبدو غالبا افتراضا حول حوافز المرسل، وهي وظيفة مهمّة جدّا في العمليّة التواصليّة، ولا يمكن الاستغناء عنها نظرا لكونها كالوظيفة التعيينيّة موجودة بقوّة ." [1]

لا تختلف الوظيفة الوصفيّة عن الوظيفة التعيينيّة من حيث عدُّها وسما **(**وصفا**)** مباشرا لمحتوى النص،أو لجزء منه؛ لذا نجد من النقاد من يمزج بين الوظيفتين في الدراسة.إنّ هذا التقارب أو التداخل بين الوظيفتين يجعل التمييز بينهما في عناوين يوسف العظم أمرا يتطلّب كثيرا من الدقّة والحذر، إذ لا يمكن للقارئ الفصل بينها إلا بالتدقيق في قراءة العنوان أولا، والاتّكاء على النّصّ ثانيا.

تجلّت الوظيفة الوصفيّة في عناوين أربعة دواوين شعريّة ليوسف العظم كما أسلفت عند الحديث عن وظائف العناوين الخارجيّة للأعمال الشعريّة الكاملة، وسجّلت حضورا بنسبة (44.44%)، وبعد قراءة أوليّة في العناوين الداخليّة يلاحظ القارئ وجود هذه الوظيفة وتتجلّى هذه الوظيفة من خلال الوصف لمحتوى الدواوين أو القصائد من غير مراوغة ولا تضليل، تمنح القارئ فكرة عامّة عن المحتوى قبل الاطّلاع عليه .

تقدّم الخطابات العنوانيّة تبعا للوظيفة الوصفيّة الإشاريّة متونها بطريقة يجوز أن نسمّيها : الدرجة الصفر للتقديم، فهي أشبه ما تكون بتوصيفات وإشارات من مثيل: هذا هو المجاهد الحقُّ، هذه براعم الأقصى، هذا منهج ربانيٌّ متكامل، هؤلاء هم الشعوبيّون الجدد، هذا صوت الإيمان ... وهكذا . تعكس هذه العناوين ملامح البساطة والابتعاد عن كلّ إغراء، إلا ما تستثيره بعض مكوناتها كما هو الحال في عنوان**(السلام الهزيل)** و**(زارنا البابا)** و**(سِفر المجد)** و**(سيوف الإيمان)**؛ حيث تستدعي هذه الألفاظ صفات ومقوّمات قيميّة وسلوكيّة مميّزة .[2]

([1]) رحيم عبد القادر ، وظائف العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري ، 6 . الانترنت
(http:// www.adablabo.net/ rahim.htm)
([2]) ينظر : الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 219 .

" وتظهر هذه العناوين كما لو أنّها تحتفظ بمسافة ما مع محكيّاتها، وهي لهذا تحدّد موضوع الحكي بوضوح تامّ . وبدرجة أقلّ أجناس الحكي. إنّها بالرغم ممّا قد تثيره من التداعيات والانتظارات تقدّم متونها في هدوء شبه تامّ"[1]

يمثّل الجدول الآتي مجموعة مختارة من العناوين يظهر فيها حضور الوظيفة الوصفيّة واضحا وجليّا.اجتهدت أن تكون هذه العيّنة منتقاة من جميع دواوين يوسف العظم، والعناوين هي:

عنوان القصيدة	الديوان	الصفحة
المجاهد الحق	في رحاب الأقصى	27
السلام الهزيل	في رحاب الأقصى	28
رجمت إبليس	في رحاب الأقصى	60
براعم الأقصى	في رحاب الأقصى	89
وزارنا البابا	في رحاب الأقصى	98
وحدة الإخاء و الفداء	عرائس الضياء	126
نشيد للمجاهدين في أفغانستان	عرائس الضياء	128
دموع التوبة	عرائس الضياء	138
ابتهالات على الشاطئ	عرائس الضياء	141
مناجاة تائب	قناديل في عتمة الضحى	157
صيحة على ضفاف الخليج	قناديل في عتمة الضحى	166
شقيق الروح	قناديل في عتمة الضحى	183
أنسام وأنغام في ذرى وهران	قناديل في عتمة الضحى	189
الثلاثة الأحرار في موكب الأبرار	الفتية الأبابيل	214
ثورة المساجد	الفتية الأبابيل	220
سيوف الإيمان	الفتية الأبابيل	229
سيف النبي	قبل الرحيل	291
سفر المجد	قبل الرحيل	298
تحيّة للفنّ الإسلاميّ الهادف	قبل الرحيل	304
لقاء عند زمزم	قبل الرحيل	312

([1]) الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير ، 349 .

منهج ربانيّ متكامل	قبل الرحيل	326
وسام على صدر معان	على خطا حسا ن	347
لا يضير الكريم كيد الأعادي	على خطا حسان	372
الشعوبيون الجدد	قطوف دانية	407
قدوم علي	قطوف دانية	413
سيوف الإيمان	قطوف دانية	419
بلادي	قطوف دانية	422
شاعر يرثي نفسه	قطوف دانية	430

تهيمن الوصفيّة على بعض العناوين الداخليّة (عناوين القصائد)، وتجلّت الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة في أربعة وستّين عنوانا، بنسبة مئويّة تقرب من (22%)، أي في المرتبة الثالثة من حيث هيمنة الوظائف العنوانيّة .

ويتجلّى ذلك من خلال وصفها لمحتوى القصائد التي تسمه بوضوح، ومن غير مراوغة ولا تضليل، يصف كلّ عنوان موضوعه ويكشف عن محتواه قبل الاطّلاع على القصائد . ولتأكيد ذلك سأقوم باستقراء العناوين السابقة والكشف عن المحتوى وربطه بالعنوان .

إنّ عنوان قصيدة **(المجاهد الحق)** يقوم على الوصفية حيث إنّ العنوان لا يعدو أن يكون اختزالا ووصفا لموضوع قصيدة تروي تفاصيل كفاح مجاهد مسلم ملتزم، قصةٌ تصف مجاهدا نقيَّ العقيدة، وعالي الهمّة، وردت صفاته في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله الكريم .

أمّا عنوان**(السلام الهزيل)** فهو عنوان وصفيّ بالمعنى الدقيق؛ تشي مفردات العنوان بعملية السلام بين الفلسطينيين واليهود وما تمخّض عنها، والشاعر يعطي لنفسه الحقّ في الحكم على هذه العملية بأنّها هزيلة، ويترك التفاصيل لمتن القصيدة .

ويستوقف القارئ عنوان**(رجمت إبليس)** هذا العنوان الذي يحمل دلالات كثيرة، عنوان مليء بالرمزيّة ولكن بالرجوع إلى النّصِّ نجد تجليّات الوظيفة الوصفيّة؛ من حيث إنّ الشاعر يصف محطّة حقيقية من مناسك الحجّ وهي رجم إبليس بالجمرات .

ويأتي عنوان(**براعم الأقصى**)؛ ليحكي لنا قصة الشاعر مع تأسيس مجموعة من رياض الأقصى في الأردن، ولا يتعدّى العنوان هذا المعنى الوصفيّ، ثمّ تجيء القصيدة ترديدا وتفسيرا للعنوان .

ويصلح العنوان(**وزارنا البابا**) لأكثر من وظيفة، ولكنّ الوظيفة المهيمنة على العنوان بعد الرجوع إلى النّصِّ هي الوظيفة الوصفيّة، حيث يصف الشاعر رحلة بابا الفاتيكان للمملكة الأردنيّة، ويتحدّث عن تداعيات تلك الزيارة وصداها في الأردن .

ثمَّ ينقل لنا الشاعر تحت عنوان(**وحدة الإخاء والفداء**) حقيقة العلاقة بين الفلسطينيين والأردنيين، تلك العلاقة المتشابكة التي سيّجتها أواصر الدم والمحبّة قديما وحديثا؛ علاقة تتجاوز الحدود الجغرافيّة وتحطّمها، وما أجمل وصف تلك العلاقة بأنّها علاقة أخوّة وفداء .

يتجاوز الشاعر في عنوان(**نشيد للمجاهدين في أفغانستان**) ويتخلّى عن الوظيفة التعيينيّة لمصلحة الوظيفة الوصفيّة، في إشارة واضحة لما قدّمه الأفغان في مواجهة الروس. والقصيدة لم تحد عن هذا الموضوع؛ إنّها قصيدة تفخر بصفات الثوريّة والجهاد، وهي تكشف عن حقيقة العلاقة بين المسلمين في جميع أصقاع الأرض .

ويأتي العنوان(**دموع التوبة**) ليكشف عن الوصفيّة بالمعنى الدقيق الذي تحمله كلمة (وصفيّة)؛ إذ إنّ القصيدة من بدايتها حتى نهايتها تسير في نسق واحد؛ تتجلّى فيها حاجة العبد إلى ربّه، في إعلان للبراءة والتوبة، والقصيدة ما هي إلا وصف دقيق لما يجيش في صدر الشاعر التائب الآيب إلى ربّه .

وكذلك الأمر بالنسبة لقصيدة(**ابتهالات على الشاطئ**) ولكنّها تحمل المعنى الإيجابيّ في أنّها تقوم على الابتهال والشكر، عكس الأولى التي فاضت فيها عين الشاعر بالدمع .

ثمّ يعتمد الشاعر على الوظيفة الوصفيّة تحت عنوان(**مناجاة تائب**) يصف بالعنوان حالة وجدانيّة، وتأتي القصيدة ترديدا وتفسيرا للعنوان المختزل .

تشي العناوين الثلاثة **(دموع التوبة)** و**(ابتهالات على الشاطئ)** و**(مناجاة تائب)** بحالات من الوجدانيّة الطافحة، تتأرجح تلك العناوين بين الفرح والحزن؛ وتجعل الشاعر يتوجّه بالدموع والابتهال والمناجاة إلى الله تعالى، فتعكس هذه العناوين بشفافية حالة الشاعر النفسيّة والوجدانيّة .

ثم يطلق الشاعر**(صيحة على ضفاف الخليج)** يقصد الخليج العربيّ، يصف حال دول الخليج المرفّهة، يختزل تحت العنوان الصغير آبار البترول وبلايين الدولارات، وانتقال حال أهل الخليج إلى نعم كثيرة، ولكنّ الشاعر يهمس بصيحة لإيقاظ الضمائر وتوجيه أهل الخليج إلى البوصلة الصحيحة من وجهة نظره .

وتحتلّ الجزائر مكانة خاصّة في عقل الشاعر وفكره وقلبه ؛ فيسم قصيدة بعنوان**(أنسام وأنغام في ذرى وهران)** يمجّد في هذه القصيدة أهل الجزائر عندما وقفوا في وجه المستعمر، تحمل القصيدة معاني الجدّ والعزة، ولم تَحدِ القصيدة عن هذا المعنى الذي يصف حال الجزائر ويتغنّى بأمجاده وبطولاته .

يختصر يوسف العظم في عنوانه **(الثلاثة الأحرار في مواكب الأبرار)** قصّة من قصص البطولة والفداء والشهادة في سبيل الله، عنوان يمتاز بوصفيّة عالية، ولا يعدو العنوان أن يكون اختزالا ووصفا لموضوع قصيدة تروي تفاصيل جهاد ثلاثة ممّن رُفعوا إلى الله تعالى شهداء، والقصيدة تنتمي إلى ديوان**(الفتية الأبابيل)** هذا الديوان المفعم بالروح الجهاديّة؛ والمرتبط بالانتفاضة الفلسطينيّة المباركة، والقصيدة تمثّل لبنة في البناء العام (الديوان)، ويخلص العنوان الداخليّ في صدق الانتماء إلى العنوان المركزيّ .

وتتكشّف الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة وتبدو واضحة بجلاء في العناوين الداخليّة: **(ثورة المساجد) (صوت الإيمان) (سيف النبي) (سفر المجد) (سيوف الإيمان)** فكلّ عنوان يسم قصيدة واحدة ولا يتعدّاها إلى غيرها، وهي تكشف عن موضوعها بوضوح تام، وتظهر البنية التركيبيّة للعناوين منطقيّة لا انزياح فيها، وتأتي النصوص الشعريّة (القصائد) ترديدا وتفسيرا لهذه العناوين، ولسان الحال يقول: هذه ثورة المساجد وصفا للانتفاضة الفلسطينية التي انطلقت من كل ساحة وخصوصا من المساجد، وهذا صوت الإيمان الواضح الذي تخرس أمامه كل الأصوات، وهذا سيف النبي وهذا سِفر المجد، وهذه سيوف الإيمان .

ولا يخفى على أحد أنَّ عنوان(**تحيّة للفنّ الإسلاميّ الهادف**) يمثّل وجهة نظر لدى الشاعر، يحدّد العنوان موضوعه ويصفه بدقّة، فحينما تعارض الشاعر مع كوكب الشرق نجده يحيّي الفنّ الإسلاميّ الهادف، الذي تتّضح هويَّته وتبرز من خلال ارتباطه بتعاليم الإسلام، الذي يدعو إلى الفنّ، ويعلي من قدره بشرط أن يكون هادفا ونافعا .

ويعود الشاعر مرّة أخرى بعد عنوان(**رجمت إبليس**) ليسم قصيدة من ظلال المسجد الحرام بعنوان(**لقاء عند زمزم**)؛ تشكّل القصيدة همسة في أذن الدكتور ناصر الدين الأسد عندما لقيه الشاعر يطوف عند الحجر الأسود، ويسجّل الشاعر هذا اللقاء الروحانيّ، ويصف تلك اللحظات ويسطِّرها شعرا. [1]

ويكشف عنوان(**منهاج ربانيّ متكامل**) عن الرسالة الإسلاميّة، يصف العنوان الموضوع بدقّة، موضوع القصيدة هو أنّ الإسلام دين ربانيّ متكامل؛ يخاطب العقل والروح والجسد، دين يتوافق مع فطرة الإنسان، دين كامل يصفه قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [2]

يحمل الشاعر يوسف تحت عنوان(**لا يضير الكريم كيد الأعادي**) راية الدفاع عن شيخ وعالم يمنيّ، الشيخ والشاعر محمد علي عجلان، يدافع عنه في وجه شانئيه والحاسدين له، فكانت هذه القصيدة الممزوجة بالفخر والمديح للشاعر محمد علي عجلان، ولم تخرج القصيدة عن هذا المعنى الذي أشار إليه العنوان ووصفه واختزله . [3]

أُكمل مع العناوين المتبقيّة في عجالة،مع يقين المتلقّي أنّ كلّ عنوان يسم موضوعا محدّدا لا يخرج عنه، ويختفي الانزياح والانحراف، ويأتي العنوان اختزالا لموضوع القصيدة من غير لَبس أو تضليل،هذا ما فعله الشاعر تحت عنوان(**وسام على صدر معان**) وعنوان(**بلادي**) حيث يكشف العنوانان عن مدى ارتباط الشاعر بأرضه ووطنه ويخصّص معان التي احتضنته ودافعت عنه. ثم يأتي عنوان(**الشعوبيون الجدد**) ليصف فئة من الناس فتنوا بالإقليميّة والشعوبيّة؛ فهذا عربيٌّ وهذا

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 312 .
([2]) سورة المائدة ، 3/5 .
([3]) يوسف العظم ، م . ن . ، 372+373 .

فارسيٌّ وهذا أجنبيّ وهذا أبيض وهذا أسود،يرفض الشاعر هذه الفكرة الضيّقة والمنتنة، ويدعو إلى سعة الإسلام وشموله؛لأنّه الدين الخاتم لكلّ البشر، فيه صلاحهم وسعادتهم.

ثمّ ينتقل الشاعر ليتحدّث عن خلجات النفس البشريّة في صورتين متضادّتين الصورة الأولى تحت عنوان(**قدوم علي)** يصف الشاعر حالة من الفرح بقدوم الوليد الجديد. فيعبّر عن فرحته شعرا يفيض بالحنان والشوق. أمّا الصورة الثانية فهي صورة البكاء والحزن، تتشكّل أوّل دلائل هذه الصورة من العنوان **(شاعر يرثي نفسه)** وتكون الدعوة صريحة من الشاعر للقارئ أن يقرأ تفاصيل ذلك الرثاء للنفس، في تعبير شفّاف لحالة من الضعف البشريّ.

خلاصة: حضرت العناوين ذات الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة في أربعة وستين عنوانا،جاءت هذه العناوين وسما ووصفا لمحتوى نصوصها أو لجزء منه، من غير مراوغة ولا تضليل، تمنح هذه العناوين القارئ فكرة عامّة عن محتوى القصائد قبل الإطلاع عليها،وتشير إليه بعلامات واضحة.

وتظهر الوصفيّة الإشاريّة في العناوين الداخليّة أكثر دقّة منها في عناوين الدواوين؛ ذلك أنّ العنوان الواحد يسم قصيدة واحدة لا يتعدّاها إلى غيرها، بخلاف عنوان الديوان الذي يتولّى مهمّة وسم مجموعة من القصائد .

توسّم الباحث الوصفيّة في العنونة من خلال العينة السابقة (المجدولة) انطلاقا من بنيتها التركيبيّة التي تقوم على المنطقيّة وتخلو من الانزياح والانحراف، واتّكاءً على النصوص التي لم تكن سوى ترديد وتفسير لهذه العناوين، وتترك هذه العناوين الوصفيّة لمتونها إثبات نفسها ومدى جدواها، وخصوصا أنّها تُقدَّم في هدوء شبه تامّ، وتعطّل آليات التأويل لدى المتلقّي .

المبحث السابع : الوظيفة الدلاليّة في العناوين الداخليّة

تأتي الوظيفة الدلاليّة مصاحبة للوظيفة الوصفيّة، وتحمل بعضا من توجّهات المؤلّف في نصّه، وتعتمد على مدى قدرة المؤلّف على الإيحاء والتلميح من خلال تراكيب لغويّة بسيطة، والعنوان بصفته لفظاً وبصورة عامّة فإنّه تبعا لهذه الوظيفة يحمل قيمة ضمنيّة أو مصاحبة، تتأرجّح

هذه القيمة بين البساطة والتعقيد؛ لذلك تمتاز هذه الوظيفة عن غيرها بإيحائها غير المباشر على متن النصّ بحيث يجعل القارئ يستشعر نوع النصّ وموضوعه .

تُشعل الوظيفة الدلالية في نفس المتلقّي طاقات التأويل "والتأويل هو عملية التحوّل العلاميّ إلى اللبّ, عن طريق تفسير بعض الشفرات الموجودة على المستوى الظاهريّ. والعلامات قابلة لتجدّد الدلالة مع كل قراءة لها, حتى يغدو التأويل مفهوما عقليّا يتعامل مع النصّ بالمعنى السيميائيّ الشامل؛ الذي يرتكز على الاستنباط وتداوليّة المعنى ودلالته بالمفهوم الاتصاليّ, حيث يجيء نشاط التأويل وفق المفاهيم (التداول, الدلالة, الاتصال) ." [1]

يقول بسّام قطّوس :" ولمّا كانت وظيفة الشعر لا تقوم على الإخبار أو إيصال المعاني, وإنّما تقوم على الرمز والتخييل والإيحاء, فانّ العنوان في الشعر يحمل إشكاليّة أخرى يصبح معها عبئا آخر على المتلقّي. صحيح أنّ العنوان قد يؤسّس في ذهن المتلقّي معرفة ما، وكأنّ المتلقّي لا يبدأ من نقطة الصفر، ولكنّه كثيرا ما يحدث أنّ المتلقي لا يستطيع فكّ شيفرة العنوان إلا بقراءة النصّ، ثمّ العودة إلى العنوان " [2] ومن ثمّ فإنّ " لعبة اشتغال العنوان دلائليّا تتيح لنا النظر في علاقات كثيرة، أضاءها العنوان وانعكست في بنية القصائد " [3]

" إنّ العنوان ذو حمولات دلاليّة، وعلامات إيحائيّة شديدة التنوّع مثله مثل النصّ، بل هو نصٌّ موازٍ. وإذا كان النصّ نظاما دلاليّا وليس معاني مبلّغة؛ فإنَّ العنوان كذلك نظام دلاليّ رامز له بنيته السطحيّة ومستواه العميق مثله مثل النصّ تماما " [4]

"وثمّة عناوين لا تسلّم نفسها بسهولة، وإنّما تظلُّ متحجّبة ومتمنّعة عن الظهور، إلا باستخدام نظام تأويليّ أو سيميائيّ يفكّ شيفرتها. وإذا كان العنوان يشكِّل لحظة تأسيس وعي لدى القارئ، فليس معنى ذلك أنّ العنوان دائما يقود إلى المعنى بسهولة وبخاصّة عنوانات الشعر. إنّه مفتاح واحد يتمّ

([1]) محمّد سالم سعد الله ، مملكة النّصّ ، 78 .

([2]) بسّـام قطّوس ، سيمياء العنوان ، 43 .

([3]) بسّـام قطّوس ، م . ن . ، 55 .

([4]) بسّـام قطّوس ، م . ن . ، 37 .

بواسطته الدخول على النصّ، ولكنّه ليس مفتاحا سحريّا؛ ومن هنا كانت أهميّة الحدس الفنّي في اختيار العنوان من قبل المبدع، وأهميّة الحدس النقديّ في تلقّي العنوان من قبل القارئ العارف " [1]

إنّ حضور الوظيفة الدلاليّة يضطلع بحضور مجموعة من العلامات تميّزه من باقي الوظائف؛ استنتجتها من قراءة واعية لما سبق. ومن هذه العلامات :

- وجود قيمة ضمنيّة مصاحبة .
- تكثر فيه الإحالة إلى مكان أو موقف أو حادث أو فكرة .
- يمتاز بسهولة التركيب وبساطته ولكنّه في الوقت ذاته يعكس عمقا وبعدا في النظر .
- يفتح مجالات واسعة للتأويل من قبل المتلقّي (المرسل إليه).
- احتوائها على قدر من الجاذبية والجماليّة, حتّى يمكّنها من إغراء الجمهور المقصود.
- وجود الإيحائيّة والرمزيّة ولو بدرجات متفاوتة.

ثبت وجود الوظيفة الدلاليّة في كثير من العناوين الداخليّة في شعر يوسف العظم، وبعد قراءة مستفيضة في العناوين الداخليّة سأعمل على رصد هذه العناوين وتحليلها وبيان سماتها ودلالاتها ومدى ارتباطها بالمتون الشعريّة؛ ولكن ولكثرة وجود هذه الوظيفة في العناوين الداخليّة سأعمد إلى انتخاب مجموعة منها كعيّنة على حضورها في عناوين يوسف العظم، والجدول الآتي يوضّح ذلك :

العنوان	الديوان	الصفحة
يا قدس	في رحاب الأقصى	15
بسمة الشهيد الصامت	في رحاب الأقصى	42
مزَّقوا أكبادنا	في رحاب الأقصى	71
إنّي أخاف الهوى	في رحاب الأقصى	88
ظلال الذكرى	في رحاب الأقصى	96
رسالة من شهيد	عرائس الضياء	120
فلسطينيّة تروي قصتها في بيروت	عرائس الضياء	124
دموع بلا رياء	عرائس الضياء	137

([1]) بسّـــام قطّوس، سيمياء العنوان ، 41 .

الشاطئ البعيد	عرائس الضياء	144
جريح في ليلة القدر	قناديل في عتمة الضحى	162
الفجر يطلع من جديد	قناديل في عتمة الضحى	167
البحث عن عنوان في شرفات قصر الحمراء	قناديل في عتمة الضحى	185
واعجبي	قناديل في عتمة الضحى	187
فالطفل فينا مارد جبّار	الفتية الأبابيل	223
الرحلة الملغاة	الفتية الأبابيل	231
وتقبل التهاني : أفراح الثكلى	الفتية الأبابيل	234
سيد القرارات	قبل الرحيل	301
إلى من يهمّه الأمر	قبل الرحيل	302
وسقط الصنم	قبل الرحيل	310
مواكب النور	قبل الرحيل	324
شذرات : جلاء القلوب	قبل الرحيل	325
رحلة قلب	على خطا حسان	339
جرحي عميق	على خطا حسان	345
الرايات الجريحة	على خطا حسان	352
شموع في ظلام الغرب	على خطا حسان	355
عينان	على خطا حسان	374
الإخوة في الله	قطوف دانية	401
همسة حزينة على قبر حمزة	قطوف دانية	406
وليلى في العراق تعيش قهرا	قطوف دانية	432
ودِّعوني	قطوف دانية	434

نستخلص بعد هذه الجولة في العناوين الداخليّة بحثا عن الوظيفة الدلاليّة أنها تحتلُّ أعلى نسبة حضور بين جميع الوظائف، حيث كشف البحث عن وجود مئة وسبعة عشر عنوانا، بنسبة مئويّة تقرب من (40%)، وأثبتت الوظيفة الدلاليّة وجودها في سبعة دواوين من أصل تسعة، وبذلك فإنّها تحتلّ المرتبة الأولى في نسبة حضورها في عناوين قصائد يوسف العظم، مقارنة مع باقي الوظائف .

إنّ ألفاظ العناوين في العيّنة تجعل القارئ يستشعر نوع النصّ وموضوعها، فالعناوين هنا لا تعيِّن نصوصها بالمعنى التعيينيّ، وهي كذلك لا تصفها كل الوصف؛ ولندلّل على ذلك ندخل غمار تلك العناوين ونستكشفها .

يدلُّ العنوان(**يا قدس**) دلالة ضمنيّة على أنّ القصيدة مفعمة بالروح الثوريّة والنزعة الدينيّة الجهاديّة؛ فلفظة القدس تحيل القارئ إلى هذا المعنى. وكلّ قصيدة تتغنّى بالقدس إنّما تسعى إلى شحذ الهمم، وحثّ النفوس على الجهاد في سبيل تحريرها، وعند قراءة القصيدة نجد تلك المعاني طافحة وغالبة؛ وهكذا تتجلّى الوظيفة الدلاليّة في هذا المعنى .

وتشي ألفاظ (**بسمة الشهيد الصامت**) بدلالات كثيرة تتّضح عن طريق الإحالة إلى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوْا فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحينَ بِما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرون بالذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنونَ ﴾[1] تعكس كلمة بسمة تلك الفرحة بفضل الله عليهم، وتدلّ كلمة الشهيد على معانٍ كثيرة، فالشهيد حالة خاصّة بالمؤمنين المجاهدين؛ وهو انعكاس لحالة دينيّة، والشهيد لفظة تدلّ على النزعة الجهاديّة والثوريّة، أمّا لفظة الصامت فهي تدلّ على السكون والطمأنينة؛ يستشعرها الشهيد بعد استشهاده وانتقاله حيّا فرحا إلى جوار ربّه .

ويؤكّد العنوان(**مَزَّقوا أكبادنا**) موضوع الظلم الواقع على كاهل أبناء الأمّة؛ وخصوصا الأطفال (أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض)، عنوان جميل جذّاب يقوم على التصوير الفنّيّ يشبه الشاعر فيه الكبد بورق يُمزَّق، ويدلُّ العنوان على حالة من الانفطار والانكسار والأسى، يلتقط الشاعر تلك الصورة في إسقاط واضح على ما عاناه الشعب الفلسطينيّ بسبب الاحتلال والخذلان. احتلال يقتل ويشرّد ويهدم ويسرق وينهب خيرات الشعب الفلسطينيّ؛ يحذوه إلى ذلك حلم الدولة المستحيلة .

وتتعدّد الدلالات خلف عنوان(**إنّي أخاف الهوى**) لأنّ مركزيّة العنوان تقوم على الخوف ولكنّه خوف من الحبِّ والهوى. يشوّش هذا العنوان فكر المتلقّي لكثرة الدلالات التي يحملها، ويمتزج مع الدلالات الضمنيّة إغرائيّة لطيفة؛ تجذب القارئ لمعرفة فصول الحكاية وخيوط القصيدة ليقف على

([1]) ســـورة آل عمران ، 3 /169+170 .

مراد الشاعر؛ وإنْ عكس العنوان حالة من الوجد والهوى إلا أنّها تشي بمعان مختلفة: هل يخاف الشاعر من الهوى البشريّ ؟ أم يخاف من ضعف في الحبِّ الإلهيّ ؟ في إشارة تصوفيّة رقيقة .

وتأتي العناوين(**ظلال الذكرى**) و(**الشاطئ البعيد**) و(**الفجر يطلع من جديد**) و(**سيِّد القرارات**) و(**سقط الصنم**) و(**الرايات الجريحة**)، تأتي هذه العناوين لتدلّ على الواقع السياسيّ المرير، وتمثِّل العناوين في هذا المقام رسائل مسكوكة ومضمّنة بعلامات دالّة. فتوحي الذكرى وظلالها بنكبة الشعب الفلسطينيّ عام (1948م). وتوحي لفظة البعيد على بعد المسافة؛ وتدلُّ على التقصير في واجب تحرير فلسطين، ولكنّ الشاعر لا يستسلم لهذا الواقع فيبعث الأمل في أنّ الفجر سيطلع من جديد، ويدلّ ذلك على الثقة واليقين. أمّا عنوان(**سيّد القرارات**) فيرمز إلى حالة رفض للقرارات التي أحلّت لليهود قيام دولتهم، فيدعو الشاعر إلى رفض تلك القرارات ويدعو إلى الجهاد من أجل تحرير كلِّ شبر من أرض الإسلام والمسلمين .

ويتضمّن عنوان (**وسقط الصنم**) موضوع سقوط شاه إيران وتنكيس عرشه وزوال ملكه. ثمّ يعكس عنوان(**الرايات الجريحة**) موضوع الانقسام والتفتُّت للأمّة؛ فلفظ (الرايات) تدلُّ على كثرة تلك الرايات ومعرفتها، ولكنّها رايات مهزومة (جريحة)؛ قال الشاعر هذه القصيدة بعد أربعين سنة على نكبة الشعب الفلسطينيّ، يصوّر الشاعر في قصيدته حال الأمّة من المحيط إلى الخليج. وأكشف عن دلالة هذا العنوان بما كتبه الشاعر بنفسه [1] :

أَظلَّ حِمانا اليومَ للعيدِ موعدُ ولَيْسَ لَنا في العيدِ يا قَوْمُ مَأْربُ **[الطويل]**

أَنفْرَحُ والرايـاتُ مِنّـا جَريحَـةٌ وَتضْحكُ والأيْتـامُ في القُدْسِ تَنْحُبُ

ثلاثونَ عامًا فوْقَها عَشْرةٌ مَضَتْ وفي كُلِّ يَوْمٍ نُسْتباحُ ونُنْكَبُ

وأعراضُنا في التيهِ ذَلَّ عَزيزُها وأوْطانُنا يا قادةَ الرَّكْبِ تُسْلَبُ

شَرِبْنا كُؤوسَ الذُلِّ دونَ كرامَةٍ وَرُحْنا لكَأْسِ الذُلِّ والخَمْرِ نَشْرَبُ

([1]) يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 352 .

وقَدْ لاحَ في دُنْيا الشـعوبِ كواكبٌ وما لاحَ في الأقصى معَ النصرِ كَوْكَبُ

يوقف الشاعر القارئ عند مشاهد حيّة، تصوّر حالات متنوّعة للواقع الفلسطينيّ، نجد ذلك في العناوين**(فلسطينيّة تروي قصتها في بيروت) (فالطفلُ فينا مارد جبّار) (وتقبل التهاني..أفراح الثكلى)** .

يدلّ العنوان**(فلسطينيّة تروي قصتها في بيروت)** على اللجوء والتشتُّت للشعب الفلسطينيّ، وتزداد المعاناة عند اقتران قضيّة اللجوء بالواقع المرير الذي مرّت به لبنان وبيروت بالذات على يد الاحتلال الإسرائيليّ، وفي عهد(الميليشيات)المسلّحة، وحالة عدم الاستقرار الأمنيّ والسياسيّ، وهي قضيّة شغلت وما زالت تشغل بال الكثيرين من أبناء الشعب الفلسطينيّ الذين ساقتهم أقدارهم إلى النزوح واللجوء .

أمّا عنوان**(فالطفل فينا مارد جبّار)** وهو عنوان فرعيّ من ديوان**(الفتية الأبابيل)**؛ هذا الديوان الذي يتغنّى بالبطولة والفداء على أرض الإسراء زمن الانتفاضة المباركة، ويدلّ العنوان على أنّ القصيدة مفعمة بالروح الثوريّة والنزعة الجهاديّة، ولكنّ البطل المحرك لهذه الانتفاضة هم أطفال الحجارة، يدلّ العنوان على بطولة الطفل الفلسطينيّ وجبروته والذي ما فتئ يردّد قول الله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [1]، ويزيد من جمال الدلالة تلك الصفات التي يتحلّى بها ذلك الطفل الفلسطيني فهو مارد وجبّار؛ دلالة على القدرة على التحمُّل وشدة البأس .

ويكشف العنوان**(وتقبل التهاني.أفراح الثكلى)**عن دلالة ضمنيّة لموضوع حسّاس؛ ألا وهو أعراس الشهادة حين تنطلق الزغاريد على ألسنة النساء، وخصوصا تلك الأمّ الثكلى باستشهاد ابنها أو زوجها أو أحد أقاربها، يقوم العنوان على ضديّة واضحة.يدلّ هذا العنوان على جبروت المرأة الفلسطينيّة التي نفضت سحاب الحزن واستبدلته بالفرح، وأقامت عرسا لذلك الشهيد تتقبّل التهاني به.

([1]) سورة الأنفال ،8/ 17 .

ويؤكّد عنوان(**جريح في ليلة القدر**)على أنّ الموضوع مرتبط بليلة القدر الرمضانيّة، ويعكس العنوان حالة إنسان جريح لم يُقدّر له أن يقيم تلك الليلة المباركة في المسجد الأقصى قبل ضياعه، فعبّر الشاعر عن ذلك الموضوع معتمدا على عنوان إيحائيّ في طيّاته الكثير من المعاني . [1]

زار الشاعر بلادا كثيرة، وكشفت مجموعة من قصائده عن تلك الزيارات، وفي تلك الغربة تفتّق ذهن الشاعر وتفجّرت ينابيع الشعر لديه، ومن وحي الاغتراب والسياحة كتب الشاعر(**البحث عن عنوان في شـــرفات قصر الحمراء**)، وكتب(**واعجبي**)، وكتب(**شـموع في ظلام الغرب**)، يقف الشاعر عند تلك الصور وقد صبغتها الحضارة الأوروبيّة، فتختلط لديه المشاعر، وتعكس تلك العناوين ذلك التصوّر الشاعريّ .

تشي ألفاظ العنوان(**البحث عن عنوان في شرفات قصر الحمراء**) بالحسرة والألم والندم على تلك الحضارة التي بناها المسلمون في الأندلس، وما زالت تلك الحضارة العمرانيّة ماثلة وشاهدة على ذلك؛ ويدلّ العنوان على حالة الانكسار والهوان بعد سقوط الأندلس وأفول نجم العرب والمسلمين عن تلك البلاد .

أمّا قصيدة (**واعجبي**) فهي تمثيل حيٌّ لواقع اللغة العربيّة التي تطوى صفحتها عندما تذهب إلى أيِّ بلد أجنبيّ، فتبحث عن لغة تسيِّر بها أمورك، ولقد قال الشاعر هذه القصيدة عندما اعتلى الطائرة في سماء (شيكاغو) وبجانبه رجل أجنبي لا يعرف اللغة العربية وعلوَّ حضارتها. فعنوان(**واعجبي**) زاخر بالدلالات والرموز والإيحاءات، وللوقوف عليها لا بدّ من قراءة القصيدة وقراءة ما بين سطورها .[2]

تدلّ العناوين التالية على موضوع حسّاس، يتعلّق بالنفس البشريّة، وما يدور داخلها، تعكس هذه العناوين حالات من الصراع الداخليّ، وتدلّ هذه العناوين على تجليّات شاعريّة؛ عبّر عنها الشاعر بالشعر، واتّكأ على عناوين القصائد ليكشف عن تلك الدلالات. ومن هذه العناوين:(**الرحلة الملغاة) (شذرات...جلاء القلوب) (رحلة قلب) (جرحي عميق)** .

([1]) ينظر : يوسف العظم ، الأعمال الشعريّة الكاملة ، 162 .

([2]) ينظر : يوسف العظم ، م . ن .، 187 .

يتمنّع العنوان(**الرحلة الملغاة**) عن الكشف عن الموضوع، ولكنّ النصّ يكشف عن رحلة افتراضيّة وخياليّة في حالة من البحث عن وطن يستنشق فيه الشاعر أنسام الحريّة. يدلّ العنوان على عمق كبير، وإيحائيّة عالية؛ جاء هذا الإيحاء من العنوان البسيط الذي يعكس بعض خبايا النفس البشريّة التوّاقة للنّور والحريّة .

أمّا عنوان (**شذرات...جلاء القلوب**) فهو يعبّر عن حالة رفض السأم، والتعلّق بالنور والأمل، يمثّل العنوان نفحات وجدانيّة؛ يصبو الشاعر من خلالها إلى جلاء قلبه من الهمّ والغمّ، وهذا ما دلَّ عليه العنوان ضمنيّا .

ويعكس العنوان(**رحلة قلب**) حالة قلب الشاعر المؤمن الموحِّد، جعل الشاعر من القلب رحّالة في تشبيه رقيق يحمل دلالات ومعاني كثيرة، يدلُّ العنوان على حالة مرض الشاعر بالقلب، ذلك القلب المليء بالمحبّة والعامر بالإيمان، وتعكس القصيدة تلك المعاني وكأنّها محطّة للتنقية، يتوجّه الشاعر إلى بارئه رافعا أكفَّ الضراعة في دعاء الواثق برحمة الله، صاحب الفضل والرحمة. يُعبِّر الشاعر عن تلك الرحلة في ستين بيتا من الشعر يقسِّمها الشاعر إلى خمس لوحات تشكّل في مجملها لوحة واحدة وسمها الشاعر بعنوان ينضح بالدلالة، ويزخر بالمعاني(**رحلة قلب**) .

ويرسل الشاعر في برقيّة مستعجلة قصيدة(**إلى من يهمّه الأمر**) تتحدّث القصيدة عن دولة فلسطينيّة على خمس الأراضي الفلسطينيّة؛ فيشي العنوان بخطورة الموقف، وتكشف القصيدة عن رفض الشاعر لدويلة فلسطينيّة على جزء صغير من أرضها التاريخيّة. يضطلع العنوان بنقد سياسيّ موجّه إلى أصحاب القرار، ولمن يهمّهم ويشغلهم أمر فلسطين .

ويؤكّد الشاعر ويحيل من خلال عنوانه(**مواكب النور**)على موضوع الجهاد وضرورة الثورة على أعداء الله، في دعوة ضمنيّة إلى تحرير فلسطين، وضرورة الالتحاق بركب المجاهدين والمناضلين في مواكبهم الربّانيّة؛ التي يجلّلها نور الإيمان واليقين الصادق بوعد الله تعالى بالنصر

والتثبيت؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلا ﴾[1]

يحيل العنوان **(عينان)** إلى ما ورد في الحديث النبويّ: "عينان لا تمسّهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"[2] هذه الإحالة تجعل القارئ يطمئنّ إلى أنّ موضوع القصيدة دينيّ خالص؛ وهي تكشف عن مكانة عالية للمرابطين المجاهدين الصابرين المتمثّلين قول الله تعالى: ﴿ يا أَيها الَّذينَ آمَنُوا اصْبِروا وَصَابِروا وَرابِطُوا واتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحونَ ﴾[3]. والعين الثانية هي عين الخشية والرهبة من الله تعالى، تلك العين التي تذكّرنا بقوله تعالى عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِكرَ وخَشِيَ الرَّحْمنَ بالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[4]، ومع هذه الإحالة تظهر الوظيفة الدلاليّة ؛ لتعبِّر عن العنوان المختزل البسيط .

ويؤكد عنوان**(الإخوَة في الله)** على أهمية العلاقة التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض في إحالة إلى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّما المؤْمنونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتّقوا اللهَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمونَ ﴾[5] يدلّ العنوان على أنّ الموضوع المطروق هو دينيّ محض، بل هو موضوع في غاية الأهميّة؛ والقصيدة تعكس ذلك وتتحدّث عن تجليّات تلك العلاقة التي شبّهها رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بالبنيان المرصوص .

ويحمل العنوان**(همسة حزينة على قبر حمزة)** دلالتين ضمنيّتين واضحتين. الأولى: تلك الهمسة الحزينة التي تدلُّ على حال الأمّة ورجوع القهقرى والتردّي؛ فساد الحزن والألم وغابت الفرحة بسبب كثرة الويلات التي تواجهها الأمّة. والدلالة الثانية: تتفجَّر في استخدام حمزة(أسد الله وأسد رسوله) ويدلّ ذلك على حالة من الاشتياق إلى حمزة، وإلى حالة البحث عن القائد الملهم، فيستند الشاعر على قبر حمزة بن عبد المطلب يشكو إليه ضعف الحال والهوان بين الأمم .

([1]) سورة الأحزاب ، 33/ 23 .
([2]) الترمذي ، سنن الترمذي ، 4 / 539 .
([3]) سورة آل عمران ، 3 / 200 .
([4]) سورة يـس ، 36 / 11 .
([5]) سورة الحجرات ، 49/ 10 .

ثم يُقلِّب الشاعر صور المعاناة للأمّة؛ وينتقي لنا تحت عنوان**(وليلى في العراق تعيش قهرا)** صورة تتحدّث عن نفسها، فموضوعها حالة القهر التي يعيشها أهل العراق، وزاد الصورة حزنا وألما وجود العنصر النسائيّ من أجل شحذ الهمم، وشحن النفوس لرفع الظلم وإحقاق الحقِّ لشعب يتوق إلى الحريّة والاستقرار والأمان .

ويحمل العنوان الأخير في العينة "**وَدِّعوني**" دلالات وجدانيّة رقيقة، فيحمل العنوان فكرة الرحيل والوداع في قصيدة يملؤها الشجن وألم الفراق، يخاطب فيها الشاعر أحبابه ويسترجع فيها بعضا من ذكرياته، ويتوجّه من خلالها إلى ربِّه وخالقه ومنشئه ورافعه، وهذه سُنَّة الحياة آخر محطّاتها الوداع .

خلاصة: تجلّت الوظيفة الدلاليّة في كثير من عناوين يوسف العظم، وأثبت حضورا قويّا ومميّزا، وجاءت في المرتبة الأولى، جاءت ألفاظ تلك العناوين لتشي بالموضوع الذي يطرقه الشاعر بصريح اللفظ أو ضمنيّه، لجأ الشاعر إلى الإحالة إلى آيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة، وإلى مناطق ساخنة تشكّل بؤرا للثورة والجهاد .

وظهرت النزعة الدينيّة واضحة في كثير من تلك العناوين، وظهرت الروح الجهاديّة، والدعوة إلى تحرير الأرض المقدسّة. وكشفت بعض العناوين عن حالات وجدانيّة، ومحطّات قلبيّة أثارت شجون الشاعر وحرّكت مشاعره وأحاسيسه .

يستبين القارئ بعد هذا التحليل أنّ الوظيفة الدلاليّة الضمنيّة تحتوي على قدر من الجمال والجاذبيّة، وتمتاز بعمق مع بساطة التركيب، وهذا ما يُمَكِّنها من جذب الجمهور وإغرائه؛ ليقتحم المقصود من وراء تلك الرسائل والبرقيّات العاجلة .

يستخلص الباحث في عناوين يوسف العظم الداخليّة مجموعة من الأمور التي ظهرت كعلامات دالّة وبارزة من خلال وظائف العنوان لدى الشاعر؛ لتوضيح هذه الأمور أُضمّن هذا المبحث جدولا كوسيلة اختصاريّة؛ تكشف عن حضور وظائف العنوان في عناوين القصائد للشاعر يوسف العظم :

الوظيفة	العدد	النسبة المئويّة

الدلاليّة	117	%39
التعيينيّة	89	%29
الوصفيّة	63	%21
الإغرائيّة	33	%11
المجموع	302	%100

يتبيّن لنا من خلال الجدول السابق أنَّ يوسف العظم يمزج في عناوينه بين مختلف الوظائف، مع تباين واضح بينها من حيث نسبة الحضور، حيث كانت الغلبة للوظيفة الدلاليّة، والتي بلغت نسبة(39%)في مقابل(29%) للوظيفة التعيينيّة، و (21%) للوظيفة الوصفيّة و(11%) للوظيفة الإغرائيّة.

لا يستطيع الباحث الجزم أنّ هذا الترتيب جاء مقصودا أو اعتباطيّا، ولكنّ هذا الترتيب يكشف عن أمور منها :

– انقسمت العناوين إلى فئتين رئيستين: الأولى تضمّ الوظيفتين الدلاليّة والإغرائيّة؛ وتدلّ هذه الفئة إلى جنوح العظم إلى الجماليّة في العنونة، وبلغت نسبتهما معا (50%) . والثانية تضمُّ الوظيفتين التعيينيّة والوصفيّة باعتبارهما وظيفتين بسيطتين وواضحتين لا مشاكسة فيهما، وبلغت نسبتهما معا (50%) .

– حكمت المواضيع التي تعالجها قصائد يوسف العظم الوظيفة المهيمنة، حيث لم تخرج قصائد العظم عن سطوة المواضيع الدينيّة والوطنيّة والإنسانيّة؛ باعتبارها من أهمِّ المواضيع التي تعني الأمّة؛ فحضرت كلُّ وظيفة تلمس طرفا من أطراف المعادلة .

– تعمّد العظم على مستوى العناوين الخارجيّة والداخليّة اختيار أجمل العناوين صياغة وأشدّها إغراءً، وضع تلك العناوين مع سبق إصرار؛ إيمانا منه بأنّ تلك العناوين تعكس ما يريده الشاعر.ويظهر الشاعر مخلصا لعناوينه الداخليّة والخارجيّة وينتظر منها العكس.

– تُشكل العناوين نصوصا موازية للمتون الشعريّة، وهي تقدّم متونها بكيفيّات مختلفة؛ فمنها ما يقدّم المتن بدرجة صفرية للتقديم؛ وذلك لهيمنة الوظيفة الوصفيّة الإشاريّة. وفي مقابل هذه العيّنة شغلت

عيّنة أخرى البعد النفسيّ متجسّدا في وظيفة الإغراء التي تنضح بمقاصد وجدانيّة. وسعت عناوين أخرى إلى مخاطبة البعد العقليّ من خلال تشغيل آلية الإقناع. وسلّمت عناوين نفسها بكلّ سلاسة؛ عاكسة الوظيفة التعيينيّة .

– يخفي العنوان وراءه كثيرا من الخفايا والدلالات، ويبقى علامة مهمّة تؤهّله لتسيّد النصوص والأعمال الأدبيّة المختلفة.ويوظّف الشاعر جميع طاقاته الإبداعيّة، وبما فيها العنوان وكأنّه يحاول إخراج لوحة إبداعيّة مميّزة؛ يعرف أثر العنوان فيوظّفه لحصول التكامل في تلك اللوحة الفنيّة .

وأختم لهذا الفصل الذي اشتغلت فيه على تجلّيات العنوان فيما يتعلّق بالوظائف العنوانيّة المختلفة، بأنّه لا بدّ من قراءة فاحصة للعنوان الشعريّ بوصفه بنية مختزلة ؛ليستطيع القارئ استقراء الوظائف التي يؤدّيها الشعر ومعرفة دلالاتها .ولا بدّ من السير في اتجاهين: قراءة فاحصة للعنوان منفردا ،وقراءته مع النصّ الأكبر. وبعد ذلك نقوم بمناقشة العنوان ومفاوضته من أجل فكّ شيفرته.

إنّ العنوان مكثّف ويفتقر إلى سياق ممّا يمنحه فضاءً واسعا من الدلالات التي يصعب حصرها، ويتأرجح العنوان في الشعر بين البساطة والتعقيد، وبين الطاعة والعصيان.

الخاتمة

لقد عُني العنوان في الدراسات الحديثة عناية كبيرة،ولهذه العناية دلالات عميقة على مستوى التشكيل اللغويّ من جهة وعلى مستوى تأثيرها في المتلقّي من جهة أخرى،ويأتي العنوان بمستويات مختلفة، منها المباشر البسيط ومنها الصادم القادر على كسر أفق التوقّع لدى المتلقّي، وهي متفاوتة من حيث درجة الشاعريّة.

قدمت هذه الدراسة بتمهيدها وفصولها الثلاثة دراسة جمعت بين إطار نظريّ وآخر تطبيقيّ حول العنونة وسيميائها، اضطلع التمهيد بالتأسيس للمفاهيم، وناقش المصطلحات الخاصة بالدراسة؛ ووقف يؤسس لمصطلحي " السيمياء " والعنوان " .

وقام الفصل الأول على التعريف بالشاعر يوسف العظم، وترجمة حياته، وقام الدارس فيه بدراسة تطبيقية للعناوين في المنجز الشعري فيما يتعلّق بالموضوع والغرض الشعري، وظهرت العناوين كعلامات دالّة وسيميائيّة خاصة تكشف الموضوع الشعري.

أمّا الفصل الثاني فقد قمت فيه بدراسة سيمياء العناوين الداخلية والخارجية وبعض الظواهر السياقيّة والبلاغيّة؛ فتكشف مع العناوين المختزلة في تركيبها دلالات مختلفة؛ انعكست عن ظواهر سياقيّة وتركيبية، كأنماط الجمل والتقديم والتأخير والحذف والتعريف والتنكير والتكرار، كشف هذا الفصل عن العلاقة الوطيدة بين علم النحو وعلم البلاغة وعلم السيمياء.

أما الفصل الثالث فهو دراسة تطبيقيّة لوظائف العنوان؛ اختبرنا من خلالها تنظيرنا النقدي للعنونة وظائفها من خلال العناوين الخارجية والداخلية للأعمال الشعرية الكاملة ليوسف العظم. قمنا بقراءة عناوين المنجز الشعري بوصفها علامات سيميائيّة رامزة تتمتّع بالإحالة أو المراوغة أو الشعريّة، ووقفنا عند علاقة تلك العناوين بنصوصها وجسسنا نبضها وفاوضناها وقمنا بتفكيكها؛ وقصدنا بذلك تسليط الضوء عليها وإعادة تصورها وبناءها وفق رؤية سيميائيّة جديدة.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نذكر منها :

1- لم يأخذ موضوع العنونة حقه في الدراسات الحديثة، وهو موضوع ممتع وطريف.

2-توجد علاقة وطيدة بين العنوان والنص؛ فتأتي بسيطة أحيانا وتأتي معقدة في أحيان أخرى .

3-لا يمكن الجزم فيما يتعلق بالوظيفة العنوانيّة، وخصوصا في الأعمال الإبداعية شعرا ونثرا .

4-أوصي بضرورة فتح الباب للمنهج السيميائيّ المشتغل بالعلامات ودمجه بعلوم البلاغة العربية.

5-أوصى بتضافر الجهود من أجل عمل مختبرات سيميائيّة عربية لها هويتها الخاصة وفتح قنوات اتصال مع المختبرات القائمة في الدول العربية المختلفة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

ملحق بعناوين جميع قصائد يوسف العظم

	العنوان	الموضوع	الوظيفة		رقم الصفحة
	الديوان الأول : في رحاب الأقصى				**9**
1	**يا قدس**	**ديني**	**دلاليّة**		**15**

2	شهيد الكرامة	وطني	وصفيّة		19
3	في ذكرى الشهيد	ديني	وصفيّة		21
4	إلى رمز الجهاد والاستشهاد	ديني	وصفيّة		23
5	غاية الأبطال...إحدى الحسنيين	ديني	دلاليّة		24
6	صفحة...خلود	وطني	دلاليّة		26
7	في ربوع الأردن	وطني	وصفيّة		27
8	المجاهد الحق	ديني	وصفيّة		27
9	السلام الهزيل	سياسي	وصفيّة		28
10	جواب..على سؤال	وطني	إغرائيّة		30
11	رسالة..من القدس	سياسي	دلاليّة		32
12	ذكريات المجد والعار..في ارض الأبرار	سياسي	وصفيّة		33
13	إنا للقدس	وطني	إغرائيّة		34
14	مع العيد	اجتماعي	دلاليّة		36
15	قابيل	اجتماعي	دلاليّة		38
16	حرب الكلام	سياسي	دلاليّة		38
17	الحق المضيع	سياسي	دلاليّة		38
18	الله اكبر	ديني	تعيينيّة		39
19	بسمة الشهيد الصامت	وطني	دلاليّة		42
20	امة الأصنام	سياسي	دلاليّة		44
21	ديار الإسلام..دياري	ديني	تعيينيّة		46
22	المولد..وعام الفيل	ديني	تعيينيّة		46
23	نسمات...من أفياء الأقصى	ديني	دلاليّة		47
24	قلعة الربض! "عجلون –الأردن"	وطني	تعيينيّة		49
25	تحية للجزائر	اجتماعي	تعيينيّة		50

26	مهلا يا رفيق	سياسي	دلاليّة		52
27	تحية إلى شعب اليمن	اجتماعي	تعيينيّة		53
28	حمل وداع وليث هصور	سياسي	دلاليّة		53
29	سبحان الله	ديني	تعيينيّة		56
30	الرضاع وحليمة السعدية	تاريخي	تعيينيّة		59
31	أكرم بربي مجيرا	ديني	دلاليّة		59
32	رجمت إبليس	ديني	وصفيّة		60
33	قبل الوصول	ديني	وصفيّة		61
34	توبة..وإقبال	ديني	دلاليّة		61
35	لبيت بالقلب	ديني	دلاليّة		62
36	اليتيم الأعز	ديني	دلاليّة		62
37	لو تداعى قومي لساح جهاد	ديني	إغرائيّة		63
38	رجعة..يا رب	ديني	تعيينيّة		64
39	لولاه	ديني	دلاليّة		66
40	الباب الذي لا يغلق	ديني	دلاليّة		66
41	في محراب الأقصى	ديني	دلاليّة		67
42	منى القلب	ديني	وصفيّة		68
43	آيات	ديني	وصفيّة		69
44	نبضات القلوب	إنساني وجداني	دلاليّة		69
45	فن وإعلام واستسلام	سياسي	إغرائيّة		70
46	انغني للهوى..في مأتم	اجتماعي	إغرائيّة		71
47	مزقوا أكبادنا	سياسي	دلاليّة		71
48	امس..واليوم	اجتماعي	دلاليّة		72
49	اللعوب الفارس	اجتماعي	إغرائيّة		73

50	باسم الشعب..ولا يدري	سياسي	دلاليّة		75
51	ضلال..وخبال	سياسي	دلاليّة		77
52	خدريهم يا كوكب الشرق	اجتماعي (نقد)	إغرائيّة		79
53	أمي	إنساني وجداني	تعيينيّة		82
54	في رثاء علي	إنساني وجداني	تعيينيّة		83
55	شهيد الهدى	إنساني وجداني	دلاليّة		84
56	وعف عماد	اجتماعي	دلاليّة		85
57	عتاب	اجتماعي	دلاليّة		87
58	إني أخاف الهوى	إنساني وجداني	دلاليّة		88
59	براعم الأقصى	اجتماعي تربوي	وصفيّة		89
60	حماة الأقصى	ديني	وصفيّة		90
61	حي على الجهاد	ديني	إغرائيّة		91
62	15 أيار	سياسي	دلاليّة		93
63	يوم المؤن	سياسي	دلاليّة		94
64	الغوث	سياسي	دلاليّة		94
65	رغيف الذل	سياسي	دلاليّة		94
66	عند الطبيب	إنساني	تعيينيّة		95
67	عيد	سياسي	دلاليّة		95
68	همسة ثائرة	وطني	دلاليّة		95
69	صفعة	سياسي	إغرائيّة		96
70	ظلال الذكرى	سياسي	دلاليّة		96
71	رجاء..فدائي	سياسي	دلاليّة		96
72	غزة الشامخة	سياسي / الفخر	وصفيّة		97
73	فتاة القدس	سياسي	وصفيّة		97

74	سموم	ثقافي	إغرائيّة		97
75	وزارنا البابا	سياسي	وصفيّة		98
76	نار ..على المحراب	سياسي	إغرائيّة		98
77	مجرم	اجتماعي (نقد)	دلاليّة		98
78	حكايا..دامية	وطني	دلاليّة		99
79	الله اكبر	ديني	دلاليّة		99
80	مرحبا رمضان	ديني	تعيينيّة		99
81	ليس من الإسلام	ديني	دلاليّة		100
82	توثب	وطني	إغرائيّة		100
83	حب	إنساني وجداني	دلاليّة		100
84	وأين سيف لا يقر الهوان	ديني	دلاليّة		102
85	ألا يكفه انه ماجد	إنساني وجداني	وصفيّة		103
86	تحية اللقاء والشوق	إنساني وجداني	تعيينيّة		105
87	بشرى..وتهنئة لابن العم الشاعر هشام العظم	اجتماعي إنساني	تعيينيّة		106
88	مع الشاعر حسن يحيى الذاري(اليمن)	ثقافي (نقدي)	تعيينيّة		107
89	وابلغ شعر ما تنقاه عالم	المديح	تعيينيّة		109
	الديوان الثاني: عرائس الضياء		دلاليّة		111
1	عرائس الضياء	ثقافي	دلاليّة		119
2	رسالة من شهيد	ديني	دلاليّة		120
3	في سبيل الله والمستضعفين	ديني	وصفيّة		121
4	فلسطيني الغد الظافر	سياسي	دلاليّة		122
5	فلسطينية..يروي قصتها في بيروت	سياسي	دلاليّة		124
6	هائمة!!تبحث عن مستقر	وطني	إغرائيّة		125

7	وحدة الإخاء..والفداء	وطني	وصفيّة		126
8	ماذا أحدث عن عرار	سياسي	دلاليّة		127
9	نشيد للمجاهدين في أفغانستان	ديني	وصفيّة		128
10	إلى الشاعر النرجسي	اجتماعي(نقدي)	دلاليّة		129
11	حنين..إلى دمشق	سياسي	وصفيّة		131
12	حماة..يا أغرودة المجد	سياسي	تعيينيّة		132
13	أخ..ووفاء	اجتماعي/ إنساني	وصفيّة		133
14	ولدي	إنساني وجداني	تعيينيّة		134
15	العش المهجور	إنساني	دلاليّة		135
16	قبس يحترق	إنساني	دلاليّة		135
17	وتقول لا علم ولا خبر	إنساني	دلاليّة		136
18	دموع بلا رياء	رثاء	دلاليّة		137
19	دموع التوبة	ديني	وصفيّة		138
20	الغريد الحزين	سياسي	دلاليّة		139
21	ابتهالات على الشاطئ	ديني	وصفيّة		141
22	اللجة العاصفة	إنساني وجداني	دلاليّة		141
23	الشاطئ البعيد	إنساني وجداني	دلاليّة		143
24	الزورق الحائر	إنساني وجداني	دلاليّة		144
25	وألقيت شباكي	إنساني وجداني	دلاليّة		146
26	القمر والبحر	إنساني وجداني	دلاليّة		148
27	جوهرتي	إنساني وجداني	وصفيّة		149
28	رحلة..ومصير	إنساني وجداني	دلاليّة		150
	الديوان الثالث:قناديل في عتمة الضحى		دلاليّة		153
1	جراح وأفراح	اجتماعي	إغرائيّة		157

2	مناجاة تائه	ديني	وصفيّة		157
3	هوية الأقصى لمن أضاع هويته	ديني	إغرائيّة		158
4	ضراعة مؤمل..وحسرات محزون	ديني	وصفيّة		160
5	جريح..في ليلة القدر	ثقافي / ديني	دلاليّة		162
6	باقة من الزهر وبطاقة من الشعر	الفخر والمديح	وصفيّة		163
7	لبيك	ديني	تعيينيّة		164
8	صيحة على ضفاف الخليج	سياسي	وصفيّة		166
9	الفجر يطلع من جديد	سياسي	دلاليّة		167
10	رسالة..إلى مجاهدة	الفخر والمديح	دلاليّة		169
11	هجرنا زيف دنيانا	سياسي	دلاليّة		171
12	لا تسلموني ويحكم	وطني	دلاليّة		172
13	أمك	اجتماعي إنساني	تعيينيّة		174
14	ثم أبوك	اجتماعي إنساني	تعيينيّة		176
15	جمال وفتوى	الوصف	وصفيّة		178
16	واحتي الخضراء	المديح	وصفيّة		179
17	متى	المديح	إغرائيّة		179
18	جنة الدنيا..خميلة	إنساني وجداني	دلاليّة		180
19	بين يدي البشرى بميلاد ولدي محمد	اجتماعي إنساني	تعيينيّة		180
20	أولادي	اجتماعي إنساني	تعيينيّة		181
21	شقيق الروح	الرثاء	وصفيّة		183
22	عتاب لصديق وحوار مع النفس	إنساني وجداني	وصفيّة		184
23	قصائد في بلاد الغربة	ثقافي	وصفيّة		185
24	البحث عن عنوان في شرفات قصر الحمراء	سياسي / تاريخي	دلاليّة		185

25	على شاطئ بحيرة لوجانو	الوصف	تعيينيّة		186
26	واعجبي !	سياسي	دلاليّة		187
27	أمام شلالات نياجارا	الوصف	تعيينيّة		188
28	أنسام وأنغام في ذرى وهران	الفخر والمديح	وصفيّة		189
	الديوان الرابع:الفتية الأبابيل		دلاليّة		197
1	الفتية الأبابيل !	ديني	دلاليّة		197
2	إلى المشاغبين الأباة في قطاع غزة	الفخر والمديح	وصفيّة		207
3	يا عرينا به الجهاد تباهى !	الفخر والمديح	إغرائيّة		209
4	الله أكبر .... تعلو من مآذنها !	الفخر والمديح	إغرائيّة		210
5	حيوا المثلث والجليل !	الفخر والمديح	وصفيّة		212
6	الثلاثة الأحرار. في موكب الأبرار	الفخر والمديح	وصفيّة		214
7	يا سرايا الجهاد !	ديني / الفخر	إغرائيّة		216
8	وسطري صفحة للمجد زاهية !	الفخر والمديح	دلاليّة		218
9	ثورة المساجد	ديني	وصفيّة		220
10	فالطفل فينا مارد جبار !	الفخر والمديح	دلاليّة		223
11	شهيد العلى قد مر عبر ترابها!	ديني	دلاليّة		226
12	صوت الإيمان	ديني	وصفيّة		229
13	الرحلة الملغاة !	وطني	دلاليّة		231
14	وتقبل التهاني !أفراح الثكلى !	سياسي	دلاليّة		234
	الديوان الخامس : لو أسلمت المعلقات		تعيينيّة		237
1	الشقيقة المسلمة لمعلقة لبيد	ديني / ثقافي	تعيينيّة		248
2	الشقيقة المسلمة لمعلقة عنترة	ديني / ثقافي	تعيينيّة		255
3	الشقيقة المسلمة لمعلقة امرئ القيس	ديني / ثقافي	تعيينيّة		261
4	الشقيقة المسلمة لمعلقة عمرو بن كلثوم	ديني / ثقافي	تعيينيّة		268

5	الشقيقة المسلمة لمعلقة زهير بن أبي سلمى	ديني / ثقافي	تعيينيّة		273
6	الشقيقة المسلمة لمعلقة طرفة بن العبد	ديني / ثقافي	تعيينيّة		274
7	الشقيقة المسلمة لمعلقة الحارث بن حلزة اليشكري	ديني / ثقافي	تعيينيّة		282
	الديوان السادس : قبل الرحيل				285
1	رحماك ربي	ديني	تعيينيّة		291
2	حدائق الشعر	ثقافي	وصفيّة		291
3	سيف النبي	ديني	وصفيّة		291
4	لواء الجهاد	ديني	وصفيّة		291
5	إن كان في العمر بقية !	تربوي	دلاليّة		292
6	فكر وشعر	ثقافي	دلاليّة		294
7	أين قلبي ؟!	إنساني وجداني	إغرائيّة		295
8	أولادي !	اجتماعي	تعيينيّة		296
9	الجهاد موسم عرس لطلاب الشهادة	ديني	إغرائيّة		298
10	سفر المجد	ديني	وصفيّة		298
11	عشاق الظلام	سياسي	إغرائيّة		298
12	كيف نحيا يا قوم من غير(قدس)	ديني	إغرائيّة		299
13	ترحيب بضيف !	اجتماعي	وصفيّة		301
14	سيد القرارات	سياسي	دلاليّة		301
15	إلى من يهمه الأمر !	سياسي	دلاليّة		302
16	حياض العز	وطني	دلاليّة		303
17	تحية للفن الإسلامي الهادف !	ديني / ثقافي	وصفيّة		304
18	يا عرين العراق ...أنت المرجى	وطني	دلاليّة		306
19	بين العلم والإيمان !	ثقافي / ديني	دلاليّة		308

20	وسقط الصنم !	سياسي	دلاليّة		310
21	ترنيمة عاقر !	سياسي (نقد)	إغرائيّة		310
22	السودان الشامخ	سياسي	تعيينيّة		311
23	في ربوع الجزائر – تلمسان	الوصف	وصفيّة		311
24	لقاء عند زمزم	ديني	وصفيّة		312
25	عود إلى الله	ديني	دلاليّة		312
26	جمال وفتوى !	ديني	دلاليّة		313
27	الشاعر ...في حالين	ثقافي	دلاليّة		315
28	في زيارة عابرة لزحلة جارة السوء	سياسي	تعيينيّة		315
29	أرأيتم ...كيف تنداح الدوائر ؟	سياسي	إغرائيّة		316
30	أخوة !!	سياسي	إغرائيّة		316
31	صحراء	فلسفي	إغرائيّة		317
32	ومض العيون	فلسفي	دلاليّة		317
33	كيف تقسو !!	غزل	دلاليّة		318
34	كلها خير	فلسفي	دلاليّة		318
35	برعم..... ورماح !!	فلسفي	دلاليّة		319
36	معان بلدة العز !	وطني / الفخر	تعيينيّة		319
37	بني لجيل أنت فيه قصيدتي !	إنساني	تعيينيّة		320
38	إلى ذات الخمار المؤمنة	ديني	تعيينيّة		321
39	حب وتقوى !	غزل	وصفيّة		323
40	مواكب النور	ديني	دلاليّة		324
41	طاغية	سياسي	إغرائيّة		324
42	باقات شعر ، هدايا من الشعراء	الفخر والمديح	وصفيّة		324
43	ضراعة داعية !	ديني	دلاليّة		325

44	شذرات !جلاء القلوب	ديني	دلاليّة		325
45	الصراع بين الحق والباطل !	ديني	إغرائيّة		326
46	منهج رباني متكامل !	ديني / تربوي	وصفيّة		326
47	مقادير الليالي	ديني	وصفيّة		327
48	بطاقة تمنيات	إنساني وجداني	تعيينيّة		327
49	ليال كالصباح	المديح	وصفيّة		328
	الديوان السابع: على خطا حسان				329
1	راية الشعر!	الفخر والمديح	وصفيّة		335
2	أمس.....وغد !	غزل فلسفي	دلاليّة		335
3	على خطا حسان	المديح	تعيينيّة		336
4	لله تذرف العينان !	ديني	دلاليّة		338
5	رحلة قلب	ديني	دلاليّة		339
6	بطاقة زيارة !	ديني	تعيينيّة		343
7	أين قلبي ؟!	إنساني وجداني	دلاليّة		344
8	جرحي عميق !	ديني	دلاليّة		345
9	وسام ...على صدر معان !	وطني / الفخر	وصفيّة		347
10	آمال وآلام	المديح	دلاليّة		349
11	الرايات الجريحة !	سياسي	دلاليّة		352
12	شموع في ظلام الغرب !	الفخر والمديح	دلاليّة		355
13	على شاطئ بحيرة " نيو أورليانس "	الوصف	تعيينيّة		356
14	لن تذلوا نفسي !	سياسي	دلاليّة		358
15	فرية مأفون !	سياسي	دلاليّة		360
16	هل أضاعوني حقا ؟	سياسي	إغرائيّة		362
17	حقائق وأوهام ؟	سياسي	دلاليّة		364

18	ذلت عنق الباطل !	فلسفي	دلاليّة		365
19	لكن الله يا أغلى الأماني .إلى بناتي	اجتماعي	تعيينيّة		366
20	نشيد الهجرة	تربوي / تاريخي	تعيينيّة		367
21	إلى شاعر الأقصى	المديح	تعيينيّة		369
22	لا يضير الكريم كيد الأعادي	المديح	وصفيّة		372
23	الزنبقة الشامخة	فلسفي	وصفيّة		374
24	عينان	فلسفي	دلاليّة		374
	الديوان الثامن : أناشيد وأغاريد للجيل المسلم		الوصفيّة		375
1	الله ربي	ديني / تربوي	تعيينيّة		385
2	الوضوء	ديني / تربوي	تعيينيّة		385
3	الصلاة	ديني / تربوي	تعيينيّة		386
4	الزكاة	ديني / تربوي	تعيينيّة		386
5	صوم رمضان	ديني / تربوي	تعيينيّة		387
6	العيد	ديني / جتماعي	تعيينيّة		387
7	الحج	ديني / تربوي	تعيينيّة		387
8	الكعبة	ديني / تربوي	تعيينيّة		388
9	ليلة القدر	ديني / تربوي	تعيينيّة		388
10	الإسراء والمعراج	ديني / تربوي	تعيينيّة		389
11	الهجرة	ديني / تربوي	تعيينيّة		390
12	يوم بدر	ديني / تاريخي	تعيينيّة		391
13	فتح خيبر	ديني / تاريخي	تعيينيّة		392
14	حروب الردة	ديني / تاريخي	تعيينيّة		392
15	معركة اليرموك !	ديني / تاريخي	تعيينيّة		392

16	معركة القادسية !	ديني / تاريخي	تعيينيّة		393
17	معركة حطين	ديني / تاريخي	تعيينيّة		393
18	معركة عين جالوت	ديني / تاريخي	تعيينيّة		393
19	أمي ؟	اجتماعي	تعيينيّة		394
20	أبي ؟	اجتماعي	تعيينيّة		395
21	أنا يا قوم مسلم !	ديني	تعيينيّة		396
22	روض الأقصى	تربوي	تعيينيّة		397
23	نشيد الزنبق	وطني / تربوي	تعيينيّة		397
24	نشيد البنفسج	وطني / تربوي	تعيينيّة		397
25	نشيد الياسمين	تربوي / ديني	تعيينيّة		398
26	نشيد الورد	وطني / تربوي	تعيينيّة		398
27	نشيد الريحان	تربوي	تعيينيّة		398
28	من مبدع الكون سواه ؟!	ديني / تربوي	تعيينيّة		398
	الديوان التاسع : قطوف دانية				399
1	الإخوة في الله	ديني	دلاليّة		401
2	عواطفي	إنساني وجداني	تعيينيّة		404
3	قراءة عروضية على بحر الكامل	ثقافي / تعليمي	تعيينيّة		405
4	لو حكمت حواء !	اجتماعي (نقد)	إغرائيّة		406
5	همسة حزينة ...على قبر حمزة	تاريخي/ وجداني	دلاليّة		406
6	شامخ بالحق !	الفخر والمديح	دلاليّة		406
7	الشعوبيون الجدد!	سياسي	وصفيّة		407
8	شهد وعلقم	سياسي	دلاليّة		407
9	بناتي	إنساني	تعيينيّة		408
10	من كل روض زهرة .ومن كل وردة شوكة	اجتماعي	دلاليّة		409

	وعطر				
11	بناتي	اجتماعي/ نساني	تعيينيّة		412
12	يا منية الروح	اجتماعي/ إنساني	دلاليّة		413
13	قدوم علي	اجتماعي/ إنساني	وصفيّة		413
14	إلى زوجتي رعاها الله	اجتماعي/ إنساني	تعيينيّة		413
15	تنبيه لولدي محمد	اجتماعي /تربوي	تعيينيّة		413
16	انطلاقة أمة ...ومسيرة جهاد	سياسي	إغرائيّة		414
17	سيوف الإيمان	ديني / سياسي	وصفيّة		416
18	حوار في بلاد الأفغان !	سياسي	دلاليّة		419
19	ذل فينا النهي !	سياسي	إغرائيّة		421
20	بلادي	وطني	وصفيّة		422
21	لأخي من وراء القضبان	سياسي	تعيينيّة		423
22	معارضة قصيدة مالك بن الريب	ثقافي	تعيينيّة		427
23	في وداع أسرة بشار جرار زوج ابنتي إشراق	الرثاء	تعيينيّة		428
24	وقلت معارضا القصيدة الأندلسية التي مطلعها	ثقافي	تعيينيّة		428
25	الله حق ... تعالى الله خالقنا	ديني	تعيينيّة		429
26	فأيقنت أني رابح في تجارتي	إنساني وجداني	دلاليّة		429
27	شاعر يرثي نفسه	الرثاء	وصفيّة		430
28	حي أرض العراق	وطني	تعيينيّة		430
29	سلام على صحب رعيت عهوده في أمان	إنساني وجداني	دلاليّة		431
30	حمدت الله أني في أمان	إنساني	تعيينيّة		431
31	حي ليلى في كل مطلع شمس	إنساني وجداني	دلاليّة		432
32	وليلى في العراق تعيش قهرا	سياسي	دلاليّة		432

33	وأحفظ عهد الصحب دوما أصونه	اجتماعي	تعيينيّة		433
34	ودعوني !	اجتماعي/ إنساني	دلاليّة		434
35	البترا	وطني	تعيينيّة		434

الموضوعات في عناوين العظم : الدينية : 94 / السياسية : 57 / الوطنية : 24 / الإنسانية :32 / الاجتماعية : 34 / الفخر والمديح :22 /الثقافي :12 / الرثاء : 4 / الوصف :5 / الفلسفة : 8 / تربوي : 5 / غزل: 3 / تاريخي : 2 .(مجموع العناوين : 302) .

وظائف العنوان عند العظم: الوصفيّة الإشاريّة : 63 / التعيينيّة: 89 / الدلاليّة الإيحائيّة : 117 ، الإغرائيّة :33 .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر :

1-أبو الأسود الدؤلي(ت69هـ)،**ديوان أبي الأسود الدؤلي**، صنعه أبو سعيد الحسن السكّري، تحقيق محمد حسن آل ياسين،ط2،لبنان: دار ومكتبة الهلال، 1998م.

2-الترمذيّ ، محمد بن عيسى بن سَوَرة (ت279 هـ)، **سنن الترمذيّ** ، اعتنى به محمد بربر، صيدا، بيروت : المكتبة العصريّة ، 2008 م . 5 أجزاء ، مجلّد واحد .

3- الجرجاني ، عبد القاهر (ت 474 هـ) ،

أ- **أسرار البلاغة** ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، المنصورة : مكتبة الإيمان .د . ت .

ب-**دلائل الإعجاز في علم المعاني**،علّق عليه محمد رشيد رضا،بيروت: دار الكتب العلميّة، د. ت.

4- ابن جني ، أبو الفتح عثمان(ت 392هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط1 ، العراق : دار الشؤون الثقافية العامة، 1952 م .

5- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت394هـ) ، **الصحاح** ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، بيروت : دار العلم للملايين،1979 م . 6 مجلدات .

6-حسّان بن ثابت الأنصاري(ت 50هـ)، **ديوان حسّان بن ثابت**، شرح وتعليق: عبد علي مهنّا، ط2، لبنلن: دار الكتب العلميّة، 1994م.

7- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن(ت 379هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، اعتنى به محمد عبد القادر الفاضليّ، ط ، بيروت: المكتبة العصريّة ، 2001 م .

8- ابن خلدون، عبد الرحمن(ت 808هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق حامد أحمد الطاهر، ط1، القاهرة : دار الفجر للتراث، 2004م .

9- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجتساني الأزديّ(ت 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق جمال أحمد حسن بربر، صيدا، بيروت: المكتبة العصريّة ، 2007م . 4 أجزاء ، مجلّد واحد .

10- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت: المكتبة العصرية . 4 أجزاء

11- سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ)، **الكتاب**، علق عليه إميل بديع يعقوب ، ط1 ، لبنان : دار الكتب العلمية ، 1999م ، 5 مجلدات .

12- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق حامد أحمد الطاهر البسيوني، ط1، القاهرة :دار الفجر للتراث، 2006 م . مجلدان

13- الطوخي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري (ت 716هـ)، **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق عبد القادر حسين، القاهرة: مكتبة الآداب ، 1977م .

14- العظم ، يوسف ، **الأعمال الشعرية الكاملة** ، ط1 ، عمان: دار الضياء ، 2009 م .

15- القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق (ت456هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، 2006م .

16-المتلمّس الضبعي(525م-)، **ديوان المتلمّس الضبعي**، تحقيق وتعليق حسن كامل الصيرفي، ط1، القاهرة:معهد المخطوطات العربيّة، 1970م.

17- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ)، **لسان العرب** ، القاهرة : دار الحديث ، 2003 م . 9 مجلدات .

المراجع:

1- أسمهر، الهاشم، **عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي: الأخبار والكرامات والطرف**، ط ، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008م.

2- بارت، رولان، **درس السيميولوجيا**، ترجمة عبد السلام عبد العال، ط1، دار توبقال : المعرفة الأدبية ، 1990م .

3- الجدع، أحمد ، **يوسف العظم شاعر الأقصى**، عمّان : دار الضياء للنشر والتوزيع، 1987م

4- الجزار ، محمد فكري ،

أ- **العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي**، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م .

ب- **لسانيّات الاختلاف (الخصائص الجماليّة لمستويات بناء النّصّ في شعر الحداثة)** ، ط1 ، مصر الجديدة : إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001 م .

5- حمودة، طاهر سليمان، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**،الإسكندرية:الدار الجامعية،1983م

6- حنبكة، عبد الرحمن حسن، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجل**، ط2، دمشق: دار القلم ، 1989م .

7- الخباص ، عبد الله ، **شاعر الأقصى يوسف العظم ؛ مسيرة حياة** ، ط1: عمان: دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2006 م .

8- خليل ، إبراهيم ، **في اللسانيات ونحو النص** ، ط1 ، عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، 2007م .

9- الدراويش ، حسين أحمد ، **البنية التأسيسية لأساليب البيان في اللغة العربية** ، ط1 ، القدس : مطبعة بيت المقدس ، 1996م .

10- ذاكر، عبد النبي، **عتبات الكتابة: مقاربة الميثاق المحكي الرحلي العربي**،أغادير: كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر ، 1998م .

11-ربابعة، موسى سامح، **جماليّات الأسلوب والتلقّي؛ دراسات تطبيقيّة**، ط1، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2011م.

12-زكريا ، ميشال، **الألسنية (علم اللغة الحديث ،المبادئ والأعلام)**، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983م .

13- السامرائي ، فاضل صالح ، **معاني النحو** ، ط2 ، عمان: دار الفكر، 2003 م . 4مجلدات

14- سعد الله، محمد سالم، **مملكة النص؛ التحليل السيميائي للنقد البلاغي ،الجرجاني نموذجا**، ط1 ، إربد : عالم الكتب الحديث، للنشر والتوزيع ، 2007م.

15- السيد ، شفيع ، **تجارب في نقد الشعر**، القاهرة : مكتبة الشباب ، 1998 م .

16- الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير:تفسير للقرآن الكريم**، بيروت: دار الفكر، 2000م .

17-عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ط ، القاهرة: دار الحديث، 1996 م .

18 - عبد الرحيم ، عبد الجليل، **لغة القرآن الكريم** ، ط، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة،1980م .

19عبد المطّلب، محمّد، **البلاغة والأسلوبيّة**، ط1 ،بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،1994م .

20-عتيق، عبد العزيز، **في البلاغة العربية:علم المعاني**، بيروت: دار النهضة العربية،1974م.

21- العظم ، يوسف ،

أ- **أين محاضن الجيل الجديد** ، ط6 ، جدّة : الدار السعوديّة ، 1985 م .

ب- **شهد وعلقم** ، ط1، عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، 2009 م .

ت- **مذكرات ثلاثة أرباع قرن** ، ط1 ، الأردن : دار الضياء للنشر والتوزيع ، 2006 م .

ث- **المنهزمون؛ دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة**، ط1، عمّان: دار الضياء للنشر والتوزيع ، 2006 م .

جـ- **نحو منهاج إسلامي أمثل** ، عمّان : دار الفرقان ، 1983 م .

22- عويس ، محمد ، **العنوان في الأدب العربي ؛ النشأة والتطور** ، ط1 ، القاهرة : المكتبة الانجلو المصرية ، 1988م .

23- عيد ، محمد ، **النحو المصفى** ، القاهرة : مكتبة الشباب ، 1980م .

24- الغذاميّ ، عبد الله محمد ، **الخطيئة والتكفير ؛ من البنيويّة إلى التشريحيّة ، قراءة نقديّة لنموذج إنساني معاصر** ، ط6 ، الدار البيضاء – بيروت : المركز الثقافي العربي ، 2006 م .

25- غيرو ، بيار ،

أ- **السيمياء** ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، ط1، بيروت- باريس :دار منشورات عويدات ، 1984م .

ب- علم الإشارة - السيمولوجيا -، ترجمة منذر عياشي، ط1 ، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1983م .

26- الفراهي ، المعلّم عبد الحليم ، **أساليب القرآن** ، الهند : المطبعة الحميديّة ، 1389 هـ .

27- قطّوس ، بسام موسى ، **سيمياء العنوان** ، الأردن : جامعة اليرموك ، 2001م .

28- كتّانة ، زكي الشيخ حسين عثمان، **يوسف العظم ؛ شاعر القدس**، ط1، عمّان: دار البشير، 1987م .

29- كورتيس ، جوزيف ، **مدخل إلى السيميائيّات السردية والخطابية** ، ترجمة جمال الخضري ، ط1 ، الجزائر : منشورات الاختلاف ، 2007م .

30- ابن مالك ، رشيد، **السيميائيّات السردية** ، ط1 ، عمان : دار مجدلاوي ، 2006م .

31- مبارك ، حنون ، **دروس في السيميائيّات** ، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1987م .

32-المخزومي، مهدي، **في النحو العربي؛ نقد وتوجيه**، ط2، لبنان: دار الرائد العربي، 1986م.

33 - مفتاح، محمد، **ديناميّة النص؛ تنظير وإنجاز**، الرباط : المركز الثقافي العربي، 1987م.

34- الهاشمي ، أحمد ،

أ- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق محمد رضوان مهنا، ط1، مصر: مكتبة الإيمان بالمنصورة، 1999م .

ب-**ميزان الذهب في صناعة شعر العرب** ، ط1 ، بيروت: مؤسسة المعارف، 2000م .

35- ياغي، عبد الرحمن، **البحث عن قصيدة المواجهة في الأردن(1967-1985)**، ط1، عمان: دار الكرمل، 1997م.

36- يحياوي ، رشيد ، **الشعر العربي الحديث ، دراسة في المنجز النصي** ، ط1 ، الدار البيضاء : إفريقيا الشرق ، 1998م.

37– يوسف، أحمد، **السيميائيّات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات**، ط1 ، الجزائر : منشورات الاختلاف ، 2005 م .

الرسائل الجامعيّة

1- مالكي ، فرج عبد الحسيب محمد ، **عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي)** ، جامعة النجاح ، 2003م . رسالة ماجستير

الدوريات

2- حليفي، شعيب، **النص الموازي للعنوان(استراتيجيّة العنوان)**، مجلّة الكرمل، العدد16، 998 م .

3- حمداوي ، جميل، **السيموطيقيا والعنونة**، الكويت : مجلّة عالم الفكر ، العدد الثالث، المجلد 25 ، 1997م.

4-دقة ، بلقاسم ، **علم السيمياء في التراث العربي** ، مجلة التراث العربي ، دمشق : العدد 91 ، السنة الثالثة والعشرون ، أيلول 2003م.

6-الهميسي ، محمود ، **براعة الاستهلال أو في صناعة العنوان** ، الأردن : جامعة اليرموك مجلة الموقف الأدبي ، العدد313 ، السنة 27 ، أيار ، 1997م .

الشبكة العنكبوتيّة

1- جميل حمداوي ، **مقاربة العنوان في الرواية العربيّة**(alwatanvoice.com.)

2– رحيم عبد القادر ، **وظائف العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري** ،

(http:// www.adablabo.net/ rahim.htm)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إقرار	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ت
ملخص الدراسة بالعربية	ث
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزيّة	ج + ح
المقدمة	خ _ ز
التمهيد	19-1
أ-تأسيس السيمياء	11-2
ب- العنوان	19-12
الفصل الأوّل:العنوان والموضوعات والأغراض لقصائد يوسف العظم	66-20
ترجمة حياة يوسف العظم	22-21
المبحث الأول : السيميائيّة والعنوان	28-23
المبحث الثاني : العناوين الخارجية من حيث الموضوع	36-28
المبحث الرابع : العناوين الداخلية من حيث الموضوع	65-36
العناوين ذات السمة الدينية	42-37
العناوين ذات السمة السياسية	49-42
العناوين ذات السمة الاجتماعية	51-49

العناوين ذات السمة الوطنية والقوميّة	51-55
العناوين ذات السمة الإنسانيّة والوجدانية	55-59
العناوين ذات سمة المدح الفخر	59-62
العناوين ذات السمة الثقافية	62-63
الموضوعات الأخرى	64-66
الفصل الثاني : العنوان وبعض الظواهر السياقيّة والبلاغيّة	67-111
تمهيد : العنوان والظواهر السياقية	68-70
المبحث الأوّل : العنوان وصور تأليف الجملة	70-76
صور تأليف عناوين الخارجية	73-74
صور تأليف العناوين الداخلية	74-76
المبحث الثاني: العنوان وظاهرة الحذف والذكر	76-88
العناوين الخارجية ليوسف العظم وظاهرة الذكر والحذف	78-82
ظاهرة الحذف في عناوين يوسف العظم الداخلية	82-88
المبحث الثالث : العنوان وظاهرة التقديم والتأخير	88-93
سيمياء العناوين الخارجية وظاهرة التقديم والتأخير	89-90
سيمياء العناوين الداخلية وظاهرة التقديم والتأخير	90-93
المبحث الرابع: العنوان وظاهرة التعريف والتنكير	93-103
سيمياء العناوين الخارجية وظاهرة التعريف والتنكير	95-98
سيمياء العناوين الداخلية وظاهرة التعريف والتنكير	98-103
المبحث الخامس: العنوان وظاهرة التكرار	103-111
سيمياء العناوين الخارجية وظاهرة التكرار	104-105
سيمياء العناوين الداخلية وظاهرة التكرار	105-111
الفصل الثالث : وظائف العنوان في شعر يوسف العظم	112-164
المبحث الأول : وظائف العنوان	113-119
المبحث الثاني : وظائف العناوين الخارجية عند يوسف العظم	119-132
المبحث الثالث : وظائف العناوين الداخلية عند يوسف العظم	132-133
المبحث الرابع : الوظيفة التعيينية في العناوين الداخلية	133-137
المبحث الخامس : الوظيفة الاغرائية في العناوين الداخلية	137-145

المبحث السادس : الوظيفة الوصفية الاشارية في العناوين الداخلية	152-145
المبحث السابع : الوظيفة الدلاليّة في العناوين الداخليّة	164-152
الخاتمة	165
ملحق بعناوين جمع قصائد يوسف العظم	179-166
قائمة المصادر والمراجع	185-180
فهرس الموضوعات	187-186